

كتاب

تاريخ

دولة الخوارج

من انشاء الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
رحمه الله

اختصار الشيخ الامام العالم الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني
رحمه الله ورضي عنه

﴿ طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية ﴾

(بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م)



قرر مجلس ادارة الشركة في جلسته المنعقدة في يوم الثلاثاء ١١ ربيع آخر
سنة ١٣١٨ (٧ اغسطس سنة ١٩٠٠) طبع هذا الكتاب على نفقة الشركة
لاحتوائه على تاريخ دول اسلامية مكثت نحو قرن ونصف ولم يوجد لها
للان مؤلف خاص بها بل ذكرت عرضاً في كتب التواريخ ولما مؤلفه من
الشهرة الفائقة في عالم التحرير والانشاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله على نعمه الجسام . ومنته المظام . والصلاة والسلام
على خير الأنام . سيدنا نبيه محمد وعلى آله البررة الكرام . فاني لما فرغت
من انتخاب الكتاب الموسوم بالبرق الشامى من انشاء الامام السعيد عماد
الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني الكاتب رحمه الله طالعت كتابه
الموسوم بنُصرة الفَترَةِ وعُصرة الفطرة في اخبار الوزراء السلجقية فصادفته
قد سلك فيه منهجه المعروف في اطلاق أئنة أقلامه في مضمار بيانه .
واسباغ اذيال القرائن المترادفة من وشائع ما يحبره راقم بنانه . بحيث صار
المقصود مغوراً في نضايف ضائر الاسجاع . وربما كان لا يرفع للاصفاء
الى بدائعها حجاب بعض الاسماع . فاتخبت منه هذا المختصر الذي هو بعد
اشتماله على جميع مقاصد الكتاب محتو على عيون قرائنه البديدة . وزواهر
الفاظه القصيدة . خدمة لماك اجتمع فيه من الفضائل ماتفرق في جميع سلاطين
الائتم . وصار نظاماً لحاسن يتزين بأفرادها سائر ملوك العرب والعجم . ولانا
السلطان الملك المعظم ابي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل ابي بكر ابن
أيوب لازالت معارج دولته راقية في مدارج الاقبال . وعتبات مجده . مله جاً

لعيون الاعظام والاجلال . ومصاييح علومه متوقدة يهتدى بها الشاردون
 فيخرجون من ظلم الزيف والضلال . وينابيع أياديه متفجرة يكرع فيها الهائمون
 فينتقمون غلل الآمال . وقد افنتحت به في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٣ مستعيناً
 بالله تعالى ومستمداً من حوله وقوته ومبتهلاً اليه وسائل اياه ان يوفقني في
 ذلك وفي جميع أموري بفضلته ورحمته وهو حسبي وكفى



ذكر نبذة من بداية حال السلجقية

قال رحمه الله كانت السلجقية ذوى عُدَدٍ وَعَدَدٍ . وأيدٍ ويَدٍ .
لا يدينون لاحد ولا يدنون من بلد وميكايل بن سلجق زعيمهم المبجل .
وعظيمهم المفضل . وقد سكنوا من أعمال بخارا موضعا يقال له نور بخارا
وما زالوا فى أنصر شيعة . وانصر عيشة . وهم فى الرعي يكلأون الكلاً . وفى
ربيع يملأون الملاً . لا يدعروهم ذاعرو . ولا يردعهم داعرو . والساطين يرفعونهم
للملمات ولا يرفعونهم . ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم . حتى عبر السلطان
يعين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا المساعدة قدر خان فرأى ميكايل
ميكايل يحصى الحصافة معتدا . وصاع مصاعه يأس البسان موقرا . فرغب
فى استرغابه . وانجذب الى اجتذابه . وأراد ان يعبر الى خراسان به وباهله .
وبكنف أكنافها لذى الحفظ والحفيظة بنبله ونبله . وامتنع ميكايل عليه ومال
عنه ولم يمل اليه ففاط السلطان تمنعه فقبضه واعتقله . وعبر به وباصحابه الى
خراسان ونقله . وقال له ارسلان الحاجب انى ارى فى أعين هؤلاء عين
الهلول . وانهم لمعرفون بالجرأة والقوة والحول . والرأى عندى ان تقطع
أبهام كل من تعبره منهم ليؤمن ضره . ولا يخاف شره . فاقبل خطابه
فى هذا الخطب . وقال له انك لقاسى القلب .

فلما اقاموا بخراسان تقربوا الى عميدها أبى سهل أحمد بن الحسن
الحدونى وأهدوا اليه ثلاثة افراس ختلية . وسبعة اجمال بختية . وثلاثمائة
رأس غنم تركية . وهداه اقبالهم الى قبول الهدية وكانوا سألوه ان يرجمهم
فى المروج . ويسد بمواشيهم مخارم تلك المروج . فبين لهم مروج ذندان

ففروا بها وبما قاربها . وتحاماهما من عداها وجانبها . وتوفي محمود بن سبكتكين
 وهو كاره لا مريم . مشفق من وميض جرمه . مستشف ستر القضاء في
 قضية شرم . وعد أبو سهل الصعب فيهم سهلاً . واتخذهم لارتفاقه
 بهم صحباً وأهلاً . وفقد مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرياً من غزاة
 إلى خراسان فواقهم وقتل منهم عدة وأسر منهم جماعة حملهم إلى غزاه منهم
 ينفوا أرسلان فاستعطفوه فلم يعطف . واستسغفوه فلم يعف . ولما غلق رهنهم
 وتوثق سجنهم . شربوا كأس اليأس وأبدلوا أيناس الناس بإيماش الحاشية .
 ومشى شحنة طوس لاستيق الملم من الماشية . وأستلان خشونتهم .
 واستسهل صعوبتهم . ولما ظن أنه أب بالغم والغنية . وباء بمر الزيمة .
 ركبوا إليه صهوات الخلق . وصرفوا نحوه أئنة الحب والعتق . حتى لقوه
 فتركوه لقي وتبعوا المنهزمين ودخلوا إلى طوس فلكوها . وجاسوا خلال
 ديارها وسلكوها . وتشاوروا فيما بينهم وقالوا هذا بحر خضناه . وفتح
 ابتكرناه . وطوس مدينتنا التي تؤويننا . وحصننا الذي يحميننا . فلا نفرج عنها .
 ولا نخرج منها . وشرع أبو سهل الحمدوني في استدراك ما فرط . واستمسك
 ما اختبط . وكادوا ينجيونه بالجميل ويحملون في الجواب . ويميلون بمالائه إلى
 صوب الصواب . فقتل شحنة نيسابور وتسار . وجند وعسكر . وشن على
 سرحهم غارة على غرة . ونهض لمنفعة نهضت بمضرة . فركبت السلجقية إليه
 وإلى جماعته أرسلوا . ونشبوهم وشبو قتالا . وهزمهم وكسروهم
 وقتلهم وأسرهم وامتدوا إلى نيسابور فدخلوها . ووجدوا في خلوها فرصة
 فاهتبلوها . وذلك في شهر رمضان سنة ٤٢٩ هـ . وعزوا على مدينا . ونهب البلد .
 فنعمهم طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق وهو أميرهم وكبيرهم وقال لهم

نحن في شهر حرام لا نهتك حرمة . ولا نهك عصمته . ولا يحصل من النهب ارب وانما تسوء به السمعة ويشيع الشبهة . فنفرت جماعته من مقاله وسخفوا رأيه في تبين حرام القمل وحلاله . فزال بهم ظنك بقول لهم امهلوا بقية هذا الشهر واعملوا ما شئتم بعد الفطر (وفي أثناء ذلك وصل اليهم كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوفهم ويذكرهم بالله ويحلمهم على رعاية عبادته وعمارته بلاده فخلعوا على الرسول المعروف بابي بكر الطوسي ثلاثة عشرة خلة . وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة . ٢٠

(ولما كان يوم العيد اجتمعوا من القريب والبعيد وهما بالنهب فركب ظنك لنعيمهم . وجد في ردعهم . وقال الآن وقد جاء كتاب الخليفة . المفترض الطاعة على الخليفة . وقد خصنا من توليته ايانا بالحق والحقيقة) فلع عليه أخوه جعري بك داود وأخرج سكينته وقال إن تركتني والاقلت نفسي يدي فرق له وسكنه . وأراه انه مكنه . وأرضاه بمبلغ أربعين ألف دينار قسطه . ووزن أهل البلد معظمه . وأدى هو من ماله الباقي وغرمه كرجلس على سرير الملك الذي كان لحدود بن سبكتكين في نيسابور ونهى وأمر وأعطى وأخذ وأجرم ونقض . وأحكم وقوض . وجلس يوم الاحد والاربعاء لكشف المظالم وبسط الممدلة وبث المكارم . وسير أخاه داود الى سرخس فلسكها . ونهجه طريقة في العدل فسلكها . وسير الى دار الخلافة المعظمة رسولا يعرف بأبي اسحاق القفغجي صبيح البهجة . فصيح الالهجة . بكتاب مضمونه انهم لما وجدوا ابن يعين الدولة ماثلا عن الخير والسمو . مشغلا بالشر والمو . غاروا للمسلمين والبلاد . وهم عبيد أمير

المؤمنين في حفظ البلاد والمباد . وقد سنوا سنة المدل . وأسنا سننا
الفضل . وبطلوا مراسم الصف . وعطلوا مواسم الحيف . ومضى رسولهم .
وقضى سؤلهم . وتواصلت مع مسعود بن محمود بن سبكتكين حروبهم
وهزموه في سنة ٤٣٠ . واشتدت . منهم . وقويت شوكتهم . واستولوا على
خراسان وتجاوزوها الى العراق وطرؤا على ملك الديلم . ورموه بالصيلم .
وغلّبوا الالاك . وبلغوا الافلاك . واقتسوا البلاد . وطرّفوا طرفها
والتلاد .

قال وللسطان طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق ولاخيه جفري بك
أبي سليمان داود بن ميكائيل بن سلجق من نهر جيحون الى نيسابور ولاخيه
من أمه وهو ابن عمه ابراهيم بن نيال بن سلجق قهستان وجرجان ولا بن
عمه أبي علي الحسن بن موسى بن سلجق هراة وبوشنج وسجستان
وبلاد النور

قال وامتد طغرل بك الى الري وقد كانوا جعلوا له جميع ما يفتحه من
هذا الصوب فحمد الراي بالري . ونجرت عدة جدته بعد التي . ووجد في
دور الديلم دفائن وخزائن . سمرت بها أيامه عن أيامن . مختاثل ونأثت . ووزى
زندسمده بما ورث . وقدم قدهاه ابراهيم بن نيال فقر بقرميسين وانزعها
من الامير أبي الشوك فارس بن محمد بن عتاز وحل بجلوان وتوفي أبو الشوك
في شهر رمضان وذلك سنة ٤٣٧ . وفي هذه السنة وزر رئيس الرؤساء أبو القاسم
علي بن الحسن بن مسلمة للقائم بأمر الله وهي أول سنة ورد فيها الاتراك
الى العراق . وانتشروا منها في الآفاق .

قال وكان عند طغرل بك رسول الخليفة وهو أبو محمد هبة الله بن محمد

ابن الحسن بن المأدون مقبلاً بدعوه الى بغداد ولا بدعه بقيم . ويروم منه
 صدق القصد ولا يريم . وطال بالحضرة حضوره حتى حرك غزمه فعزم على
 الحركة واندفع كالسيل . وكسا الملق عجاج فيلقه صبغة الليل . ولم يترك الترك
 ورداً الا شفوه . ولا حسناً الا شوهوه . ولا ناراً الا أرتشوها . ولا
 داراً الا شعثوها . ولا عصاة الا رفعوها . ولا وصاة الا وضعوها . وأجفل
 الملوك من خوف اقدامهم . وتحموا من طريق ضرامهم . فما جاؤا الى بلدة
 الا ملكوا مالكمها . وملأوا مسالكها . وأرعبوا ساكنيها وأسكنوها
 الرعب . وغلبوا وولاتها ولولوها التاب . وازوروا الى الزوراء . وأشاعوا مد
 اليد بالنارة السواء .



ذكر دخول السلطان ركن الدولة طغرل بك أبي شجاع محمد

ابن ميكائيل بن سلجق الى بغداد في ٢٥ من رمضان

سنة ٤٤٧ ومعه الوزير عميد الملك أبو نصر محمد

ابن منصور الكندري وهو أول وزراء السلجقية

قال : كان حصيفاً فصيحاً رجيحاً نجيحاً . تساهلاً بمكانه . متسكناً من
 سلطانه . يرجى ويخشى . ويقصد وينشى . والسلطان بأذنه وناظره يبصر
 ويسمع . وبأذنه ونظاره يرفع ويضع . وله البهجة المهيبة . والهجبة المصيبة .
 وكان مع السلطان طغرل بك يوم وصوله الى بغداد وقد خرج رئيس الرؤساء
 وزير الامام القائم لاستقبال السلطان ومعه أرباب المناصب . وأصحاب

المراتب . وقاضى القضاة والشهود . والجنود والبندود . فلما وصل الى نهر بين . لقيه صاحب السلطان من المقرين . وقدم للوزير فرساً وقال هذا مركوب السلطان وقرّبه . فنزل عن بقلته وركبه . وجاءه بعد ذلك عميد الملك أبونصر الكندرى فى موكب ضخم . وغرغم . وقد وقف يتوقع مطالمة فلما بصّر به قصد عميد الملك أبونصر أن يترجل فتمه وتماتقا راكبين . وخطا الموكبين . ووصل السلطان الى بغداد ونزل على دجلة . مند مسنة عز الدولة . رائع الهيبة . رائق الهيئة . قد ضاقت الارض بجنوده . وضافت السماء عذبات بنوده . فقبض على الملك الرحيم أبى نصر الديلمى من نسل عضد الدولة وسيره الى الريّ فقطع عليه الاجل الطريق فى طريقها وأذنت جموع ممالك الديلم بتعريقها وقبض عميد الملك أبونصر الكندرى الوزير الاخر أباسعد وزير الملك الرحيم . ثم استدأمت صحته حين القاه فى الكفاية صحيح الاديم . وأطلقه وأطلق يده فى الحل والعقد والحبس والاطلاق . وعول عليه وفوض اليه النظر فى العراق .

قال : وتوفى فى هذه السنة قاضى القضاة الحسين بن على بن مأكولة نفاطب عميد الملك فى تولية قاضى القضاة أبى عبدالله محمد بن الدامناتى فتسنت قاعدته فى ذى القعدة من السنة . وأحسن العناية به لمعاينه الحسنة . وقال هو قدوتنا بخراسان الموصوف بجميع الألسنة . وحضر عميد الملك الكندزى فى بيت النوبة الشريفة . وخص من دار الخلافة بالمنزلة اللطيفة . وانفذت معه برسم السلطان خلع سنيه . وتشريفات سريه . قال : وتقدم طنزليك ببناء مدينة على دجلة وهى التى جامعها اليوم باقى . وكانت حينئذ ذات أسوار وأسواق . قال : ودخلت سنة ٤٤٨ هـ وفى المحرم منها

عقد الخليفة على ابنة أخى طنرليك ارسلان خاتون خديجة بنت داود بن ميكائيل . وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل [❦] ولئلا يجد الاعدام هذه الوصلة الى قطع سبيل المودة بينهما السبيل [❦] م

❦ ذكر الحال في ذلك ❦

قال : فى المحرم جلس الامام القائم بامر الله أمير المؤمنين . وأحضر عيد الله الكندرى وقدمه على المقدمين . وتقدم اليه باحضار من يجوز احضاره . ويقع عليه ايثاره . فشد وسطه وأخذ دبوساً فى يده . وجرى فى حفظ آداب الخدمة على جده . واستدعى أمائل دولة السلطان نخدوا الخليفة . وشاهدوا السدة الشريفة . ثم شرع رئيس الرؤساء فى خطبة النكاح : وجاء بها على وفق الاقتراح . واستوعب شرائط الايجاب بالذكر من تسمية المخطوبة والمهر ثم قال : إن رأي سيدنا وولانا أن ينم بالقبول فقال الخليفة قد قبلنا هذا المقد بهذا الصداق [❦] فاه تزج الدولتان بالاستحقاق . واستمرت البركة . واستقرت المملكة [❦] قال وفى هذه السنة كانت ولادة المقتدى سحرة الاربعاء ثامن جمادى الاولى وسمى عبد الله وكنى ابا القاسم واهه جارية لذخيرة الدين أبى العباس بن القائم بامر الله وكانت وفاة الذخيرة فى ذى القعدة سنة ٤٤٧ وعمره ١٤ سنة وبوفاته قامت قيامة القائم فانه كان ولى عهد ولم يكن له ولد سواه فلما ولدت جاريته ابناً استجده جداً وبهاء

ويماناً وامناً وجلس رئيس الرؤساء . ثلاثة أيام للهناء . وحضر عميد الملك وجماعة
الامراء . قال : وتوفي في هذه السنة عميد الرؤساء أبو طالب بن أيوب عن
٧٠ سنة وقد كتب للخليفة ١٦ سنة . وكانت حسنة سائرة وسيرته حسنة .

ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت

قال : كان ابن عم طغر بك بالموصل وديار بكر وهو قتلش بن اسرائيل
بن سلجق . متسق الأمر . متسع الصدر . فاجتمع الباسيري وهو أبو
الحارث أرسلان وقريش ابن بدران العقيلي ونور الدولة ديس بن علي بن
مزيد الاسدي على حربه . وأوقعوا به وبجزبه . وكانت الوقعة بسنجار
ومضى قتلش الى همدان موليا فاتتحي طغر بك من ذلك وتوجه الى
الموصل فاجفل الباسيري الى الرحبة فاذعنت لطغر بك البلاد وواتاه
الادب . ووافاه العرب . وأطاعه الاميران ديس وقريش واتصل به أخوه
ياقوتى بن داود فزادت قوته . وأرعبت بالناس صولته . وكان على أهل سنجار
حاقداً فأنهم مثلوا بقتلى قتلش وتركوهم بالمرء وأظهروا الرؤوس على القصب
 . وأخذوا النفوس بالوصب . نثار طغر بك الى سنجار واجتاحها
 واستباحها . وسلب أرواحها وأشباحها . الى أن شفع فيهم ابراهيم بن ينال
 فعفا بعد أن عفى . وكف بعد ما اكتفى . قال : وفي هذه السنة مات أبو العلاء
 المعري .

﴿ ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة ﴾

- - - - -

قال : وعاد الى بغداد ظافر اليد وافر الايدي وجلس له الخليفة يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة فركب دجلة مجريا طياره في تيارها . حتى وصل الى باب الرقة من السدة الشريفة ودارها . وقدم له فرس فركبها ودخل راكبا الى دهليز صحن السلام . وحسن الاسلام . ثم نزل ومشى والامراء بين يديه بنير سلاح يمشون الى حيث الجلالة مقيمة . والدلالة بالقائم قائمة . والرسالة ملائمة . والأمامة دائمة . والنبوة مستمرة الأثر . والمروة مستقرة البعث . وستارة البهاء مسدولة على البهو . وظهارة الانماء مجبولة بالزهو . والقائم بامر الله جالس من وراء الستر على سدة مشرفة مشرقة في ايوان منه للجلال ايواه . ودار أرضها للاقبال سماء . وعلى كتفه ويده البردة والقضيب النبويان . وهما بماء الطهر المحمدي رويان .

ولما قرب طغرل بك من المقر الاشرف . والمرق المسجف . ورفعت ستارة البهو وانار وجه الخليفة كالقمر في سدة السدة الشريفة أدي القرض . وقبل الأرض . ثم مثل قائما للقائم . ووقف لترقب ما يقف عليه من المراسيم . وصعد ريس الرؤساء الى سرير لطيف فقال له الخليفة اصعد ركن الدولة اليك ومعه محمد بن المنصور الكندري مفسرا وترجما . ومعربا عنه ما كان . مجا . ثم (وضع) طغرل بك كرسي جلس عليه . وفسر عميد الملك له تفويض الخليفة اليه . ثم قام طغرل بك الى مقام الرفعة . ومكان الخلعة . واحتبى بمن الاحتباء . واجتاب خلع الاجتباء . وتوج وطوق وسور وأفيضت عليه

سبع خلع سود في زيق واحد اتخذت له بها مملكة الاقاليم السبعة وشرف
 بعامة مسكية مذهبة فجعل له بين تاجي العرب والعجم . وسماها وتسمى
 بالمتوج والمعمم . وقلده سيفاً على بالذهب . نخرج في أحلى الخلى وأهيب
 الاله . وعاد وجلس على الكرسي . ورام تقبيل الأرض ولم يتمكن
 لموضع التاج الحسروى . وسأل مصالحة الخليفة فاعطاه يده دفتين . فقبلها
 ووضعها على العين . وقلده سيفاً آخر كان بين يديه قم له بتقليد السيفين .
 تقلد ولاية الدولتين فحاطبه بملك المشرق والمغرب واحضر عهده وقال هذا
 عهدنا يقرأ عليك محمد بن منصور ابن محمد صاحبنا ووديعتنا عندك فاحفظه
 واحرسه فانه الثقة المأمون وانفض في دعة الله محفوظاً . وبمين الكلافة
 ملحوظاً . قال ولا بى الفضل صردى في عيد الملك من قصيدة

ملك اذا ما العزم حث جياده * مرحت بازهر شاخ العرين
 بأغر ما أبصرت نور جبينه * الا اقتضاني بالسجود جبينى
 صمت فواضله البرية فالتقى * شكر النقى ودعوة المسكين
 لو كان في الزمن القديم تظلمت * منه الكنوز الى يدى قارون
 قال: وفي سنة ٥٠٠ هـ انتقض على طغر بك أمر الموصل فقد كان استخلف
 بها الاميرين أردم وباتكين فقصدهما البساسيرى وقريش بن بدران
 وحاصراهما أربعة أشهر واخرجاها بأمان فعاود طغر بك الخروج الى الموصل
 لطب الداء المضل ونصب بنصيبين مضاربه فخالفه ابراهيم بن ينال خالماً
 للطاعة ومضى الى همدان ناوياً للمناوأة فسار السلطان وراءه من نصيبين الى
 همدان في سبعة أيام ونفذ وزيره عميد الملك وزوجته خاتون الى مدينة السلام
 ثم كتب اليهما يستدعيهما فتمسك بهما الخليفة . وتواترت الارجيف

الخليفة . فتارة بوصول البساسيري وتارة بانهزام السلطان من أخيه
قال : وشرع عميد الملك الكندري في أخذ المهد بالملكة لانوشروان
ابن خاتون . وأنفق من ماله الظاهر والمخزون . فها وقتا . ولا استوثقا .
وأرادت خاتون القبض عليهما فهربا فاما عميد الملك فانه انحدر الى الأهواز .
وأمن عند هزار سب بن بنكير بن عياض من الاعواز . وسارت خاتون
تطلب السلطان . ولحق بها ولدها أنوشروان (وذلك في سنة ٤٥١) وفي هذه
الفترة تمت فتنة البساسيري ودخل الى بغداد سادس ذى القعدة سنة ٤٥٠
وخرج سادس عشر ذى القعدة سنة ٤٥١ وكانت سنة سيئة كادت تكون
لنور الله مظنة فانه دعى الى الدعى بمصر مصر ولم يجد الخليفة بمصر من
دار الامامة مقرا . وحصل من تلك الحادثة بالحديثة . وتوالت منه الى
طغربك اسداد كتبه ورسله المستصرخة المستغيثة . وهو مشغول بحرب
أخيه . . هموم بما هو فيه . منلوب الجند . مسلوب الجد

قال : واصل البساسيري رئيس الرؤساء أبا محمد بن المأمون رسول
الخليفة في استدعاء السلطان طغربك وقتل أصحاب قريش بن بدران عبد
الرزاق أبا نصر احمد بن علي (واختل نظام الاسلام . واعتلت دار السلام .
وطالت غربة الامام . وهالت كربة الانام) الى أن استنجد السلطان أولاد
أخيه الب ارسلان وياقوتى وقاورد بنى داود وهو بالرى فأجمدوه وأسفوه
واسعدوه فخرج بهم الى ابراهيم بن ينال بهفتان بولان فكسره ثم وجده
وقد وقف به فرسه فأسره وخنقه بوترلوتره وخنقه واستراح من حث ذميلة
اليه وعنته وعاد سعدة وسعدعيده . وكشفت عدته وكثر عديده . وسار اليه عميد
الملك وجده هزار سب جهاز مثله . وأفضل عليه لفضله . ولم يبق لطغربك بعد ما

ثم سوي رد الخليفة الى داره ^٦ واظهار قره من سراره . ورحل نحو بغداد
فاحس الباسيري بريحه . وأيقن بتياره ووقع في تباريحه . ولما قربت الساعه
السلجية من بغداد بعد وقامت قيامته وما قد وكان الخليفة بمدينة حانة
فطلبه قريش بن بدران من ابن عمه مهارش بن عجلي فخاه . وما أباح حماه .
قال : وخرج مهارش بالخليفة الى لغفر فقصد بدر بن مهمل ومعه الغفر
ابن فورك وقد تين به وتبرك . وهناك فاز من وحد وهلك من أشرك م
ولما وصل السلطان الى بغداد سير الى الخليفة عظام مملكته وصدر وزارته
عميد الملك وأنوشروان بن خاتون ومعهم المهدي والسراذق . والحيل السوابق .
ولما مثلوا بالحضرة الشريفة . وشاهدوا أحوال الخليفة . أراد عميد الملك أن
يكتب الى السلطان كتاباً بشرح الحال . وبوصف ما اجتلاه من المهابة
والجلال . ولم يكن بين يدي الخليفة دواة . ولا أداة للكتابة مسواة . فأحضر
من خيسته دواة عليها من الذهب الف وسبعمائة مثقال وأضاف اليها سيفاً
ذافرنده وصقال وقال هذه خدمة محمد بن منصور أصغر الخدم . وقد جمع في
هذه الدولة بين خدمة السيف والقلم . وأحسن الخليفة قبوله وخطابه .
وتوج بخطه الشريف كتابه ^٧ ولما وصل الخليفة الى النهروان . وصل اليه
السلطان . وتباشرت بقدمه الاوطار والاطالان . واستأذنه عميد الملك في
حضور السلطان فأذن ودخل وقيل الارض سبع مرات وأتى من أدب
الخدمة الممكن وقدّم له الخليفة عنده من دسسته وقال اجلس قبلها وجلس .
وأنسه فأنس . وجل عميد الملك يفسر لها ويترجم . ويرب ويجم .
والسلطان يمتذر عن تأخره وتراخيه . بما شغله من وترأخيه . فهد عذره .
وهد ذعره . وقلده الخليفة سيفاً تبرك به وكان قد خرج معه من الدار

وذلك يوم الاحد الرابع والعشرين من ذى القعدة واستقر أن يدخل الى الدار غداً . ويميد بموده عيش الاسلام رغداً . فلما أصبح السلطان تقدم الى باب النبوي وجلس مكان الحاجب فلما قرب الخليفة قام وأخذ بلجام بقلته . ومشى في خدمته الى باب حجرته . وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٥١ فسادت الانوار الى الطلوع . والانوار الى المصروع . وحل الشرف في موطنه . وقاض الكرم من معدنه .

قال : وهرب البساسيري الى حالة ديبس بن علي بن مزيد وقد ولت سمادته فهو مطلق في زى مقيد . فسير السلطان وراه عسكراً مقدموه سرهناك ساوتكين وأنوشروان وخمارتكين الطغراني وأردم وأنفذ معهم ابن منيع الحجاجي فواقوا البساسيري وأوقعوه ووقع في فرسه سهم ربيت به فرمته . وحام حوله حماه فاسمته . وصادت وجهه ضربة أدمته . وكش كمشتكين المييدي فأسره ثم احتز رأسه وحمل الى بغداد وعلق قبالة باب النبوي وزالت بزواله نوبة النبوة الحالة بالحل النبوي واستقام الامر . وأرج النشر . وتولت النماء . وتوالت النماء . وكان طغرليك بواسط فقدم بغداد في صفر سنة ٤٥٢ فعمل له الخليفة في روشن التاج سباطا . وأحضر عليه من أكابر دولته رؤساء وأوساطاً . ثم عمل للسلطان في ثاني ربيع الاول سباطاً آخر . فاضل به من قبله من الملوك وفاخر . وتوجه في خامس الشهر الى الجبل ودخل عميد الملك الى الخليفة فأقامه في موضع الاصطفاء . ولقبه سيد الوزراء .

قال : وفي سنة ٤٥١ احترقت بغداد دار الكتب التي وقفها الوزير شاپور ابن أردشير بن السورين وأخذ عميد الملك ما سلم من النار وكان أحد الحريقين وتوفيت في ذى القعدة سنة ٤٥٢ خاتون زوجة السلطان بزنجان

قال : ولما رحل السلطان استصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة فلما استقر بالرّى . عزم على نشر ما كان من رغبته فى الطّى . وسير قاضى الرّى ابا ساعد صاعداً الى دار الخلافة رسولا . وضمن رسالته فى خطبة السيدة ابنة القائم سؤالاً وسؤالا . وذلك فى سنة ٤٥٣ هـ فندب الخليفة للجواب ابا محمد ابن التميمى للاستغناء وانه لم يجر بهذا سنة الحلقاء ثم قيل له ان عدمت فى الاستغناء الوسائط فاطلب صدقات ثلثمائة الف دينار واعمال واسط فلما وصل ابن التميمى أعلم عميد الملك بالحال فقال اما الاستغناء فلا يحسن مع رغبة السلطان وضراعه فى السؤال . واما طلب المال بالاعمال . فيتمتع لانه يفعل أكثر ما يدور فى خواطر الآمال . والصمت اولى من هذا القتال . فغضى أهل سرّك من هذا السر . ودعنى اتول هذا الامر . فقال ابن التميمى الامر اليك . والاعتماد عليك . والصواب ما تدبره والتدبير ما تستصيه . واثت اعرف بما تخاطب به صاحبك وبما تحببه . فقال عميد الملك للسلطان ان القضية قد تسهلت . وان العقدة قد تحلّت . وان المنية قد امكنت . وان البنية قد تمكنت

فأشاع السلطان خطبته . واذاع رغبته . وتقدم الى عميد الملك بالمسير مع ارسلان خاتون بنت أخيه زوجة الخليفة الى دار الخلافة واستصحب ما جاوز حد الكثرة من الدنانير المبدرة والجواهر المثمنة وسير معها عدة من الاكابر وذوى العلى ومن عظماء الديلم فرامرّز بن كاكويه وسُرخاب بن كامرؤا وكان قد ورّر للخليفة فى تلك السنة مجد الوزراء ابو التتخ منصور بن احمد بن دارست فخرج لتلقى الواصلين الى قرب النهروان والتقى هو وعميد الملك وهما راكبان ودخل عميد الملك بغداد وجلس على باب النوبى فلما وصلت خاتون سار فى خدمتها الى دارها ثم حفرت بيت النوبة وأخذ دواة الوزير بن دارست وأنهى

حضوره وحضور الامراء الذين معه . وادى من الرسالة ماأودعه . فنفر الخليفة وغضب . وغاض ماء بشره ونضب . وقصد الامتناع ومنع المقصود . وسد الباب ولم يفتح الباب المسدود . فشرع عميد الملك يتكلم بكل فن . ويقمع بكل شن . ويقول ما بالكم اقترحتم . ثم امتنتم . وفيهم ذهبتم الى أبعد غاية في الطلب ثم رجعت . وقد خاطرتم عند السلطان بدى . وازلم بما قدمتم من التقدم قدى . فأخرج الى الهروان مضاربه وخلع الالهبة السوداء ولبس اليباض فاستوقفه ابن يوسف وقاضى القضاة . ليستنزلوه من المضارة الى المراضاة . ومازالا يتلفعان به حتى حضر بعد ذلك عند الخليفة دفتين ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود . وبالح في الخطاب وبذل المجهود . وذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٥٣

وقال الخليفة « نحن بنو العباس . خير الناس . فينا الامامة والزعامة . الى يوم القيامة . من تمسك بنا رشد وهدى . ومن ناوأنا ضل وغوى » وكان الخليفة قد كتب الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونمول فيه على امانتك ودينك فقال عميد الملك أسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به الخادم الناصح شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه وسمعت نفسه اليه وأراد أن يقول الخليفة ما يلزمه من الاجابة فقطعن لذلك وغالده وقال قد سطر في الجواب ما فيه كفاية فانصرف عائبا . وذهب مناضبا . وراح راجلا ورد المال الى همدان . وأخبر بالحال السلطان . وكان الخليفة قد كتب الى خمار تكين الطنرائى يشكو من عميد الملك والحاحه فكتب في جوابه يشير بالرفق والتلطف . وينص على التثبت والتوقف . فنسب عميد الملك قطع الحديث في الوصلة الى مخامرة خمار تكين فتغير السلطان عليه فرهب وهرب . وتسرع

وتسرب . وكتب السلطان الى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف
 بالعب الممض . والخطب الممض . وقال هذا جزائى من الامام القائم وقد
 قتلت اخى فى طاعته . ووهبت عمرى لساعته . وانقعت اموالى فى خدمته . وطلبت
 فقرى لثروته . فما باله ما بالى بردى قولى . وقال بردى . وصد قصدى . وقصد
 صدى . وكتب الى عميد الملك بان يقبض الاقطاعات ولا يترك للخليفة الا
 ما كان باسم الامام القادر قديماً . وان يكون لمعارضة أسبابه مستديماً . فحضر
 العميد رئيس المراقين بيت النبوة وعرض الكتب . واعاد العتب . فخرج
 جواب الخليفة ما رجونا من ركن الدين ماصنع . وما توقعنا ما وقع . وبين
 يدك الاقطاعات فاقطعها . وقد ارتفعت الموانع فامنحها

قال : وخرجت السنة والوحشة القائمة قائمة . وعين التائيس عن ازالة
 أسبابها نائمة . فلما دخلت سنة ٥٤٤ هـ أجاب الخليفة فى المحرم منها الى الوصلة
 وكتب وكالة باسم عميد الملك شهد فيها قاضى القضاة وابن يوسف بما سماه من
 تلقظه بالاجابة . وضبطت الشهادات بالكتابة . وسير أبو الفنائم بن المحلبان
 فى الرسالة . واستصحب كتاب الوكالة . فسر السلطان واحتفل . ووفى له القدر
 بما كفل . وعقد المقد فى ظاهر تبريز بالخيم وكان رئيس المراقين بالسكر
 فأعيد الى بنداد فى محبة ابن المحلبان (وسيرت على يده الهدايا وأصبحه برسم
 الخليفة ثلثين غلاماً وجارية أتراكا على ثلثين فرساً وخادمين وفرساً بمركب
 ذهب وسرج مرصع بالجواهر الثمينة وعشرة آلاف دينار) وبرسم السيدة
 عشرة آلاف دينار وتوقيماً بمقربا وما كان لخاتون المتوفاة بالمراق وعقداً
 فيه ثلثون حبة كل لؤلؤة مثقال وبرسم عدة الدين خمسة آلاف دينار . وبرسم
 السيدة والدة المخطوبة ثلثة آلاف دينار وذلك فى شوال من السنة فلما قرب

رئيس المراقين من بغداد لبقاء الناس واستبشروا بانتظام الالفة بين الاماءة والسلطنة فلما وصل الى باب النبى نزل وقبل الارض . ثم وصل الى باب ارسلان خاتون زوجة الخليفة وأدى من خدمتها القرض . وأوصل اليها ما حملة فتولت تسليمه . وباشرت عرضه بالمقام النبوى وتقديعه



ذكر سبب تولى ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه



قال : كانت وزارته فى سنة ٤٥٣ وسبب ذلك ان الخليفة لما عاد الى الدار عدم الوزير . وفقد من يتولى التدبير . فحدث رأيه بأنه يستخدم رجلا خدعه بالحدیثة وهو ابوتراب الاثرى وقد وجده أثر الاثر فلقبه حاجب الحجاب عن الامة . واستخدمه فى الانهاء وحضور المواقب وتنفيذ الاوامر المهمة قال : وكانت بين ابن يوسف وبين الاثرى وحشة حملت ابن يوسف على أن ذكر ابن دارست وقرظه وقال انه مع أمانته يخدم بغير اقطاع ويؤدى مالا فضت الكتب اليه وهو فى شيراز باستدعائه . فقدم الجواب باستعفائه فخرج اليه ابن رضوان ومعه ظفر الخادم لاستقدمه . وقوى عزه . أبو القاسم صهر ابن يوسف فورد بقوة اعتزاه . وكتب عميد الملك عن السلطان الى الخليفة بأنه كاره لاستخدامه واستخدامه لاملأته مع ثروة المال من الكفاية وإعدامه . فأجاب الخليفة انه مع وصوله الى واسط ومفارقتة وطنه لا يجوز رده . ولا يخلف وعده . وقدم بغداد ثامن ربيع الاول سنة ٤٥٣ ووصل الى

الخليفة في منتصف شهر ربيع الآخر وأُفيضت خلع الوزارة عليه . وافيضت مع الوزارة الامور اليه . وبقي في المنصب منتصباً الى رابع ذى الحجة سنة ٤٥٤ فانه صرف من تلك المراتب بل ترك الخدمة مستغنياً . ولرقة جاهه مستجفياً . قال : وكانت وفاته بالاهواز حادى عشر شعبان سنة ٤٦٧

— ذكر حوادث في هذه السنين —

قال : في سنة ٤٥٠ توفى القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ببغداد عن مائة سنة وستين وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفق ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك الكندري جنازته ودفن بالجانب الغربى عند قبر الامام أحمد ابن حنبل

قال : وفي آخر هذه السنة توفى أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي وقد كان في العلم بحراً زاجراً . وفي الشرع بدراً زاهراً . قال « بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة (يعني الحاوي) واختصرته في أربعين » (يعني الاقتناع) فيالهما من بحر من نصباء . وبدرين غرباً . وطودين وقماً . وجودين . أقلاًما .

قال : وفي سنة ٤٥٣ توفى قريش بن بدران وتولى ولده مسلم اماره بني عقيل وتوفى في شوالها نصر الدولة أبو نصر بن مروان بميفارقين عن نيف وثمانيين سنة وفي يوم عرفة من سنة ٤٥٤ وزر نغر الدولة أبو نصر محمد ابن

محمد بن جهمير للخليفة وسبب ذلك أنه كان مقبياً بميفارقين عند ابن مروان في جاه وعز أمره ناهٍ فسمت همته وعلت سعادته . وكتب الى الخليفة يرغب في زيارته لوزارته وأنه يبذل بذلاً ويحمل حمولاً فتدب اليه من دار الخلافة نقيب النقباء الكامل أبو القوارس طراد بن محمد الزينبي وقرر ما أراد تقريره . ودبر ما شاء تديره . فخرج من ميفارقين عند انفصال نقيب النقباء ليودعه وسار معه . وفات ابن مروان ولم يلحقه لما تبعه . وخرج الناس عند وصوله الى بغداد لاستقباله ونزل بالحريم الطاهري ومكث ثمانية أيام حتى جاوز البكسوف . ونشق نشر العز المشوف . وتبين يوم عرفة فحضر بيت النوبة وقد أسعدته السمادة . واجتمع هنالك من طبقات الناس من جرت به المادة . واحتفل له الخليفة بالجلوس وطلع نور المين من أفقه . وقرأ أمين الدولة أبو سعد ابن الموصلايا توقياً خرج في حقه



— ذكر وصول السلطان طغرل بك الى بغداد —



قل رحمه الله: في محرم سنة ٤٥٥ توجه السلطان الى بغداد من أرمية
بزم الدخول على الزوجة وخرج تخر الدولة بن جدير وللقاه بالقفص في
الموكب الاعظم والابهة الباهرة. والاهبة الزاهرة. ونزل عسكره بالجانب
الغربي فزادت به الازية. وارتاعت الرعية. ووصل عميد الملك الى السدة الشريفة
مطالباً بالشريفة السيدة فوقت الاجابة في نقل الجهة الى دار الملكة. ونزلت
منها في الهجرة الشرقية باليمن والبركة. وزفت في ليلة النصف من صفر وجلست
على سرير ملبس بالذهب. يحطف النواظر منه أشعة الذهب. ودخل اليها
وقبل الارض وخدمها وجلس بازائها على سرير ملبس بالقضة وقد كان انفذ
لها مع بنت اخيه زوجة الخليفة عقدين نفيسين ثمينين. وجاما خسروانيا من
ابرز العين. وفرجية من نسيج الذهب مكللة بالحب. وصارت نفسه لها
موكلة بالحب. وظهر منه بها سرور. وسره منها لشرفه ظهور. وبقي مدة
اسبوع يهب ويخلع. ويمنع ولا يمنح. وخلع على عميد الملك وعلى الامراء.
وأفاض التشريفات على الاكابر والعظماء. فقد كان ورد منه الى بغداد
أبو علي ابن الملك أبي كالجار وهزارسب وفراسرز بن كاكويه وسرحاب
ابن بدر بن مهمل فاما منهم الامن أفيضت عليه الخلع الرائقة. وأضيفت له
المطايا اللائقة.

قال: وحضر عميد الملك في تاسع شهر ربيع الاول بيت النوبة. واستأذن

للسلطان في الأوبة . وان يستصحب السيدة والخاتون . وذكر أنهم بعد مضيه عن قريب آتون . فأذن في ذلك الخليفة وكانت ارسلان خاتون قد حملت من اطراح الخليفة لها غمًا . وأما السيدة فقد كره الخليفة مسيرها فلما مضت أمضت بآلم فراقها . وومضت لآمل رفاقها . ولما انفصل السلطان عن بغداد اذن لهذا راسب في المضي الى الاهواز . مرعيًا بالاعزاز . فأنه مكث على بابه ثلث سنين لا يؤذن له في الانفصال . ولا يؤذن اربه المفارق بالوصال . وعقد ضمان بغداد على ابي سعد القايني ثمانية وخمسين الف دينار فاعاد كل ما أبطله رئيس المراقين من ضر الضرائب . وشر النوايب . وقد كان هذا يتولى مطبخ عميد الملك وهو استاذ داره . فجري المقدور برفع مقداره .



ذكر وفاة السلطان طغر بك بالرى

قال : وفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة ٤٥٥ توفى طغر بك بالرى فاضطرب بهلكه الملك وبلغ عميد الملك نفيه وهو على سبعين فرسخا من الرى فقعاها في يومين اشفاقًا . من تشويش يتم . وتشوير يتم . فوصل وهو بحاله لم يدفن ولم يقبر فتولى دفنه وتوخي سكون الخلق وأمنه ومنع الغلمان من شق الثياب . وأخرج جميع ما كان يملكه على المسكر حتى الدواب . وأجلس سليمان بن داود ابن أخى السلطان وكانت أمه عنده ونصّ عمه عليه . وقرر الامر له وفوضه اليه . فسكنت الممالك . وأمنت المسالك .

❦ ذكر سيرة طغربك رحمه الله ❦

قال : كان كريماً حليماً محافظاً على الطاعة . وصلاة الجماعة . وصوم الاثنين والخنيس وكان يلبس الواذريّ والبياض . وأشبهت أيامه بمحاسن سيرة الرياض . وكان لا يرى القتل ولا يسفك دمأ . ولا يهتك محرماً . وكان شديد الاحتمال . سديد الافعال (حكى عنه أقضى القضاة الماورديّ أنه توجه في رسالة القائم اليه في سنة ٣٣٣هـ فكتب فيه كتاباً ضمته الطمن عليه والقدح فيه . وغمط مجاسنه وبسط مساويه . ووقع الكتاب من غلامى فحل اليه فوقف عليه ثم ختمه وكتبه ولم يتخير عن عادة اكرامى . وشبهة احتراىم قال : وكذلك ذكر أن بعض خواصه كتب مطلقات الى الملك ابى كالجبار . يطلمه فيها على بعض الاسرار . فوقت في يده فاخفاها . وداوى هفوته بحلمه وشفافها . وكان كثير الصدقات حريصاً على بناء المساجد متمبداً متمجداً . ويقول استمحي من الله أن أبني داراً ولا أبني بمجنها مسجداً

قال : وحكى عميد الملك أنه لما مرض قال انما مثلى فى مرضى مثل شاة تشد قوائمها لجز الصوف فتظن أنها تذبح فتضطرب حتى اذا أطلقت تفرح ثم تشد قوائمها للذبح فتظن أنها لجز الصوف وتسكن فتذبح وهذا المرض شد القوائم للذبح وكان كما قال . قال : وتوفى وعمره سبعون . قال : وحكى عميد الملك أن طغربك قال له رأيت منامى فى مبتدا أمرى بخراسان كأنى رفعت الى السماء وقيل لى سل حاجتك تقض فقلت ما شئ أحب الى من طول العمر فقل عمرك سبعون . قال : قال عميد الملك وكنت سألته عن السنة التى ولد

فيها فقال السنة التي خرج فيها الخان القلافي بما وراء النهر فلما توفي حسبت
المدة فكانت سبعين سنة كاملة . قال : ولما وصل خبر وفاته الى بغداد جلس
الوزير نضر الدولة ابن جبير للمزاء به في صحن السلام في السادس والعشرين
من شهر رمضان

— — — — —
 ذكر جلوس السلطان عضد الدولة الب ارسلان — — — — —
 (أبي شجاع محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق)

قال : توفي أبوه داود ببلغ سنة ٤٥٠ وقام مقامه ولما خطب لاختيه
سليمان بالري بعد وفاة طغر بك مضى ارسلان وأردم الي قزوین وخطب
لالب ارسلان وبلغ عميد الملك ذاك فاقام الخطبة بالري لالب ارسلان وبعده
لسليمان . وأقبل عضد الدولة الب ارسلان من نيسابور يطوى السهول
والوعور . وأقبل اقبال الضيف الضارى . وأقدم اقدام للخضم الجارى . وكان
ابن عم أبيه قتلش بن اسرائيل في كردكوه وقد طمع في الملك . ولم يعلم
أن ذاك يورطه في الهلاك . فعارضه في جموعه فتقابلا وتقاتلا وأنجبت المعركة
عن قتل قتلش وكانت منيته في شور القرس به . وقتل الب ارسلان
من التريكان عدة وافرة . وحاز من أموالهم غنية ظاهرة . وساق
حتى وصل الى خوار الري ظافر الجند . ظاهر الجند ومعه وزيره نظام
الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي فتلقاه عميد الملك في حشمه
وخدمه . وكوسه وعلمه . وعربه وعجمه . وأجلسه على السرير . وجرى

على عادته معه في التدبير . فنار نظام الملك من استقلاله . واحتال مدة في قبضه واعتقاله . فلما كان في محرم سنة ٣٥٩ زار عميد الملك نظام الملك زيارة ايناس واعتذار . وترك بين يديه منديلا فيه خمسمائة دينار . فلما انصرف من حضرته . سارا أكثر المسكر في خدمته . فتخوف السلطان من عاقبة ذلك ومنعته . فأمر بقبضه وأنفذه الى سرو الروز ومكث سنة في الاعتقال بها ثم سير اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم . وأخبراه بأن قتله أمر محتموم . وأنظراه حتى اغتسل وتوضأ وتاب ودخل لوداع أهله وخرج الى مسجد ففعل ركعتين . واستسلم للقضاء المقدّر بالحين . ووجد النلطة من الغلامين . وضرباه بالسيف وأخذوا رأسه وحملوه الى السلطان بكرمان وأما جسده فأنه لقت في خرقة كانت لفافة البردة النبوية كان استهداها من الخليفة . وفي قيص ديسق من ملابس القائم الشريفة . وقبر في قبر أبيه بكندر . وكانت مدة وزارته ثمانى سنين وشهورا . ولم يزل موسم جاهه فيها مشهورا مشهورا . وكان عمره نيفاً وأربعين سنة . وكانت محاسنه مفضلة وفضائله محسنة . لكنه لكنه تهووه وتهوينه . وغاية غيه في سوء التدبير وتوهينه . قصرت يده الطولى عن استمالة القلوب الجافية . واستلانة الخطوب الآية . قال : وكان يرجع الى حسب ونبل . وأدب وفضل . وهو الذى يقول

الموت مرّ ولكنى اذا ظلمت * نفسى الى المجد مستحل لمشربه
رئاسة باض فى رأسى وساوسها * تدور فيه وأخشى أن تدور به
قال : وكان خصياً وسبب ذلك ان طغربك أنفذه فى ابتداء حاله .
وريمان اقباله . ليخطب امرأة فزوجها لنفسه وعمه . ولما ظفر به اقره على خدمته بمد ان خصاه . وكان حنفى المذهب كثير التمسب لمذهبه والذهاب

مع عصبه . ثم فارق التمصب وجمع بين المصابتين . وحسن رأى اجتهاده
 فى الاصابتين . وكان سبب معرفته بظفر لبك انه لما ورد نيسابور افتقر الى
 كاتب يجمع فى العربية والفارسية بين القصاحتين فدلّه عليه الموفق والدأبى
 سهل فظفر منه بشاب فى رأى كهل

— ذكر نظام الملك —

قال : ولما صرف عميد الملك وعزل . ونقل الى حيث اعتقل . استوى
 أمر نظام الملك وبزغت بالسناء شمس . وبلغت الى نفسه . وعلا علمه .
 وجرى قلمه . وترفت وصادته . وتفرغت سيادته . ومضت مضاربه .
 ومضت سحائبه .

﴿ ذكر ماجرى لألب ارسلان بعد ملكه ﴾

قال رحمه الله: كان قاورد بن داود أخوه قد استولى على كرمان في زمان
عمه طغر بك في سنة ٤٤٧ وملك شيراز في سنة ٤٥٥ وقتل كل ديلمى بها
وسفك وھتك . وبطش وأوحش . وخالف أخاه ألب ارسلان . واعتصم
منه بمدينة برد شیر بکرمان . فسار إليه ألب ارسلان وآمنه وأخذ قلعة
اصطخر وأناه مستحفظها بتحف فيروزج وكأس زمرد لم ير مثلاً . وشمل
بلاد فارس احسان الدولة وعدلها .

قال : ووصل إليه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قریش في سنة
٤٥٧ فأكرم وفادته . وأكثرافادته . وأجرى في اقطاعه هيت والأتبار
وحربى والسن والبوازيج ووصل شرف الدولة هذا الى بغداد في شهر ربيع
الآخر سنة ٤٥٧ فلقاه الوزير . نخر الدولة ابن جھير . وألنى من اقباله عليه
خير ظهير . قال : وأوغل السلطان في بلاد الحزر من طريق نخجوان .
وكنز لاعانة الايمان ونصره الانصار والأعوان . والجأ ملك الابخاز بقراط
ابن كيؤركى الى طلب هدنته . وعرض ابنته . فتزوج بها وهادنه . وقبل بذله
وامنه . ثم طلق الملكة الكرجية وزوجها لنظام الملك وزيره وسار وفتح
بلد آنى وعنت له البلاد . واذعنت العباد . وسرّي البأس وسرّ الناس .

﴿ ذكر وصول شرف الملك أبي سعد محمد بن منصور بن محمد ﴾

﴿ مستوفى المملكة الى بغداد ﴾



قال : وكان وصوله الى بغداد في صفر سنة ٤٥٩ ، وقد كان جليل النسب .
 حلّ الحسب . وما تولى للسلاجقية مثله كرمًا وخيرًا وفضلاً كثيراً وغنى وغناء .
 وسنا وسناه . قال عماد الدين رحمه الله : وكان جدى لأمير الدين عليّ المستوفى
 رحمه الله كاتباً له في ريمان عمره . وغنقوان أمره . الى ان صار بمدكاتباً لحزنة
 السلطان محمد بن ملكشاه وكان يحذتي في صغرى وهو شيخ كبير عن شرف
 الملك بكل ما يدل على سيادة نفسه ونفاسة سودده . وذكر أنه كان مع
 فضله ذا تفضل . ومع اجماله ذا تجمل . وحكى أنه كانت له ثمانمائة وستون
 كسوة مكحلة . مفضلة معزلة على عدد أيام السنة من الملابس الفاخرة فيلبس
 كل يوم ما يناسبه من أيام الفصول الاربعة . فاذا خلع منها أو وهب . أعاد
 خازنه الى الخزنة عوض ما ذهب . فلما وصل الى بغداد حضر بيت الزوبة
 في ثاني عشر صفر فبشر بإقباله سفيرا وجه القبول . وسفر وخدم الخليفة
 بمصحف جليل وقطعة بلخش في منديل . وأوصل كتاب السلطان في خريطة
 سوداء : و سرّ الاوداء . وساء الاعداء . قال : ووجد نواب نظام الملك
 الوزير قد شرعوا في بناء المدرسة فاغتم اقداره على الاقتداء وبني على ضريح
 أبي حنيفة رحمه الله بباب الطاق مشهداً ومدرسة لأصحابه . وأعلم بمعلمها
 ثوب ثوابه . قال : وكتب الشريف أبو جعفر البياضى على القبة

ألم تر هذا العلم كان مشتتاً • فجمعه هذا المغيّب في الاهد
 كذلك كانت هذه الارض ميتة • فأنشروها بفضل الميديداني سعد
 قال : ووصلت ارسلان خاتون زوجة الخليفة الى بغداد في مستهل
 جمادى الاولى سنة ٤٥٩ • واستقبلها الوزير نغر الدولة على فراسخ • وجلا
 بنغر نغره السافر وطود وقاره الراسخ • ووقفت موكبها له عند القرب من
 الالتقاء • وخدمها على ظهر فرسه بالدعاء • وأقبلت وقبلت • ودخلت وخات
 وعادت الى عادة السعادة • ووافت للزيادة • للأبقاء على الزيادة •



ذكر حوادث طواري وطوارق واتفاقات وموافقات



قال : في شهر رمضان سنة ٤٥٨ توفي محمد بن الحسين بن القراء شيخ
 الحنابلة • وناهج طريقهم السابلة (وفي هذه السنة استتم بناء المدرسة النظامية
 ببغداد وانتظمت أحوالها • وسكنها من حملة الشريعة رجالها • ودرس فيها
 الشيخ أبو اسحاق الشيرازي رحمه الله فأحيى من العلم ما درس • وكشف من
 الحق ما التبس • وشرح الأصول وفرعها • وأوضح الأدلة ونوعها • وفي
 سنة ٤٦٠ توفي الشيخ عبد الملك أبو منصور بن يوسف وكان من أمائل
 بغداد وأعيانها • والرجوع اليه في نوائب الليالي وحدائنها • وكان قد أجمع
 الناس على صلاحه واستجادة رأيه واسترجاحه • ومن جملة خيراته انه تسلم

البيارستان المضدى وقد استولى عليه الحراب . وناب أوقافه بالنواب
فعمره وطبقه وأحسن في أحواله ترتيباً . وأقام فيه ثلاثة خزان وثمانية وعشرين
حليياً . قال : ورثاه أبو الفضل صرّ درّ بقصيدته التي أولها

لأفلتنا في ذا المصاب عزاء * أحسن الدهر بعده أم أساء
قال : وفي هذه السنة توفى أبو الجواثر الواسطي وكان شاعر زمانه .
وفارس ميدانه . وفي هذه السنة توفى أيضاً أبو جعفر الطوسي بمشهد أمير
المؤمنين على عليه السلام وكان امام الشيعة وهو الذي صنف التفسير . ويسر
من أمورهم السير . وفي جمادى الأولى من هذه السنة كانت زلزلة بأرض
فلسطين أهلكت الديار وأتلفتها . وخربت . بانيها ونسفتها . وفيه توفى صاحب
ديوان الزمام أبو نصر محمد بن أحمد المعروف بابن جميلة ورثاه أبو الفضل
بقصيدة منها

إن يكن للحياه ماء فما كان له خير ذلك الوجه مژنا
لحف نفسى على حسام صقيل * كيف صارت له الجنادل جفنا
ونفيس من النخائر لم يسؤ من عليه فاستودع الأرض خزنا
قال : فرتب في ديوان الزمام أبو القاسم بن نضر الدولة بن جهر . ولقب
عميد الرؤساء . واجتنب خلعة الاجتباء . ودمحه أبو الفضل بقصيدته التي أولها
صبتحا الدمع ومسأها الأرق * كم بين هذين بقاء للحدق
وفى ثاني عشر رجب ورد الي بندگان أبو العباس الخوافي عميدا . وقدم
ببخوافي جاهه وقوادمه حميدا . قال : وعزل الوزير نضر الدولة بن جهر ليلة
المهرجان في ذى القعدة بالتوقيع الامامى بمحضر من قاضى القضاة أبي عبد
الله البامفاني فسار الى نور الدولة دبيس وهو بالقلوجة فأواه . وأكرم مثواه

وقد كانت الوزارة تقررت لأبي يولي والد الوزير أبي شجاع وهو كاتب
هزارسب بن بنكير فسكتب للزيارة . وخطب بالوزارة . فورد الخبر بمرضه
يوم صرف ابن جهير . وبوفاته يوم وصوله الى القلوجة كما جرى به قلم
التقدير .

وفي سنة ٤٦١ عول الخليفة في الوزارة على أبي الحسن ابن عبد الرحيم .
فثار العوام وقالوا لاطاقة لنا من ظلمه بورود الجحيم . فهو الذي أتى بالبساسيري
وأعلن لحداث الاليالي . وقالت خاتون هو الذي نهب مالي . فصرف قبل التصريف
. ونكر قبل التعريف . ولم يزل الخليفة فيمن يستوزره يفكر حتى كاتب نور
الدولة الخليفة في معنى ابن جهير وذكر أنه خير وزير وظهير فاجاب الى
اعادته . الى مادته . ووصل في ثلثي عشر صفر وجلس له في التاج . ووجد أهله
بالنجح مفتوح التاج . وقال له الحمد لله جامع الشمل بمد شتاته . وواصل
الحبل بمد بتاته . وفي تلك النبوة مدحه صردر أبو الفضل بقصيدته التي مطلعها
قد رجع الحق الى نصابه . وأنت من دون الوري أولى به
وركب هو وولده في موكب واجتاز في جميع محال الجانب الغربي
وشر عليه أهل الكرخ اكياس الدراهم والدنانير وخرج اليه توقيع من انشاء
ابن الموصلايا . وتسنت له المراتب السنايا .

قال : وفي النصف من شعبان هذه السنة احترق جامع دمشق فقعج
الاسلام بمصابه . وصلت النيران في محرابه . واشتعل رأس القبة شيئاً بما
شبت . وأكلت أم الليالي منها ما ربت . وطار النسر بجناح الضرام .
وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام . وكأن الجحيم استجارت به فتسكت
بذيله . أو كأن النهار ذكر ناراً عنده فعطف على ليله . فوها له من مسجد

أحرقته نفحات أنفاس الساجدين . وعلقت فيه لمحات قلوب الواجدین .
وقبل أصابت حسنها الميون . وأتهم بذلك الولاة المصريون . ثم تداركه الله
باللطف والاعطفاء . وأتاه بالشفاء . بعد الاشفاء . وقال حسبہ اصطلاء
واصطلاما . وحقق فيه قوله قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً .

قال : وفي سنة ٤٦٢ أقبل كلب الروم في جموعه وأخنى على من بمنّيج
واجتاحها . واستبيحها . واستباحها . وعاد الى قسطنطينيته وقد ساءت آثاره
والدين قد نارتأره . وفي هذه السنة زوج نظام الملك بنته لمعيد الدولة ابني
منصور محمد بن غفر الدولة الوزير بن جبر . وصارت له مصاهرته خير
ظهير . وكان عميد الدولة قد توجه الى السلطان بالرى في رسالة تفتي بكرامة
وجلالة . واستتمت له هذه المصاهرة . واستتبّت المظاهرة . ووصل في
رجب وفي صحبته رسل محمد بن ابني هاشم وقد كان بشم الى السلطان وضمن
لهم اقامة الخطبة بمكة حرسها الله تعالى له وخلع الخليفة على عميد الدولة في بيت
التوبة فرفل في ملابس الاصلطناع . وجعل اليه الانهاء والمطالبة ومراعاة
الاقطاع . وقرئ له توقيع من انشاء ابن الموصلايا تمكن به من افتراء عذرة
الارتقاع وتصدر في الوسادة . وتصدى للسيادة . وفي هذه السنة توفي
تاج الملوك هزاسب بن بنكير بن عياض . منصرفاً عن باب السلطان الب
ارسلان . وهو خارج من اصفهان على قصد خوزستان . وكان قد علا أمره
وعرض جاهه وتزوج بأخت السلطان . واستظهر منه بالمكانة والامكان .
وتزوج بعده مسلم بن قريش بأخت السلطان زوجته . وتدرج الى درجته .
وفي هذه السنة ورد أمير الحرم بن محمد بن أبي هاشم الحسيني الى بغداد على
قصد الوفادة الى السلطان فكتب الخليفة معه بعد ان شرفه ورفقه . وعاد في

محرم سنة ٤٦٣ من المسكر السلطاني على باب آمد . وقد استفاد الزوائد .
وأفاد المحامد .

ذكر أحوال الب ارسلان بديار بكر والشام

قال رحمه الله : ولما توجه الب ارسلان الى ديار بكر خرج اليه نصر بن
مروان و تلقاه وحمل له مائة الف دينار فقبل احسانه وأحسن قبوله . وسأل عن
قضاياه وقضى سوله . وقيل أنه قيل له إن هذا المال قد قسطه على البلاد فامر
برده . وعف عنه وعاف وبيل ورده . وانتهى الى آمد آمد من قصده . فوجد
نذرهما ممتنكاً . وسورها مرتفعاً . فسح السلطان للتبرك به يده على سورها
وأمرها على صدره . ثم توجه منها الى الشام وعبر بالرها . وتذكر عليه أمرها .
فحل بحلب وشرع في حصارها . وأحاط بأسوارها . وصاحبها حينئذ محمود بن
صالح بن مرداس . وكان قد خطب في تلك السنة لبني المباس . وقد وجد
لشريف الخليفة خلف سروره جافلا . وأصبح في ملابس الجلال وخلع الجلال
رافلا . وعنده . من جانب الخليفة نقيب النقباء الكامل أبو التوارس طراد بن
محمد الزينبي فضايقه الب ارسلان وأخذ بمخنقه . ووقف على طرقة . وخرج
نقيب النقباء وسأل أن ظل الأكرام عنه لا يقاص . وأن ورد الانعام عليه لا ينقص .
فأبى الرضى عن محمود الا بدوس بساطه حامداً راضياً . ولمفوه عافياً . ولحق
طاعته وضراعه متقاضياً . فلم يخرج اليه فاحتد القتال . واحتدم الزوال .

وطال الحصار، وطارت الاحجار . ووقع في فرس السلطان حجر استشاط من وقعه . وخاف محمود لما ضاق به الامر من اتساع خرق يعجز عن رقعته . ففرج ليلا الى السلطان ومعه والدته منيمة بنت وثاب النميري يخضعان ويضرعان وقالت للسلطان « هذا ولدى قد جئتك به فافعل ما تحب . وقد اعترفنا وعرفنا أن سلامتنا الا بسلك لا تستب » قال : ففعا السلطان وصنح وأعاد محمود آل مكانه محمود المكانة . وقد ارتفع بالتواضع وتسامى بالاستكانة . وأمنت الشبهاء . وسكنت الدماء .



— ذكر خروج ملك الروم وكسره وقسره وأسرده —

قال : وبلغ السلطان خروج أرمانوس ملك الروم في جمع لا يحصى عدده . ولا يحصر مدده . فلما سمع هذا الخبر أخذ السير الى آذربيجان اذ سمع أن ممالك الروم أخذت على سمت خلاط . وكان السلطان في خواص جنده فلم ير أن يعود الى بلاده ليجمع عساكره . ويستدعي من الجهات للجهاد قبائل الدين وعشائره . فسير نظام الملك وزيره وخاتون زوجته الى تبريز مع أشقائه . وبقي في خمسة عشر الف فارس من نخب رجاله . ومع كل واحد فرس يركبه وآخر يجنبه والروم في ثلثمائة الف ويزيدون ما بين رومي وروسي وغزني وقفجاق وكرجي وأنجاني وخزري وفرنجي وأرمني . ورأى السلطان أنه ان تمهل لحشد الجموع ذهب الوقت وعظم بلاء البلاد . وثقلت أعباء المباد . فركب في نخبته وتوجه في عصيته وقال « انا احتسب عند الله نفسي وان سعدت

بالشهادة في حواصل الطيور الحضر من حواصل النسر النبر رمسى . وان
نصرت فما أسعدنى . وأنا أمسى . ويومى خير من أمسى »

ثم توكل على الله وسار بهذه العزيمة الماضية القوية . والصريمة الصارمة
الروية . وكان متلك الروم قد قدم رؤساء مقدمين من الروس في عشرين
الف فارس ومعهم عظيمهم الأصلب وصليهم الأعظم وخالطوا بلاد خلاط
بالبلاء . والسلب والسبأ . فخرج اليهم عسكر خلاط ومقدمهم صنداق التركى
فصب صبح البيض على ليل النقع المظلم . وخاض الى الز مشرراً نار الحريق .
المتضرر . وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاد قائدهم فى القيد أسيفاً أسيراً . فأمر
السلطان بمجدع أنفه . وارجاء حتفه . وذلك يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة
٤٦٣ . وعجل الصليب السليب الى نظام الملك ليجعل انفاذه الى دار السلام .
مبشراً بسلامة الأسلام . ونلاحق عسكر الروم ونزل على خلاط محاصراً .
وأهلها واثقون بالله الذى لم يزل لدينه ناصراً . ونزل متلك الروم على منازل كرد
فى انصار نصرانيته . وعمداء مموديته . فأنزعج سكانها . وتزعزعت أركانها . وعدوا
انه ليست لهم بما نزل بهم طاقة . وان دماءهم لاشك بسيوف الكفر مہراقۃ
نفرجوا بأمان وسلموا البلد فيتهم تلك الليلة عند بلاطه . تحت احتياطه . فلما
بكر يوم الأربعاء سيرهم بأسرهم فى أسر وأردفهم بمسكر مجر وخرج ليشيعهم
بنفسه . وهوى جماعة حماه وحسه . ووافق ذلك وصول أوائل العسكر السلطانى
ووقعت العين فى العين . واجتمعت على المجادلة اجدال الجميع . وجرى الخيل .
وجرف السيل . وانجمر من الأرض على السماء الذيل . وصحت على الروم كسرة
اردتهم . وصدقهم عن مقصدهم وصدتهم . فأنكسوا الى مجثمهم فى تخيمهم
وانكشفوا بما تم من عرس الاسلام بأنعمهم . وشرعت المناز كردية يتسللون

فقتل الروم منهم من أدركه أجله ونجا الباقون . وعرف الروم أنهم للموت ملاقون .
 . وعاد متسلّكهم الى مضاربهم ويات تلك الليلة والكوسات تصرخ . والبوقات
 تنفخ . ولما أصبحوا بكرة يوم الخميس وصل السلطان اب ارسلان ونزل على
 النهر ومعه من الغائلة الاثراك خمسة عشر الف فارس لا يعرفون سوى
القتل والقهر . وكلب الروم نازل بين خلاط و مناز كرم في موضع يعرف بالزهرة
 . هو في مائتي الف فارس من ذوى القلوب المدهمة والوجوه المكفهرة وذين
 الفسكرين فرسخ . وبين مجرى التوحيد والتثليث برزخ . فارسل اب ارسلان
 رسولا . وحمله سؤالا وسولا . ومقصود ما يكشف سرهم . ويتعرف أمرهم .
 ويقول للملك ان كنت ترغب في هدنة آتمناها . وان كنت ترصد فيها توكلنا
 على الله في العزيمة وصمناها . فظن انه انما راسله عن خور فأبى واستكبر . ونا
 وتسمر . وأجاب بانى سوف أجيب عن هذا الرأى بالرأى . وانتهى عن النهي الى
 ضاية النهي . فاغتاض السلطان وارتفعت بينهما المخاطبة . وانقطعت المواصلات . ولبث
 يوم الخميس الخميسان يميّان . ولما عي المنون يليان . والشمس تشكو حرّ
 ما تساعد اليها من زفرات الاحقاد . وكأنما شعاها دم اراقته على الآفاق
 وخزات تلك الصعاد . والطلائع . على المطالع . والمنايا . على الثنايا . والعزم
 السلطاني الى اللقاء مشرب . وللمضاء مستتب . فقال له فقيهه وامامه
 أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى « انك تقايل عن دين الله الذى وعد
 باظهاره فالتهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر » فلما
 أصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج . وارتجت السماء بالعجاج .
 وقد لقحت الحرب العوان بالمنهدة الذكور . والمسومة الفحول .
 والكهامة الهامة يحمون حى الحمام ويحمون حول الدحول . ووقمت الطوالع

في الطوالح . وقرعت القواطع بالقواطع . وغنت الظبي ورقصت المرنان .
 ومال القنا وجالت القرسان . ودارت الكؤوس . وطارت الرؤس . وما
 فتئت القتبان تجور وتجول . والحرسان تصوب وتصول . الى ان دنا وقت
 الزوال . ودان لمت الدين مقت النزال . وصدحت أعواد المنابر بالخطباء .
 وصدقت نيات أهل الجلمة للمجاهدين في اخلاص الدعاء . فنزل الب ارسلان
 عن فرسه وشد للحزم حزامه . وأحكم سرجه ولجامه . ثم ركب جواده . وثبت
 فؤاده . وقوى قلبه . وسوى قلبه . وفرق أصحابه أربع فرق كل فرقة منهم في
 كمين . وراح وله من الروح الأمين مجير أمين . ولما علم أن الكمين مكين .
 وأن الضمير شاهد بما يشهده من النصر ضمين . تلقى بوجه الحر حرا الحرب
 واستعلى طم الطعن وضرب الضرب . وحمل متملك الروم بجمعه . وأخذ
 ببصر الدهر وسمعه . وأقبل كالسيل يطلب القراز . والليل يسلب النهار .
 وثبت لهم خيل الاسلام ثم وثبت . وجالت وما وجلت . واستجرت الروم
 الى ان صار الكمين من ورائها . ووقفت المنون بازائها . ثم خرج من خلفها
 وذووا الأقدام . من قدأماها . ووقعت نار البيض في حلقاء هامها . فأذنت
 بأنهم زامها . وانكسرت كسرة لا تقبل جبراً . فطائفة لم تثبت للقتال ولم
 تصبر وطائفة تثبت فقتلت صبراً . فأنجحت من أولئك الألوف آحاد . وما
 سلت من أعداء الاسلام اعداد . وملك الملك ووقيد وقيداً . وأسر
 ولم يجد له مميناً ولا معيذاً . وركب المسلمون اكتافهم . وقتل الآحاد آلافهم
 وطهرت الأرض من خبثهم . وفرشت بجثثهم . وصارت الوهاد باشلاء القتلى
 أكماء . والمروت من قصد القنا أجماء

قال : وكانت مع الروم ثلاثة آلاف عجل تنقل الاحمال . وتحمل الاشغال

ومن المنجنقات التي تحملها منجنيق هو أعظمها وأثقلها . له ثمانية أسهم ويمد فيها الف ومائتا رجل ويحمله مائة عجل يرمي حجراً وزنه بالرطل الكبير الخلاطى قنطار . وكأنه جبل له في الجو مطار .

قال : وشملهم بأسرم القتل والأسر . وبقيت أموالهم منبوذة بالعراء لا ترام . وهـ مروضة لاتسام . وسقطت قيم الدواب والكرع . والسلاح والمتاع . حتى بدت بسدس دينار اثنتا عشرة خوذة وبدينار ثلاث ادراع . ومن عجيب ما حكي في أسر الملك انه كان لسعد الدولة كوهرايين مملوك اهداه لنظام الملك فرده عليه . ولم ينظر اليه . فرغبه فيه كثيراً . فقال نظام الملك وما يراد منه عسى ان يأتينا بملك الروم أسيراً . وذكر ذلك استهزاء به واستصناراً لقدره . واختاراً لأمره . فاتفق وقوع ممتلك الروم يوم المصاف في أسر ذلك الغلام . ووافق تصديق قول النظام . وخلع السلطان عليه وقال « اقترح من العطاء ما أعطيك » فطلب بشارة غزنة

قال : ودخل السلطان الى اذريجان بملكه وأيده . والملك في قيده . وصيده . وهو أسيف جهده وأسير جهله . ولا يحقيق المكر السيئ الا بأهله . فانه خرج وفي نيته فتح الدنيا وحتف الدين . وقهر السلاطين ونصر الشياطين . ثم ذل بعد المزّ وهان . وتعرض للابتدال كل ماصان . ثم تعطف عليه السلطان وأحضره بين يديه وقال « اخبرني بصدقك في قصدك وما الذي قدرت لو قدرت » فقال : « كنت احسب اني أحبس من أسرته منكم مع الكلاب . واجعله في السبايا والاسلاب . وان أخذتكم . أسورا اتخذت لك وقد ساء جورى ساجورا » فقال السلطان « قد عثرت على سرّ شرك فما ذاك الآن نصنع . ونحن منك بما نؤيته فينا لاتقنع » فقال « انظر عاقبة فساد

نيتى والمقوبة التى جرتها الى جريرتي « فرق له قلب الب ارسلان وأرسله
وفك قيده ووصله وأفرج عنه معجلا . وسرّحه . معجلا . ولما انصرف الملك
ارمانوس مأنوساً رمي ناسه اسمه . ومحو من الملك رسمه . وقالوا هذا من
عداد الملوك ساقط . وزعموا ان المسيح عليه ساخط .

— ❦ — ذكر احداث حدثت فى هذه السنين ❦ —

قال : فى آخر سنة ٤٦٣ توفى أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المحدث الخطيب
مؤلف تاريخ بغداد وكان علامة دهره . وعالم عصره . وفى سنة ٤٦٤ كان
السلطان رتب لبغداد شحنة يقال له آيتكين السليمانى ووردها فى شهر ربيع
الأول فلم يرض الخليفة بتوليته وذلك لأن ابنه قتل أحد العلمان الدارية فصرفه
السلطان بسعد الدولة كوهرايين ووصل الى بغداد فى شهر ربيع الآخر .
فى جمع كالبحر الزاخر . ووقع باقباله الاحتفال . ورتب لحفله الاستقبال .
وخرج الناس على طبقاتهم لتأليه . وجرى القدر بترقيه . وجلس له الخليفة
فى دار ارسلان خاتون وتهذب البلد بسياسة . وتمت الحماية بحميته . وورد
فى آخر شهر ربيع الاول الوزير أبو الملاء محمد بن الحسين وعليه خلق سلطانية
وكان قد نبه السلطان الى خدمة الخليفة . لتقوية ما توهمه من الاسباب الضعيفة .
وخصه بالحلب والحلباء . ولقبه بوزير الوزراء . وأقطعته النصف من اقطاع
الوزير نغر الدولة ابن جهير . فلما وصل تقدم الخليفة بأن لا يستقبل . ولا يحتفل

بهذا أقبل . ولا يقبل . فلما انتهى الى باب النبى نزل وقبل الارض وانصرف . ولم يرض للقبول وما تصرف . وأقام ببنداد أياماً ثم رحل وحلّ بالحلة المزينة مستزيداً . وصرف أخوه أبو المعالي عن الحجية فماد بعد ان كان حاجباً قريباً محجوباً بعيداً . وفى صفر من هذه السنة توجه عميد الدولة أبو منصور ابن الوزير بخلع امامية الى الب ارسلان بنيسابور ووكّل فى تزويج المقتدى بنت الب ارسلان المنعوتة بخاتون السفرية . فسفروجه وجأته بهذه السفرة الصفرية . فلما وصل تلقى بالعتماء واستقبل وتقدم بانزاله فى المرتبة الكبيرة . وترتيب الانزال الكثيرة . وعقد العقد للمقتدى على بنت السلطان فى أسعد ساعة . وأحسن عادة . وكان يوماً مشهوداً أزهر . قد ترفيه الملوك الجواهر . ولما عاد عميد الدولة جمل على اصفهان المبور . فلقى من ملكشاه ولد السلطان الحب والحباء والحبور . وأفاض عليه الخلع الامامية قلبسها . وأحكم عنده قواعد الاور فى العواقب وأسسها . وكان ملكشاه قد عاد من شيراز وهو سائر الى والده . وورد المملكة منه ظمان الى وارده . وعاد عميد الدولة الى بنداد فى ثامن عشر ذى الحجة . بادى الحجّة هادى المحجة



ذكر وفاة الب ارسلان في سنة خمس وستين وأربعمائة ١١٦٦

قال : في أول هذه السنة توجه السلطان الب ارسلان لقمص بلاد الترك . وقد كملت له أسباب الملك . في أكثر من مائتي ألف فارس ومد على جيحون جسراً . كما خط الكاتب على الفارس سطرآ . وكانت مدة عبور المسكر عليه شهراً وكان قد تصدده شمس الملك تكين بن دلقاچ . والاقبال قد بلغ الكمال وأوضح المنهاج . وانه في سادس شهر ربيع الأول بكر وهو في الصدر الارحب والباع الاطول . والكمال الابهى والبهاء الاكمل . وهو جالس على سرير سروره . لابس حير حوره . وسطا سماطيه المدودين من فرائد مفرديه منغولمان . والبأس والنائل لاولياته وأعدائه مقسومان . والمظاء واقفون والموقف عظيم . والكرماء قائمون والمقام كريم . والهيبة مالكة . فحل اليه أصحابه مستحفظ قلعة يقال له يوسف الخوارزمي وهو يرسف في قيده . ولم يدرك أنه يسرف في كيده . وحمل الى قرب سريريه وهو مع غلامين . وقد شدا يده البدين . فتقدم بان يضرب له أربعة أوتاد لتشد اليها أطرافه . ويمجمل على تلك الهيئة الألفه . فقال : « مثل يقتل هذه القتلة ويلقى هذه المثلثة » فحوى السلطان واحتد وأخذ قوسه وسهمه . وترك رأيه وحزمه . وأمر بحمل رباطه . وان يخلى عن احتياطه . وقال للغلامين خليا ورماء . فأخطأه وكان على تحت فوئب ونزل فوقه على وجهه في ثمره فجاءه يوسف فجاءه فوجاهه بسكين في خاصرته . وكان سدد الدولة كوهرائين واقفاً فجرحه يوسف جراحات ونهض السلطان الى خيمة أخرى مجروحاً فاما يوسف

الحوارزمية فانه ضربه فراش أرمني بمرزبة على أم رأسه . فوفت الضربة بقطع أنفاسه . وأما الب ارسلان فانه أحضر وزيره نظام الملك فاوصى به واليه . وعول في كفاية المهمات وكف الملمات عليه . وجعل ولده ملكشاه ولي عهده . وفوض اليه الملك من بعده . وخص ابنه اياز بما كان لأبيه داود بليخ وعين له خمسمية الف دينار وقال له اقصد نصرة أخيك وجعل القلمة بها الملكشاه وقال له ان لم يرض فضيق عليه واستمن على قتاله . بما عين له من ماله . ووصى لأخيه قاورد بك بن داود بأعمال فارس وكرمان . وأجري له بتعين شيء من المال والأحسان . وانتقل الى جوار ربه فانثراً بالشهادة . حائزاً للسعادة . وكان مولده في سنة ٤٣٤ واستشهد وقد بلغ من العمر أربعين سنة وملك تسع سنين وشهوراً

قال : وحكى انه قال حين حينه . وقد عاين الموت بعينه . ما كنت قط في وجه قصده . ولا عدو أردته . الا توكلت على الله في أمري . وطلبت منه نصري وأما في هذه التوبة فاني أشرفت من تل عال . فرأيت عسكري في أجمل حال . فقلت اين من له قدر مصارعتي . وقدرة . ما رضيت واني اصل بهذا المسكر الى أقصى الصين . فخرجت على منيتي من السكين قال : وكان الب ارسلان بالبرية باراً . ولم يزل احسانه عليهم من داره داراً . وكان يطبخ كل يوم خمسون رأساً من اللحم في . يطبخه للفقراء وذلك سوى الراتب المعين للسماط برسم المسكر والأمرأ . وكان اذا أمر ببناء أو عمر بأن يكون أسى بنيان وأسقمه . وأشرف مكان وأشرفه . ويقول « آثارنا هذه تدل على علو هممتنا . ووفور نعمتنا » وخلف عدة من البنين وهم ملكشاه وتكش واياز وتش وأرسلان أرغون وبوري برس

ذكر جلوس السلطان جلال الدولة ابن القنقش ملكشاه بن
 ﴿الب ارسلان على سرير الملك﴾

قال : ولما دفن الب ارسلان عند قبر ابيه بمرو اقام ابنه اياز ببلغ وعاد
 ملكشاه بالمساكر . وسمع قاورد بوقاة اخيه الب ارسلان فسار للرعى
 طالباً وفي الملك راغباً . فسبقه اليها ملكشاه وأمن ما كان يخشاه .
 وصار منها قاصداً للقاء قاورد ورده . وفل حده . فالتقوا بقرب همدان رابع
 شبان . وكانت عسكر ملكشاه الى عمه مائلا . وبقوله قاتلا . فلما تلاطم
 البحران . والتقى الجمعان . حمل قاورد على ميمنة ملكشاه وجعلها دكا . وأوسها
 فتكا . وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دؤب
 ومن معها من العرب والاكراذ على ميمنة قاورد فدكوها وخرقوها .
 وغازا أصحاب ملكشاه ماصح من كسر عمه وقالوا ما عرتنا هذه الا كدارالا
 من الاعراب والاكراذ . وصدونا بقصدم عن مراد المراد . فغضى المنهزمون
 من أصحاب ملكشاه الى حلل الرب ونهبوها . وشنوا عليها الفارة وسلبوها .
 وجاء رجل من أهل القرى الى ملكشاه وأخبره بأن عمه في قرية بقربه .
 وقد انفرد عن حزبه . فسار اليه وأخذه . وأمضى فيه حكم بأسه وأنفذه
 وتقدم الى كوهرايين بخنقه وهو يتضرع ويتصور . فخنقه غلام أرمي أعور
 قال : وملك ملكشاه . وجاءه الجاه . وحمل أمر امرائه بجلده . وحكم
 برضام وأرضام بحكمه . وخلع على نظام الملك ورد به الملك الى النظام . وعول

عليه في تولي وزارته ومناعبه العظام . وأعطى سرهنتك ساوتكين أعمال قارورد
 عمه ولقبه بلقبه عماد الدولة وولاه ولاياته . وخصه بمناجيقه وكوساته .
 وأجزل لأمره العرب والأكراد نصيب الاصطفاء والاصطناع . ووفر
 حظه من التشریف والاطلاق والاقطاع

ودخلت سنة ٤٦٦ وورد في صفر منها سعد الدولة كوهرايين الى بندگان
 . اجلس له الخليفة القائم بأمر الله في ثاني صفر . وقام عدة الدين المقتدى على
 رأسه وهو ابن ثمانى عشرة سنة وسلم الخليفة الى كوهرايين عهد الخلافة بعد
 ان قرأ أوله . ومتضمنه انه جعل طيه في الملك معموله . وكان اذا غاماً للخاصة
 والعامه في الوصول . ولم يمنع في ذلك اليوم أحد من الدخول . وورد الخبر .
 بوفاة أياز أخى السلطان وكفى أمره كما كفى أمره . قلبه من شغله واستراح
 من هم . قال : وفي هذه السنة غرقت بندگان ولم يسلم سوى دار الخليفة .
 وما في جوار سديها الشريفة . وغرق مشهد باب التبن وانهدم سور .
 وخرب مديوره . فأطلق له شرف الدولة مسلم ابن قريش الفدينار وأعيدت
 عمارته . وأمكنت زيارته . وورد مؤيد الملك أبو بكر عبيد الله بن نظام
 الملك والماء طام . وغارب دجلة ذو سنم سام . وقد انسدت افواه الطرق
 فترك استقباله للضرورة المائقة . ودخل على غير الصورة اللائقة . فانه ركب
 في سفينة وانحدر الى باب المراتب ولما حاذى التاج قام اداء اللواجب ولما قرأ
 في منزله ظن ان الخليفة مائياً باستقباله الا وقد نبأ عن تقبله . ومضى اليه
 التقيان وقاضى القضاة ولم يوصلهم بل ردهم . وصدفهم وصدم . وقال : « جرى
 بي تهاون وعلى تماون » فانفذ الخليفة اليه من أوضاع له العذر . واستخلص
 منه بانفاذ الخلع اليه الحمد والشكر . واستأذن الخليفة في الركوب باب المراتب

فأذن له وأبلى له . في كل منجح أمه . قال : وورد عميد الدولة أبو منصور بن الوزير نغر الدولة من الرى مشولاً من جلال الدولة ملكشاه بالاجلال . وترك استقباله لما اتفق في حق مؤيد الملك من ترك الاستقبال . وفي آخر هذه السنة توفى زعيم الملك أبو الحسن بن عبد الرحيم في الحلة المزيديّة . وكان مرشحاً لئلا يناسب السامية السنية

ذكر وفاة القائم بأمر الله رضى الله عنه وتولى المقتدى بأمر الله

قال : وكانت وفاته ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ وقد كان زرع صمره استعده . فما اقتصد . في ألم ألم واقتصد . ونام منفرداً فانفجر فصاده لما غلبه رقاده . وخرج منه دم كثير أقوت منه قواه وأتبه والضعف قد تضاعف . والحمام قد شارف . فطلب ثقاته واستحضر عدة الدين وأودعه وصايا يكون بها عن القائم القائم . واحضر النقيبين وقاضي القضاة والقاضي أبا الحسن بن البيضاوي والقاضي أبا محمد بن طلحة الداهماني والوزير قائم والقائم مستند في شباك . وهو في سكون يشمر بما ليس بده من حراك . وقال لهم « اشهدوا على ما بضمته هذه الرقعة التي كتبت فيها سطرين بخطي » ثم قضى نحبه وتولى أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن النخيرة أبي العباس محمد بن القائم وبويع يوم وفاة جده وجلس في دار الشجرة على كرسي بقميص أبيض وعمامة بيضاء لطيفة وفوقها طارحة قصب درى

ودخل الوزير نغر الدولة أبو نصر وولده عميد الدولة أبو منصور واستدعى
 • مؤيد الملك بن نظام الملك والنقيبان وقاضى القضاة وحضر أعيان الدولة
 من ذوى المراتب والكُفاة . وهناك نور الدولة دبس بن علي المزيدي وولده
 بهاء الدولة وأبو عبد الله محمد بن حماد الاسدي وبايعوه . وعاقده على الطاعة
 وشايعوه . وصلى بالناس المصطفى في صحن السلام وأثموا به وصلى على القائم
 وأغلقت الأبواب ببغداد ثلاثة أيام لعقد المأتم وجلس نغر الدولة الوزير وابنه
 عميد الدولة للمزاء ثلاثة أيام ومضى عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لأخذ
 البيعة عليه . وحمل عهده اليه . وعاد الى بغداد في سنة ٤٦٨ ، وأوصله الخليفة
 الى مجلسه الأشرف . وخصه باكرامه اللطيف . وكان قد سير من الديوان
 القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد البيضاوى في حجة • مؤيد الملك الى والده
 نظام الملك ليسير منه الى غزنة ويأخذ البيعة على صاحبها فماد مصحوباً
 بالجدة قد أترب وفرع الرتب . ولما سكن الى الثراء سكن الى الثرى • وتوفي
 في شهر ربيع الأول من سنة ٤٧٠ • وكان فاضلاً على مذهب الشافعي
 ذكياً زكياً

قال : وفي سنة ٤٦٨ • جد الجلب وحلّ المحلّ • وحطّ لا تحط الرجل .
 وأقوت القوة وعدم القوت حتى كفى الله النعمة . وكشف الملة . قال : وفي
 هذه السنة تسلم نصر بن محمود صاحب حلب قلعة منبج من الروم وخلصها
 من أيديهم . وانقذها من تعديهم • وفي سنة ٤٦٩ • تزوج علي بن أبي منصور
 فراعمر بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه بأرسلان خاتون بنت داود التي
 كانت زوجة القائم وكانت فارقت ببغداد حين عرفت بوفاة أخيها البارسلان
 وخرج عنها وتوفي بعد ذلك القائم عنها فاستبدلت عن القرشي دليلاً • وغن

الامام أمياً . وفي هذه السنة ورد الى بغداد الشيخ الامام أبونصر بن الاستاذ
ابن القاسم القشيري رحمه الله حاجاً . وأوضح بعلومه منهاجاً . وجلس للوعظ
في النظامية . وفي رباط الصوفية . وأبدى شعار الاشعرية . يزعم أنه
يحقق أدلة الموحدة المزهة . ويبطل شبه المجسمة . فارت الفتنة من العامة
وقصدت الحنابلة سوق المدرسة وقتلوا جماعة . وأظهروا شناعة . وكان
قد ورد مؤيد الملك بن نظام الملك من المعسكر فلم يطق دفعا . ولم يستطع
منما . فنسب نظام الملك الى بنى جهير الجهر بتلك الفتنة . وحنا أحناءه
لهم على اللاحنة

واتفق وفاة ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة في شعبان سنة ٤٧٠
ودفنت بدار الخلافة اكراماً لأبيها . ولم تجر المادة بالدفن فيها . وانقطع
ما بين النظام . وبينهم من النظام . وأذنت عرى النسب بالانقسام . ووصل
في المحرم سنة ٤٧١ بشحنة بفسداد سعد الدولة كهرايين وضرب على باب
في أوقات الصلاة الثلث الطبل . وكان قد منع من ذلك وقيل لم تجر به
عادة من قبل . وأعقب ذلك عزل الوزير ابن جهير وذلك أن كهرايين
أوصل عند وصوله كتاباً من السلطان الى الخليفة يتضمن عزل الوزير فقبل
في جوابه أنه ليس بوزير وإنما الوزير ولده عميد الدولة وقد قصد نحوكم
بالمعسكر . ووالده ينوب عنه الى أن يحضر . وكان عميد الدولة بعد وفاة
زوجته خرج الى المعسكر وعرف أن كهرايين إن صادفه في الطريق
ضدده وصرفه . فمرج بالجبال . وأتبع الترحال بالترحال . وجاء كهرايين
في النصف من صفر الى باب القردوس وهو على حالة من السكر فعلق
دونه الباب وربط هناك خيله . وأقام هناك يومه وليله . وقال « لا بد لي

من الوزير . ولا مهلة في التأخير ، فلما عرف غفر الدولة الحال قدم السؤال وطلب الاعتزال . فأذن له أن يمتزل . ويلزم المنزل . وخرج الى كهراتين توقيع فيه لما عرف محمد بن محمد بن جبير ماعليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الأذن في ملازمة داره الى أن يكتب الى أمره . ولم يزل عميد الدولة يستعطف نظام الملك حتى عطف . ويتألف قلبه حتى انقلب الى ما الف . والزومه تقلد منه . وزوج ابنته بابه . وكتب الى كهراتين باعادته الى الخدمة . وزيادته في الحرمة . وسأل الخليفة الاغضاء عن ذلته . ولما وصل الى بغداد عزله الخليفة عن خدمته . ونقله الى منزله عن منزلته . ورتب الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين نائباً في الديوان وجلس بنسب نخدة ثم توزر عميد الدولة ابن جبير للخليفة المقتدى في سنة ٤٧٢ هـ وأفيضت عليه خلع آذنت بتجليله . وتولى أمين الدولة ابن الموصل اياقراءة توقيع خرج في حقه بتجليله .

قال الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني رحمه الله : ولما كان الكتاب الذي صنفه أنوشروان الوزير عربته ودينته وقد انتهيت في هذا الموضع الى مفتحه وصلت هذه الجملة التي ذكرتها به وجعلتها طريقاً الى دخول بابه لكنني عند انقضاء أيام كل سلطان أوردت حوادث تجددت في عصره . وأخل أنوشروان ينشر حديثها وذكره . ومن هاهنا يقع بما بدأ به البداية . وتكمل بتريبه والاعراب عنه العناية .

— بجز أيام السلطان جلال الدنيا والدين أبي القتح . ملكشاه —

﴿ ابن الب ارسلان يمين أمير المؤمنين ﴾

قال : عقدلوا سلطنته في أيام أمير المؤمنين القائم بأمر الله رضى الله عنه وعصر خلافته قد قارب انتهاءه . وشارف انقضائه . ولهج عند وفاته بهذين البيتين .

سلاماً عمرو كيف بات أسيرها • تفك الأسارى حوله وهو موثق
فان كان مقتولا في القتل راحة • وان كان ممنوناً عليه فطلق
وتولى بعده الخلافة أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله أنار الله برهانه
وبايه هذا السلطان . قال : وكان ملكشاه ملكاً سيرته العدل . وسريته
الانصاف والفضل . شجاعاً مقداماً صائب الرأى والتدبير . حقيقاً بالتاج
والخاتم والسرير . أيامه في أيام آل سلجق كالواسطة في العقد قد تناسبت في
الحسن بدايته ونهايته . وتناسقت في الاقبال فاتحته وخاتمته . ولم يتوجه
الى اقليم الافتحه . وقهر العدو وقده . ولما توجه الى الشام وانطاكية
بلغ الى حد قسطنطينية وقرر الف ديناراً حرم يحمل الى خزانته من تلك الولاية
ووضع في النواحي التي فتحها من الروم خمسين منبراً اسلامياً وعاد الى الرى
وقصد فتح سمرقند ولم تزد مدة هذه الاعمال على شهرين

ولما وصل سمرقند نزل عليها وحاصرها فظفر بخاتها وهو في موضع سلطاتها
وجرت له حروب عظيمة هزمه فيها وكسره . وظفر به وأسره . فحمل غاشية

السلطان على كتفه وسار في ركابه من موضع سرير افراسياب الذي كان ملك ملوك الترك الى موضع سرير ملكه وحمله أسيراً الى العراق . تحت الوثاق ثم من عليه بالاطلاق . وأنعم عليه بإعادته الى ملكه . وإعادة نظمه الى بسلكه . وتوجه السلطان في السنة الأخرى الى أوزكند ووصل حمل انطاكية اليها وانقاد له ملك الترك ووصل به الى اصفهان ثم أكرمه وشرفه وأعادته الى مقره من بلاد الترك وهذه السعادة كلها انما تسرت بسعادة الوزير الكبير خواجه بزرگ قوام الدين نظام الملك ابى على الحسن ابن علي بن اسحاق رضى أمير المؤمنين الوارف الظل الوافر الفضل . وكانت وزارته للدولة حلية . وبهجته للمملكة زينة . كأنما خلقه الله للملك والجلالة مصوراً . وكأن الاقبال له معلما والظفر مسخراً . قد مشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبل حافر مركوبه وكانت ملوك الروم وغزنة وما وراء النهر في ظل حمايته . وكنف رعايته . وكانت ملوك الأطراف يقبلون كنفه اجلالا وتشريفاً ويتشرفون بلبس خلمه وكانوا انجاده على أعدائه وجراً الجحافل الثقيلة . والمساكر الكثيفة . وبقي في صدر الوزارة ثلاثين سنة . قال كنت في مبتدأ أمرى في خدمة الأمير يعيير أسفهلار خراساني فأشخصني اليه من موضع كنت متوليا له تحت التوكيل وانا متوجه نحوه خائب الأمل منكسر القلب على فرس حرون هنزبل يتعبنى سيره وأنا في ضرر شديد من ركوبه فيينا انا ساثر اذ ظهر من صدر البرية تركاني على فرس يجري جرى الماء وهوان فتمنيت معاً كنت فيه من ألم القلب ان أكون راكبا مثل ذلك القرس فتقرب التركاني مني واختلط بالموكلين بي وكلهم ثم التفت الى وقال هل لك ان تقايض فرسك بفرسي فحسبت انه يهزأ

بى وقلت له يجوز معما انا فيه من هذه المحنة ان لا تسهرى بى فنزل فى الحال عن فرسه واعطانيه وأخذ فرسى واليوم منذ ثلاثين سنة اتنى لقاء ذلك التركمانى وأسأل عنه ولا أجده .

قال : وكانت علامة نظام الملك الحمد لله على نعمه . وكان مؤيداً موقفاً من جملة البشر . مخصوصاً من الله بالنصر والفتح والظفر . والدهاء ساكنة فى أيامه . وأهل الدين والعلم والفضائل راثمون فى انعامه

قال : وفى أيامه نشأ للناس أولاد نجباء . وتوفر على تهذيب الابناء الآباء . ليحضرهم فى مجلسه ويحفظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل . ومن وجد فى بلدة قد تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب . قال : وكأنا عناء أبو الضياء الحمصى بقوله

وما خلقت كفالك الا لاربع * وما فى عباد الله مثلك ثاقى

لتجريد هندی واسداء نائل * وتقيل أفواه وأخذ عنان

قال : وظهر من تديره فى سياسة الممالك ما قاله سليمان بن عبد الملك عجبت لهؤلاء الامام . لمكوا الف سنة فلم يحتاجوا الينا ساعة . وملكنا مائة سنة لم نستغن عنهم ساعة . قال : وفى عصره نشأ طبقات الكتاب الجياد . وفرعوا المناصب . وولوا المراتب . ولم يزل بابهم بجمع الفضلاء . وولجأ العلماء . وكان نافذاً بصيراً ينقب عن أحوال كل منهم ويسأل عن تصرفاته وخبرته ومعرفته فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه . ومن رآه مستحقاً لرفع قدره ورفعته واعلاه . ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه . ورتب له ما يكفيه من جدواه . حتى يتطلع الى افادة العلم ونشره . وتدریس الفضل وذكره .

وربما سيره الى اقليم خال من العلم ليحلى به عاطله . ويحيى به حقه ويميت
باطله . تولى الوزارة والملك قد اختل نظامه . والدين قد تبدلت أحكامه .
في أواخر دولة الدليم وأوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين اقبال هذه
وادبار تلك وقد افقرت البلاد وأقوت . واستولت الايدى العادية عليها
وتقوت . وقامت النوائج على النواحي . والنوادر على النوادي . فاعاد الملك
الى النظام . والدين الى القوام . وعمر الولايات . ووالى الممارات . وكانت
المادة جارية بمجباية الاموال من البلاد . وصرفها الى الاجناد . ولم يكن
لأحد من قبل اقطاع فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد
لاختلالها . ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها . ففرقها على الاجناد اقطاعاً .
وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً . فتوفرت دواصيرهم على عماراتها . وعادت في
أقصر مدة الى أحسن حالة من حليتها . وكان لاسطان نسباء يدلون بنسبه .
ويدلون بسبيه . ويستطيون بأنهم ذوو قرابته فقصر أيديهم . ومنع تعليمهم .
وساس جمهورهم بتدييره ونظم أمورهم بسياسته . وربما قرر لواحد من الجند
الف دينار في السنة فوجه نصفه على بلد من الروم ونصفه على وجه في أقصى
خراسان وصاحب القرار راض . ولقيته بمحصل ماله غير متقاض . وتوقيعه
مأمون التعويق . وتفويقه لسهم السداد مقرون بالتوفيق . تقسم الملك الذي
حازه السيف بقلبه أحسن تقسيم . وقومه أحسن تقويم . وكان ينظر في
الوقوف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في أمرها . ويخوف من
وزرها . ويرغب في أجرها . ويكلها الى الأئمة . ولا يدعها مأكلة للخنونة .
ووظف على ملوك الاطراف وعلى أقاليم الممالك والامصار همولا لخزانة السلطان
يحملونها . وخدماء عن عصمة ولايتهم يوصلونها . وقرر معهم الحضور الى

الخدمة . ووالاات الخدمات للحضرة . والوصول بالمساكر الجملة . حتى
ملا الخزان بالذخائر . والملا بالمساكر . ونشأ له أولاد كبيروا في دولته فاعطاهم
عقبهم . وأعلى رتبهم . ثم أنه لما وفر الاموال على الخزانة والعسكر . جعل
فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقاً لا تؤخر . ورسوماً لا تفسر .
وصير احسان السلطان بين أهل العلم ميراثاً يأخذونه بقدر القرائض . ويأمنون
بها منى النوائب والموارض . فلا جرم تذللت له المصاعب . ويسرت له
المطالب . ودانت له المشارق والمغارب .



ذكر الأكاير والكتاب في زمانه

ووم الكمال والشرف وسيد الرؤساء وابن بهمنيار وناج الملك



قال : كان نظام الملك مؤيداً بقرينيين . مؤيدين لدولته أمينين . وهما كمال
الدولة أبو الرضى فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشا والطغراء . وشرف
الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء . وكلاهما
صاحب الرأي والتدبير والجاه والمال والدهاء . ومعدن الفضل والعطاء .
وكان لهذين الكبيرين نائبان والكمال ولده سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد
وكان مقبلاً مقبولا قد اختصه السلطان بخدمته . واختاره لخدمته . واستأمنه
على سره وبلغت مرتبته من اصطفاء السلطان الى غاية لم يبلغها أنيس . ولم
يصل الى رتبها جليس . وقد كتب اليه السلطان يستبطئه بخط يده بيتاً

بالمارسية معناه انك لا تتأثر بالنبية عني . فانك تجد من نأس به غيرى .
وأنا تأثر بنيتك فاني لأجد الانس بنيرك .

قال : نصارختنا لنظام الملك وتزوج بابنته . وزاد ذلك في منزلته . وضرب
له سراق وله الكوس والعلم . والحيل والختم . وأما النائب عن شرف
الملك فقد كان الاستاذ أبا غالب البراوستاني . من أهل قم والنقيب
الجرباذقاني . ثم انصرف أبو غالب وتولى مكانه في النيابة الأعز الكامل
أبو الفضل اسمعدي بن محمد بن موسى البراوستاني فلم يزل نائباً الى ان صار
استاذاً ولقب بمحمد الملك بعد شرف الملك ولم يكن لأحد من السلاطين
مستوف كأبي الفضل في الضبط والتخلف . والذكر والتيقظ . وحفظ
القوانين . وتدير الدواوين . وكان أيضاً ملجأ لفضلاء الزمان . وموسماً
عليهم بالاحسان . وكان على باب السلطان وفي ديوانه كتاب فضلاء . وكفاة
كبراء . ونواب علماء اذكياء . وكان لتولى فارس وزير يقال له ابن بهمنيار
ويلقب بعميد الدولة وهو رجل بصير بالاعمال ذوهمة عالية . فاقصص بخدمة
السلطان وعلت مكانته . وسمت منزلته . وصار بينه وبين سيد الرؤساء
اتحاد . وصداقة ووداد . وجمعت بينهما عاهة عداوة الوزير نظام الملك ومخالفته
وتصادقا على عداوته . وكيف تكون عاقبة حال المدبر . اذا عادى المقبل . فلم
يزال حتى نكبا وأهينا وطردا وهجرا بعد ذلك القرب . وأبغضا بعد ذلك
الحب . وسجنا واعتقلا . وحبساً وسلا . وسقطت منزلة كمال الدولة أيضاً
بسقوط منزلة ولده وأدركته حرفته . ونكبته نكبته . وخدم من ماله الخزانة
السلطانية بثمائة الف دينار وزادت جلالة نظام الملك بعداوة المذكورين
وتولى مؤيد الملك بن نظام الملك مكان كمال الدولة . من ديوان الانشاء والظنراء

واقام مدة واستناب ابا المختار الزوزنى ثم استفى فتولى ابو المختار بحكم الاصلالة ونمت بكمال الملك . وكان من نواب كمال الدولة ابى الرضى وأتباعه فبلغ الى منصبه ثم انتقل الى جوار ربه . وكان الرئيس تاج الملك أبو الفناثم المرزبان بن خسرو فيروز من أولاد الوزير بفارس وقد خدم السر هنك ساوتكين مدة وهذا الأمير كبير الدولة والمتحكم فيها وكان قد أتى على تاج الملك عند السلطان وشكره وذكر انه يصلح لخدمته وقال انه معتمده على خزانته وأمواله وكان رجلا سرياً بهياً فصيحاً اللجة . حسن البهجة .

له هم لا منتهى لكبارها ومهته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها غلا البركان البر أندى من البحر
فقبله السلطان وأقبل عليه وولاه وزارة أولاده الملوك وسلم اليه خزانته
وولاه النظر فى أمور دوره وحرمة وعول عليه فى بعض الولايات وفوض
اليه أمر بعض المساكر وجعل له مع ذلك كله ديوان الطغراء والانشاء
ألبسه لفة ثياب العلى فلم تطل عنه ولم تقصر

فاستناب عنه الكيا مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الأردستاني
وصار كاتب الرسائل وكان أوحده عصره . ونسيج وحده . وكان رجلاً سكيناً
حسن السميت كثير الأدوات . موصوفاً بالثبات . فغير تاج الملك يهجهته
المقبولة واصناء السلطان اليه أوضاع المملكة جميعها وبدد نظامها النظام .
وبدد احسانها الحسنى . وأذهب حلاوة قبول الوزير من قلب السلطان .
وظهرت عليه آثار اللال . ونطقت أساريره بأسراره كالماء ييوح بأسراره
صفاؤه . ويلوح فى قراره حصباؤه . ومع ذلك كلما زاد تقرب السلطان
لتاج الملك ازداد تقربه الى الوزير . بالتوقيع والتوفير . فقد كانت هذبة نكبة

عميد الدولة وسيد الرؤساء . فلم يفتّر من السلطان بذلك الادناء . لكنه تحيل عليه . ودبت في الباطن عقابه اليه . وكان يكرم مجد الملك المستوفى ويثني عليه عند السلطان . وكان سيدد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق بن عمر عارض الجند فقرّبه أيضاً تاج الملك وجعله من حزبه واستولى بهما على حيازة الاموال والاعمال وانفقوا على حل نظام الملك ومخالفته وغيروا رأى السلطان في وزارته وراموا ازالة ذلك الطود العظيم . وثر ذلك السلك التنظيم . وهو شيخ قد طعن في سنه . وبلغ بقرته أمد وهنه . وأيس من نجابة أولاده وطل عمره حتى ستمه . وأنس بالمئات فلن تؤله . فلم يكثر بهم . ولم يلتفت اليهم ولا تأثر بكيدهم . ولم يقم وزناً لمهرم وزيدهم . قتل يوماً غيلة بسكين ملحد . ودفن بدفنه الجود والمفضل والدين في ملحد . وذلك في سنة ٤٨٥

وتوفى السلطان بعد قتل الوزير بثلاثة وثلاثين يوماً ولم يش تاج الملك بعد ذلك أكثر من ثلاثة أشهر على الحوف والخطر ثم قتل قتلاً ذريعاً . وبضع بالسيوف تبضياً . وسبب ذلك ان الممالك النظامية أهموه بقتله فاجموا على عداوته وقتلوا به فلم الناس ان سلامة تلك الدولة وأربابها وسلامة سلطانها كانت بسلامة ذلك الشيخ منوطة . وبحيائه محوطة

١٢ قال : ولما مل السلطان طول مدته . واستطالة مكتبته . أنفذ اليه يوماً تاج الملك برسالة ووكّل على لفظه بمعين من أكابر خواصه حتى يبالغ في ابلاغها . ولا يراقبه في ادائها . وكان مضمون الرسالة انك استوليت على ملكي وقسمت ممالكى على أولادك واصهارك والممالك فكانت لى في الملك شريكاً تريد أن أمر برفع دواة الوزارة من بين يديك وأخلص الناس من استطالتك فأجاب جواب مثبت رابط القلب حاضر القلب غير مرتاع ولا

مرتاب وقال « قولوا لاسلطان كأنك اليوم عرفت انى فى الملك مساهمك .
وفى الدولة مقاسمك . وان دوائى مقترنة بتاجك فتى رفعتها رفع . ومتى
سلبها سلب » فلما سمع جواب الرسالة ازداد فى غيظه عليه واستشاطته
وكان ماجرى على نظام الملك من الاغتيال تجوزاً من السلطان مضراً .
وأمراميتاً مدبراً .

قال : ونظم أبو المعالى النحاس أبيتاً بالفارسية يخاطب فيها السلطان
فقال ما معناه كأن ملكك من أبى على وأبى سعد وأبى الرضى بالملوك والسعد
مرضياً . فلما آل الى أبى التنائم وأبى الفضل وأبى المعالى عاد من كسوة جامها
عرياً . عنى بالاولين نظام الملك الوزير وشرف الملك المستوفى وكال الدولة
المشرف المنشئ وعنى بالآخرين تاج الملك الوزير ومجد الملك وسديد الملك
المنشئ مع انهم كانوا أفضل أهل زمانهم وكان تاج الملك يظهرانه صائم الدهر
قال : ورأيت صلة لتاج الملك خمسة عشر ألف دينار فى أكياسها .

قال : ومع خلاهم الرياضية . والحصال الزكية . لم يخلصوا من أبناء
الزمان ونشبت فيهم مغالب الهجاء . وعثرت بهم السنة الشعراء . وقد جمعهم
أبو بلى ابن المبارية فى قصيدته التى يقول فيها

لو أن لى نفساً هربت لما	أتى ولكن ليس لى نفس
مالى أقيم لدى زعانة	شم القرون أنوفهم فطس
لى ماتم من سوء فعلهم	ولهم بحسن مدائحى عرس
ولقد غرست المدح عندهم	طمعاً فحفظل ذلك الفرس
الشيخ عينهم وسيدهم	خرف لعمرك بارد جيس
كالجاثليق على عصيته	يمدو ودار خلفه القس

والناصح النندور حتى الى
وأبو الفتوح انت تعرفه
وخليفة الرى الخيىث له
وأبو النشائم فى تبظرمه
والزورنى فبارد سمج
لو أن نور الشمس فى يده
تخفف أى اتى فهم دمت
.....

.....
قد صار مال الارض فى يده
هذى امور الملك أجمعها
ولقد همت بأن افارقهم
لكن ثنائى عن فراقهم
من ذا أروم وأجتيده لقد
المقتدى المسكين ليس له
.....

هذا وكهرايين شحتة
.....
كالكلب خب بارد نمس
.....

وأبو شجاع فى وزراته
أبنى جهير أرتجى وهم
أعلى أمورهم اذا نطق الطريق عنهم أو غلا الدبس
كالخرس لا بل دونه الخرس
بالامس اقرب سوقة غبس
.....

عرفوا ولا اهتزوا ولا انجسوا	والله لو ملكوا السماء لما
هيمات خاب الظن والحدس	أم باب ابراهيم اقصد
جود فزال الجود والحبس	قد كان محبوسا وكان له
.....
.....

ذكر ظهور الاسماعيلية

قال : فنبات النوايب . وظهرت المجائب . وفارق الجمهور من بيننا .
 جماعة نشأوا على طباعنا . وكالوا بصاعتنا . وكانوا معنا في المكتب . وأخذوا
 حظاً وافراً من الفقه والادب . وكان منهم رجل من أهل الرى وساح في العالم
 وكانت صناعته الكتابة نفخى أمره حتى ظهر وقام فأقام من الفتنة كل قيامة
 واستولى في مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة . وبدأ من القتل والفتك
 بأمور شنيعة فوخت عن الناس أحوالهم ودامت حتى استتبت على استتار .
 بسبب ان لم يكن للدولة اصحاب اخبار . وكان الرسم في ايام الديلم ومن قبلهم
 من الملوك انهم لم يخلوا جانباً من صاحب خبر وبريد فلم يخف عندهم اخبار
 الاقاصى والاداني . وحال الطائع والماضى . حتى ولا في الدولة السلجقية
 الب ارسلان محمد بن داود قفاوضه نظام الملك في هذا الامر فأجابه انه
 لا حاجة بنا الى صاحب خبر فان الدنيا لا تخلوا كل بلد فيها من أصدقاء لنا

وأعداء . فاذا نقل الينا صاحب الخبر وكان له غرض أخرج الصديق في صورة العدو والمدوّ في صورة الصديق . فأسقط السلطان هذا الرسم لاجل ما وقع له من الوهم . فلم يشعر الا بظهور القوم وقد استحسنت قواعدهم واستوثقت معادهم . وأخافوا السبل . وأجالوا على الاكابر الاجل . وكان الواحد منهم يهجم على كثير وهو يعلم انه يقتل فيقتله غيلة . ولم يجد أحداً من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة . فصار الناس فيهم فريقين ففهم من جاهرهم بالمدّاة والمقارعة . ومنهم من عاهدهم على المسالمة والمودعة . فمن عاداهم خاف من فتكهم . ومن سالمهم نسب الى شركهم في شركهم . وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين . فأول ما بدأوا به بقتل نظام الملك ثم اتسع الحرق . وتفاقم القتق . ولما كانوا قد تجمعوا من كل صنف تطرقت الى جميع أصناف الناس التهم . ودب الي البرى السقم . وتوفرت على التوقي الهمم . وتبين على السلاط أن يكاشفهم مدافعاً لثلا ينسبه العوام وأهل الدين الى الاتحاد . وفساد الاعتقاد . كما جرى على ملك كرمان فان الرعية اتهموه بالميل الى القوم فبطشوا به وقتلوه وأقاموا ملكاً آخر مقامه وسيأتى ذكر بعض الاحوال في أيام السلاطين الذين ولوا . وما كان سلطان يلبى بيق بنخواصه . وسعى ذوى الاغراض في ذوى اختصاصه . ولما عرفوا جند السلطان في ابادة القوم سعى بعض الناس ببعض . وأحب وسمه بالاتحاد لسابق عداوة وبغض . ووسمه باسم لم يحبه عنه غير السيف . ولم يجد محيداً عن التزام الحيف . وبقي في هذه الاصطككات والاصطدمات خلق كثير . وجم غفير . ولم يبق للاكابر في دفع ما عرا رأى ولا تدبير قال : وتوفى أمير المؤمنين المتبدي بأمر الله بدم سنة وكان في سنة

واحدة موت السلطان والوزير وجميع أركان الدولة . كل شئ هالك
الاجه .

قال الامام السعد عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني
الكاتب رحمه الله و قدس روحه

ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه

أغفلها الوزير أنوشروان

قال رحمه الله: ولد ملكشاه في التاسع عشر من جمادى الاولى سنة
٤٤٧ وتوفي في السادس عشر من شوال سنة ٤٨٥ وعمره ٣٨ سنة وأشهر
وكان يعرف بالسلطان المادل ومن جملة عدله انه رأى شا كيا با كيا فسأله
عن موجب اشتكائه . وسبب بكائه . فقال اشترت بطيخا بدرهمات
لاعود بربحها على عيالي . وأعيد منها رأس مالى . فأخذها منى من يده قوى
اضمف عن الاخذ على يده . وتركنى التركى وهو يضحك من بلىتى وأنا
أبكى من نكده . فقال له السلطان طبع نفساً . واستبدل من الوحشة أنساً .
فهل تعرفه فانكر معرفته وكان البطيخ في أول باكورته ولا يكاد يصاب
منه شئ في البلد قتال السلطان لبض خواصه قد اشتبهت بطيخاً فاجتهد
في تحصيله ولو واحدة فما زال يطلبه حتى قال له بعض الامراء عندى وقد
أحضره عبدى فلما علم ملكشاه احضر المتظلم وقال خذ بيد هذا الأمير فانه

مملوكي وقد وهبته لك قنبدى نفسه عنه بثلاثة دينار . وأثرى صاحب البطيخ
بمد اقتار .

وكان محباً للصيد وقيل أنه كان حصر عدد كل ما اصطاده بيده فبلغت
عدته عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار . وكان بالمارات ذا اهتمام .
وبالمرامات فيها ذا غرام . فحفر أنهاراً . وأوثق على المدن أسواراً . وأنشأ
رباطات في المفاوز . وقناطر للجائز . ومن جملة جميل صنعه في المارة عمارة
مصانع طريق مكة ومنازلها . وتسهيل ما توعر من مسالك قوافلها . وخرج
سنة من الكوفة لتوديع الحبيب جفاوز العديب . وبلغ السبيعة بقرب الواقعة
وبنى هنالك منارة ترك في أنشائها قرون الظبي . وحوافر الحمير الوحشية التي
اصطادها في طريقه والمنارة باقية الى الآن ترف بمنازة القرون وكانت قد
خرج الى الصيد وعاد في ثالث شوال فابتدأت به حمى محرقة من امعانه في
أكل لحم الصيد فتوفي في سادس عشر الشهر . وعاد الملك بظهور وفاته
منقصم الظهر . وكانت قد جرت بينه وبين الخليفة في تلك الايام وحشة
أساءت الظنون . ونسبت الى عوارضها المنون . ومن أسباب الوحشة اقتراحه
على الامام المتندي انتقاله عن بغداد الى حيث يختاره من دمشق أو الحجاز .
وعدم من جانبه الامام ما يجب من الاكرام والاعزاز . فطلب منه المهلة .
ثم كفى أمره ولم يخف النقلة .

قال : وقد كان قرر فتح أقاليم الدنيا فجعل الامير برنسق للروم فضايقتها
حتى قرر على قسطنطينية له في كل سنة حمل ثلثمائة الف دينار للسلطات .
وثلاثين الف دينار له جزية يؤديها الرومي بالصغار والهووان . وسير أخاه
تاج الدولة تثنى الى الشام وقرر معه فتح ديار مصر وبلاد المغرب وأمر

مملوكيه بزبان صاحب الرها وأق سنقر صاحب حلب أن يطيعاه على هذا
الغرض . ويساعدها على اداء هذا المفترض . وأمر سعد الدولة كهرايين بفتح
بلاد المين . واستخلاص زبيد وعدن . فسير اليها جيشاً قدّم عليه ترشك
ففضى اليها واستولى واستولى ومات بها وعمره ٧٠ سنة وهو مجدور وتولى
مكانه يرتش صاحب قننغ أمير الحاج . وجرس في الاستيلاء على ذلك
المنهاج . وأوغل ملكشاه في بلاد الترك حتى أطاعه صاحب طراز وكانت
حالة الدولة بجمالة جلالها ذات طراز

٢٠ وفي سنة ٤٧٣ عرض السكر وأسقط منه سبعة آلاف رجل من
الأرمن الملتشبهة بالترك فوضوا الى أخيه تكش بقلمة ونجح فقوى بهم جانبه
وشق عصاه بالمعيان والشقاق وما زال السلطان ملكشاه يقصده فتارة
يصالحه وتارة يكافئه حتى ظفر به في سنة ٤٧٧ وقد كان عاهده أن لا يؤذيه
فقوض السلطان أمره الى ولده أحمد فأخذه وسلمه . وفي سنة ٤٧١ دعا
الاقسيس تاج الدولة تنش بن الب ارسلان الى دمشق واثقأ به خارجاً عن
خلافه وخرج اليه من دمشق مسلماً . ولحكمه مستسلماً . فضرب رقبة صبرا .
ووغادره عارياً بالمراء غدرا . ودخل الى البلد مستبداً . وأصبح الملك به مستجداً .
في هذه السنة استولى شرف الدولة مسلم بن قريش على حلب . وفي الحرم
من سنة ٤٧٣ عاد السلطان ملكشاه من كرمان الى اصفهان وكان قد ورد
اليها عام أول وخرج اليه ابن عمه سلطان شاه بن قاورد وعاهده وعاقده .
وأخذ على المهد يده . وفي صفر تسلم مؤيد الملك من المهر ياط تكرت وقلعتها
وأحكمها ووفر عدتها . وفي ليلة الاحد عاشر شوال توفي دبس بن علي بن
مزيد وكانت امارته سبعاً وستين سنة وقام بالامر بعد بهاء الدولة منصور

ومضى الى السلطان وعاد في ثاني عشر صفر سنة ٤٧٤ بمكة قوية وقوة
متمكنة . وقد تقرر عليه أربعون الف دينار في كل سنة

وفي شوال سنة ٤٧٤ خلع المقتدي على الوزير نضر الدولة ابن جبير
وتوجه ليخطب للخليفة من السلطان ابنته وسار بعهده أبو شجاع محمد بن
الحسين الى المعسكر فان نظام الملك كان يكتب في ايماده . وكان الخليفة راغباً
فيه لسداده . فكتب بخطه الى نظام الملك يأمره بالمود الى المهود في حق
أبي شجاع وأنفذ معه مختصاً الخادم فناد الى بغداد في رجب سنة ٤٧٥ في
حرمة وافرة وحشمة ظاهرة . وأما الوزير نضر الدولة ابن جبير فانه لما وصل
الى المعسكر بمجمل وعظم وعفى نظام الملك معه الى تركان خاتون وخاطبها
في معنى الوصلة بابتها فقالت ان ملك غزنة وملوك الحانية قد أرسلوا في
خطبتها وبذل كل منهم عن ولده لها أربعمائه الف دينار . فان بذلها الخليفة
فاني أختار شرفه وهو أشرف مختار . فمرقها ارسلان خاتون زوجة القائم
ما يعبر اليها من الجلال والجمال . وبين لها التقيع المشطّب جليلة الحق وحقيقة
الحال . وقال هؤلاء عبيد الخليفة ومثله لا يقابل بطلب المال . فحيث أن أجابت
وسددت الى النرض وأصابت . وأخذ نضر الدولة يدالسلطان على المقد وعاد
في صفر سنة ٤٧٥ الى بغداد . وفي جمادي الاولى ورد . مؤيد الملك من اصفهان
الى بغداد ونزل في داره وضربت على بابه الطبول في أوقات الصلوات الثلاث .
وعد ذلك من منكرات الاحداث . ووصل ببطاء رضيه وقطع به ضرب
الطبل . وأذنت الحباء بوصول الجبل . وفي شعبان من السنة جلس مؤيد الملك
للغزاء بأخيه جمال الملك وركب اليه نضر الدولة وعميد الدولة وأقامه نضر الدولة
من الغزاء في اليوم الثالث ومعه الموكب

ذكر جمال الملك أبي منصور بن نظام الملك

قال: كان كبير أولاد نظام الملك وفيه دهاء وجراءة وعزّة ونخوة وخاطبه أبوه في أيام الب ارسلان ان يوزر لولده ملكشاه فأظهر امتناع أبي . وقال « مثلي لا يكون وزيراً لصبي » ثم أقام ببلغ متولياً . وعلى تلك الممالك مستولياً . فسمع ان جعفر بن مسخرة السلطان . تكلم على والده نظام الملك باصفهان . وقرر الوزارة لابن بهمنيار فهاج وتغيظ وثار وأخذ السير من ببلغ حتى وصل الى الحضرة وأخذ جعفر بن مسخرة من بين يدي سلطانه وتقدم بشق قفاه وإخراج لسانه . فقتل في مكانه . ثم أوقع التسيير في حق ابن بهمنيار حتى أخذه وسلمه . ثم توجه مع والده في خدمة السلطان الى خراسان وأقاموا بنيسابور . ودبروا الأمور . فلما أراد السلطان ان يرتحل استدعى بعميد خراسان أبي علي وقال : أنا مفض اليك بسرّ خفي فقال أنا من كل ما تأمرني به على أقوم سنن فقال : رأسك أحب اليك أم رأس أبي منصور ابن حسن فقال : بل رأسي أحب . وأنا لما تستطعني من دانه أطب . فقال : له ان لم يقتله قتلته . وصرفتك عن ولاية الحياة وعزّلتك . فخرج من عنده ولحق خادماً بخدمة جمال الملك مختصاً . وعرف في عقله نقصاً . فقال : ان السلطان قد عزم على أخذ صاحبكم وقتله غدأ . والصواب ان تصونوا بآبادته حرمتكم أبداً . فظن السخيف العقل . ان ذلك عن أصل وجهل النظر ونظر عن جهل . وخاف على تشتت آل النظام بهذا الولد فعمد الى كوز فقّاع فسمه ولما انتبه صاحبه بالليل وطلب الققاع أتاه بالكوز المسموم فلما شربه

أحسن بالموت فاستدعي أخته ليوصي إليها فقضى نحبه قبل ان تقع عليها عينه .
 وكان السلطان قد رحل ونظام الملك قد سبقه فسار مغدًا أربع منازل حتى
 لحقه ودخل الى الوزير ولم يعلم بوفاة ولده فمزّاه وقال : أنا ولدك والخلف
 ممن ذهب . وأنت أولى من صبر واحتسب

قال : وفي سنة ٤٧٥ هـ سار الشيخ الامام أبو اسحق رسولاً من المقتدى
 الى السلطان بعد ان أوصله الخليفة اليه وفأوضه شفاهاً وشكا من العميد أبي
 القتيح بن أبي الليث سفاهاً . فوصل الى خراسان وناظر مع الامام أبي المعالي
 الجويني وكان في صحبته من اكابر تلامذته الشاشي وابن قتان والطبري
 وكان معه جمال الدولة عفيف الخادم وعاد الشيخ أبو اسحق الى بغداد
 والقلوب الى حضرته . متمطشة . والعيون من غيبته مستوحشة . ثم توفي قدس
 الله روحه في ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٧٦ هـ
 ورتب مؤيد الملك أبا سعد المتولي مدرساً فلم يرض نظام الملك به وجعل
 التدريس للشيخ الامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل . فاتفق خروج
 مؤيد الملك وخرج معه المتولي فماد متولياً . وفي رتب السمو متعلماً . وقد
 لقب شرف الامة وأبو نصر الصباغ مدرس . وتوفي يوم الخميس النصف من
 شعبان وبقي المتولي مدرساً الى أن توفي في شوال سنة ٤٧٨ هـ . وعزل عميد
 الدولة في صفر سنة ٤٧٦ هـ بمكتوب خرج اليه من الخليفة واجتمع يارق
 الحاجب والشحنة والعميد وأصحاب مؤيد الملك على باب عمورية حتى خرج
 بنو جبر بأهلهم وحواشيهم . وكلهم وناشيهم . وساروا الى المسكر .
 وحصلوا على المنصب الأظهر . فان السلطان عقد على نخر الدولة بن جبر
 ديار بكر وخلق عليه وأعطاه الكوس والعلم وأذن له في الخطبة لنفسه .

وفي السنة باسمه

ثم أنفذ السلطان في سنة ٤٧٧هـ (أرتق بن أكسب صاحب حلوان مع التتركان الى نجر الدولة مددا . وتوفى وتقوى بهم عددا وعددا . وكان بن مروان صاحب ديار بكر قد استنجد شرف الدولة مسلم بن قريش وأعطاه يده على ان يعطيه آمد اذا أمده وأيده . وقصد بن جبير الصلح وقال : « أكره أن يحل بالعرب مكروه أنا سبيه » وعلم التتركان ما رآه . فخالفوا هواه . وركبوا ليلاً وأحاطوا بالعرب فهربوا وذهبوا وطلبوا . في كل واد ونادٍ وسلبوا . ولم يحضر تلك الوقعة بن جبير ولا أرتق وإنما أصطلى نارها الامير جبق وحقت دماء العرب واستولى على جميع جلالهم . وعامت أيدي العامة في أموالهم . وألجئ شرف الدولة مسلم الى فضيل آمد فزنت الحيلة وأعوزت الوسيلة . ووصى نجر الدولة بن جبير الامير أرتق بأن يأخذ عليه الطريق وقال اذا حصل شرف الدولة في اليد فتحنا للسلطان البلاد . وحوينا الطرف والتلاد . فبذل شرف الدولة للامير أرتق مالا ليفرج عنه فقال الى المال وأظهر النصب عن تحكيم نجر الدولة ونفس عن خناق مسلم فسار الى الرقة وذلك في حادى عشر شهر ربيع الأول وقصد فخر الدولة ميافارقين ومعه الامراء الاكابر سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة وأياز وترشك وخمارتاش في عسكر كهرايين ولما قصد خلاط رجع هؤلاء عنه الى العراق وفي سنة ٤٧٩هـ خرجت ديار بكر عن نظره وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخي . فلما شرف الدولة فانه لما وصل الى الرقة . أحمد عاقبة المشقة . وعدّ ما بذله لارتق من الحقوق المستحقة . فأنجز الوعد وأرسل المال . وصدق المقال . ولم يشك السلطان لما نمي اليه الخبر ان شرف الدولة

قد قبض . وان . بهرم أمره قد تقض . فخلع على عميد الدولة بن جبير وأنفذه الى ولايته . وكتب التركان بطلعته . وأنفذ معه الامير آقسنقر قبل أن يصير صاحب حلب وسار في صحبته . واتصل به الامير ارتق وصار في جلته . ووصل الى الموصل فأطاعه أهلها . وتسهل له وعرها وسهلها . وتوجه السلطان الى بلاد مسلم بن قريش . في أقوى جأش وأوقى جيش . فلما علم سلامته ونجائه . وانه بالمكر قد فاته . أرسل اليه مؤيد الملك بن نظام الملك ووقعه بالايمن وأمنه بالمواثق وقدم به الى السلطان وهو بالبوازيج . فأحلى له جنا الجناب المريع وأسامة في مراد المراد البهيج . وكانت أحواله قد ذهبت . وأمواله قد نهبت . واستقرض ما خدم به وقدم خيله وفيها بشار وكان فرساً سابقاً مذكوراً وهو الذي نجا به يوم آمد وسبق ووثب الخندق وراهن السلطان شرف الدولة على مسابقته . فأجراه مع الخيل في حلبته . فجاء سابقاً ولما طلع صبح غرته من ظلام قتامة قام السلطان للاعجاب به وأظهر انه لاكرامه . وفي صفر سنة ٤٧٨ هـ تخرج شرف الدولة كأس الحمام . فانه فكك به خادم له في الحمام

قال : وكان المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء قد رتب في ديوان الخليفة بعد خروج بنى جبير واستقل بكل ترتيب وتدير الي أن وذر أبو شجاع محمد بن الحسين في سنة ٤٧٩ هـ لاميير المؤمنين وخلع عليه خلمة الوزارة ولقبه ظهير الدين . مؤيد الدولة سيد الوزراء صفى أمير المؤمنين . وخرج في خفته توقيع من انشاء أبي سعد بن الموصلايا ووصل عماد الدولة سهرنك ساوتكين الى واسط ومنها الى النيل في شهر رمضان وزار المشهدين الشريفين وأطلق بهما للاشراف مالا جزيلا وأسقط خفارة الحاج وخر الملقى

وكان خراباً من دهر . وقدم بغداد وثلقاء الوزير أبو شجاع ووصل الى حضرة الخليفة ليلة الاربعاء ثامن ذى الحجة وخلع عليه . وأحسن اليه . وكان قد علق به السلسل فسار لوقته الى اصفهان ونوفى بها في سنة ٤٧٧ . وكان قد توجه جمال الدولة عفيف الى اصفهان في اتمام العقد للخليفة على بنت السلطان فناد الى بغداد فخلع الخليفة على بن أبي شجاع وسنه يومئذ اثنتا عشرة سنة ولقبه ربيب الدولة وأخرجه لاستقبال عفيف واستمر أبو شجاع في وزارته جريئاً في الشجاعة شجاعاً في الجرأة . أهلاً لمحمود الدمام ذاماً لاهل الذمة . وألزم اكريمهم بابس النيار . وأداء الجزية على وجه الصغار . حتى أسلم الرئيس أبو غالب بن الاصباغى غيرة من النيار . ونفضاً لما كان على صفحات أحواله الحالية بموضع النصرانية من الغبار لم وأسلم الرئيس أبو سعد بن العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلانياً صاحب ديوان الانشاء وابن أخيه أبو نصر بن صاحب الخبر وكان في رتبته في السماء وذلك في رابع عشر صفر سنة ٤٨٤ وثقلت وطأة الوزير . على الصغير والكبير . وترك المحابة في الدين . ووافق ذلك وصول كتاب من السلطان في عزله . ووقوع ضجر الخليفة من فعله فخرج التوقيع بصرفه في تاسع عشر صفر فانصرف وهو ينشد

تولاها وليس له عدو . وفارقها وليس له صديق

قال : وكانت أيامه أنضر الايام . وأعوامه أحسن الاعوام . فخرج ثانی يوم عزله يوم الجمعة ماشياً الى الجامع من داره . في زى شاهد باستبصاره واعتباره . وانثال الناس عليه يصافحونه فانكر ذلك عليه وألزم داره . وصنق الخليفة عليه أعذاره . ثم سافر في الموسم الى الحج وتوفى بالمدينة على ساكنها السلام في النصف من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ فدفن بالبقيع

عند قبر ابراهيم عليه السلام وكان مولده بكنكوز سنة ٤٣٧
ولما عزل أبو شجاع تولى أبو سعد بن الموصلايا النظر في الديوان .
وكان كبير الشأن كثير الاحسان . تولى ديوان الانشاء بعد سنة ٤٣٠ وعاش
الى أن ناب عن الوزارة المتتدية والمستظيرة ثم أعيدت الوزارة الى عميد
الدولة بن جبير في السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٤٨٤ وكان السلطان
ببنداد فركب نظام الملك وتاج الملك وأكابر الامراء الى دار عميد الدولة
لاجلاله . والتنويه بمنصب اقباله . وفي سنة ٤٨٧ درس أبو بكر الشاشي في
التاجية ثالث عشر المحرم . وفي جمادى الآخرة توفى أبو القاسم الشريف
الدبوسي مدرّس النظامية . وفي محرم سنة ٤٨٣ قدم الشيخ أبو عبد الله
الطبري بمنشور نظام الملك متولياً للتدريس بالنظامية . ثم وصل بعده القاضي
أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي للتدريس بالنظامية أيضاً وتقرر ان يدرس
هو يوماً والطبري يوماً . وفي سنة ٤٨٤ قدم الشيخ أبو حامد النزالي الى
بنداد للتدريس في المدرسة النظامية وكان في العلم بجرأ زاهراً . وبدراً زاهراً .
وأشرقت غرائبه في المشرقين والمغربين . وملأت حقائب الملوين . وثقلت
غوارب الثقلين . »

ذكر دخول السلطان ملكشاه الى بنداد

فأما في النوبة الاولى فاته دخل الى بنداد في رابع ذى الحجة سنة ٤٧٩
والوزير أبو شجاع خرج لاستقباله . وتوفية حق اعطاه واجلاله . وركب
(١٠ - آل ساجوق)

في اليوم الثالث الى الحلبه ولعب بالأكره وأنفذ اليه الخليفة أفراساً وأطافاً
وتصافيا وتهاديا ومضى نظام الملك الى المدرسة والى دار الكتب بها وقبلها
وتصنعها . ورمّ أحوالها وأصلحها . وعاد الى دار ولده . وثريد الملك فأقام بها
ليتين . وفي سابع عشر المحرم سنة ٤٨٠ استدعى الخليفة السلطان الى حضرته
على لسان ظفر الخادم فبشر وجهه وسفر ونزل في الطيارة فلما وصل الى باب
التربة قُدِّمَ اليه فرس من مراكب الخليفة . حتى انتهى الى السدة الشريفة .
وأمره الخليفة بالجلوس فامتنع . وتواضع حتى ارتقع . ثم أقسم عليه حتى
جلس . وزاد في ايناسه فأنس . ولم يزل نظام الملك يأتي بأمر أمير الي تجاه
السدة ويقول للامير هذا أمير المؤمنين . ليمقر بتقيل الارض الجسين . ويقول
للخليفة هذا فلان وعسكره كذا وولايته كذا وكانوا فوق الاربعين وكان
فيهم آيتكين خال السلطان . فانه استقبل القبلة وصلى ركعتين . ومسح وجهه
للتبرك بأركان الدار من الجانبين . وعاد السلطان وعليه الخلع السبع والعلوق
والسوار . وقد ظهرت عليه من آثار الجلالة الانوار . فثل بين يدي السدة
الشريفة وقبل الارض مرات وأمر الخليفة مختصاً خادمه فقلده بسيفين وقال
الوزير أبو شجاع « يا جلال الدين سيدنا أمير المؤمنين الذي اصطفاه الله لزم
الخلافة . واجتبه لشرف الامامة . واسترعاه للأمة . واستخلفه للدين والملة .
قد أوقع الوديمة عندك موقعا . واصطفى الصنيعة عندك . وضمها . وقلدك
سيفين لتكون قويا على أعداء الله تجوس بلامهم وتذل رقابهم . ولا تألو في
مصلحة الرعية مقاما . ولا تدخر عنها اهتماما . فبطاعته تقبل عليك الخيرات
من جوانبها وتدر البركات بسعائها » وسأل السلطان في تقيل يد الخليفة فلم
يجب الخليفة الى تقيلها . فسأل في تقيل خاتمه لترفيفها وتبجيلها

قال: وفي النصف من صفر خرج من بغداد الى خراسان . وأما النوبة الثانية من دخوله الى بغداد فانه دخل اليها في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٤ ومعه نظام الملك وتاج الملك وأكابر مملكته وأرباب دولته وبرز أمين الدولة بن الموصلابا لاستقباله . وخرج خروج الوزير في جميع أحواله . وخرج السلطان منها ومضى الى خوزستان في صفر سنة ٤٨٥ بعد ان سير قسيم الدولة آق سنقر الى حلب والامير بوزان الى الرها وحران . وأما النوبة الثالثة فانه دخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥ بعد قتله نظام الملك ومعه تاج الملك وكانت وفاته بها في شوال

ذكر حوادث

قال: في ليلة السبت السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٤٧٨ توفي قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الدامناني ومولده سنة ٣٩٨ ودخل بغداد سنة ٤١٩ . وولى القاضي أبو بكر المظفر بن بكران الجوى الشامي قضاء بغداد . وتوفي نغرا الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جوير بالموصل في سنة ٤٨٣ ومولده بها سنة ٣٩٨

قال الامام محمد الدين رحمه الله: عاد الحديث الى تدريب كتاب أنوشروان

ذكر حال ولاية السلطان أبي المظفر بركيارق
« ابن ملكشاه برهان أمير المؤمنين »

قال : كان للسلطان ملكشاه أربعة بنين وهم بركيارق ومحمد وسنجر
ومحمود وكان محمود طفلاً فبايموه على السلطنة لأن أمه ترکان خاتون كانت
مستولية في أيام ملكشاه فلما درج بقي بحكمها ولأن الاسراء والوزراء كانوا
من صناتها فاختاروا ولدها ولأن الخاتون المذكورة كانت من أولاد الملوك
فقبضوا ابنها على أن بركيارق كانت أمه سلجقية ولكن لم يكن من بني
السلطان ببنداد حاضراً الا ولدها الطفل فبايموه وساروا الى اصفهان
وأجلسوه على سرير الملك وأخرجوا تلك الاموال العتيدة . والذخائر الطارفة
والتليدة . فمرقوها بأمر خاتون

قال : وفي أول المهد فتك بتاج الملك مماليك نظام الملك فانه كان وزيراً لخاتون
وولدها ولما سمع مماليك نظام الملك أن خاتون وولدها قد قصدا اصفهان
خرجوا ببركيارق منها الى الري وشرعوا في جمع المساكر عليه وحملهم على
ذلك دخلهم القديم الذي في قلوبهم من تاج الملك وكانوا ينسبون اليه قتل
نظام الملك . وفي بادئ هذا الامر تولى المستظهر باقة الخلافة وأخذوا منه
بيعة محمود ثم جاء بركيارق الى اصفهان محاصراً . ولم يكن معه أحد من أرباب
الدولة حاضراً . فان الاكابر كانوا محصورين . واجتمعت عليه جماعة من أبناء
الدهر غير معروفين . ولما سمعت والدته باصفهان واسمها زبيدة خاتون انه
على قصدها سفر وجهها للسفر . وخفر ما كانت فيه من ذمام الحفر . ومات

محمود وماتت والدته ولم تنقض سنة وتم الملك لبركيارق

وزارة عز الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك



قال: كان شريباً خميراً . لا يصيب رأياً ولا يحسن تدبيراً . بعيداً من الكفاية . قريباً إلى النواية . خالياً من الماتى . معروفاً بالقصور والعجز والتوانى . فلما زاد اختلال الملك . بدم نظام الملك . ظنوا أنه يرجع إلى نظامه بإحد أولاده فاستوزروه ووقروه وعزّزوه . وكانت علامته أحمد الله وأشكره وكان له أخ صغير اسمه عبد الرحيم فجعلوا إليه منصب الطغراء وقالوا أن هذا المنصب لا يحتاج إلى فضل وليس إلا مجرد ذلك الخط القوسى . وكان الاستاذ على ابن أبي على القسبى وزير كمشتكين الذى كان قديماً شريباً لبركيارق وآتابه . فحين ولى السلطنة نفذ أمره ومضى حكمه حتى كأنه فى الملك شاركة . وتولى الاستاذ على ديوان الاستيفاء وجرت بإيالة هؤلاء فى الدولة أمور شنيعة وأحوال فظيعة ولو تمشى أمر من الأمور فأنما كان بكفاية الاستاذ على فانه . كان يرجع إلى نظر لودعى . ورأى ورى . والباقون كالاصنام لا يضرّونهم ولا ينفعون . وأمّ السلطان قد خلعت عذارها وافتت كمشتكين الجاندار على المنكر ومعاقرة المسكر والسلطان . شغول باللعب والشرعة مع عدة من الصبيان والوزير أيضاً منهمك فى الشرب مع الاخذان . والمساخر والمجان . ووصلوا إلى بئساد واختاروا المقام فيها . والهمهم منانيها وغوانيها . وصار الامر مهمل . والعدل مفقود . وكان من أكابر الامراء فى ثنور مصر والشام أميران

كبيران في الجاه والقدر . كافيان في حفظ الثمر . وهما آق سنقر وبزان .
فتابعا الكتب والرسل الى السلطان . بخروج عمه الملك نقش بن الب ارسلان .
وانه قد خرج من دمشق وقد حشد جموع التركان . فاقرا لهما كتابا حتى
يشس الاميران ووقعا في ورطة الشر وظلنا انهما يقاومان نقش في رده عن
قصده فوقما في طريقه حتى حصلا في قبضته . وقتلا بسيف سياسته . وتوجه
نقش نحو الري وهذان وقم وجرياذقان وأمرء الدولة البركيارية كل منهم
في بلده مشغول بما هو فيه من القصف والذرف . قال : وبما قاله أبو منصور
الآبى أحد فضلاء المصر بالفارسية في قتل الاميرين مامعناه

قد غرقنا في الشرب والسكر حتى لم نفكر في سنقر وبزان
ماظفرنا بالبيدق الفرد في الدست ولكن قد أسلم الخان
قال : والاجناد طلبوا اصلاح حالهم وتركوا بركيارق واتصلوا بعمه
ووقع هو الى اصفهان وكان بها من بقايا الدولة الخاتونية جماعة أقوياء فخبسوم
وأتعبوم ففهم من مات في اعتقاله . ومنهم من لجع دون نفسه بماله . قال :
وكانت خراسان أيضا مضطربة وكانت بين ولدى الب ارسلان بوردى برس
. وأرغو مقارعات هرب منها مؤيد الملك ابوبكر عبيدالله بن نظام الملك الى
اصفهان فرأوه أهلا للوزارة في ذلك الوقت فخلعوا عليه خلة تامة للوزارة
وعاد به الملك الى النضارة . وكان مصرفا للسيف والقلم . عارفا بلفظ العرب
والمعجم .

له بين العوالي والمعالى وما بين المهتدة الذكور
مقامات شرفن فما يبالي أمات على جواد أم سرير
ولم يكن في أولاد نظام الملك اكفى منه وكان أوحده مصر . بلينا في

النظم والنثر . فتقدم ونظم تلك الامور المنشورة . وطوى تلك السيئات المنشورة . وكانت علامته الحمد لله على النعم . فتوجه الى مصاف تنش وقال لمجد الملك أبي الفضل وهو منزو باصفهان « قم وصاحبني » فاجابه « فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » فلما ضرب المصاف كسر تنش وقتل في المعركة وتوحد بركيارق بالملكة واستبرك بالوزير

قال أنوشروان : كنت معه في المصاف وذلك في سابع عشر صفر سنة ٤٨٨ عند قرية يقال لها داشلو على اثني عشر فرسخاً من الري فوصل مؤيد الملك الى السلطان في المعركة وهناك بالفتح فابتسم سروراً بما آتاه الله من النعم وقال له « كل هذا يركتك ويمن تقيتلك » فأمن الناس من أنه معزول . وأنه وزير مقبول . وكانت وزارته في ذى الحجة سنة ٤٨٧ ولما وصلوا الى الري بعد الوقعة بادر محمد الملك أبو الفضل الى الري من أصفهان واستمال قلب والده السلطان في مبدأ الامر وتمكن من الدولة وقبض على الاستاذ علي المستوفى فسل واعمى . وبقي مؤيد الملك وحيداً يتوقع البلاء ويتعرض . ويتمثل أكلت يوم أكل الثور الابيض . وكان أخوه نغر الملك أبو الفتح المظفر اكبر سناً منه وهو حينئذ بالري متمتعش الى الوزارة فاطمعه مجد الملك في موضع أخيه . وساعده على توليه . واعتقل مؤيد الملك وحبس . ورتب نغر الملك في الدست وأجلس . ولما كانت والده السلطان صاحبة العناية بمجد الملك أعانت على مؤيد الملك فكتب من الحبس اليها أياً بالفارسية يستعطفها ويتضرع اليها . واستقل مجد الملك بالاستيفله وغلب على الوزارة وبقي نغر الملك صورة بلا معنى . وكان أيضاً خالياً من الكفاية والفضل والادب . وعلماً لكل شيء غير الذنب . وهو أسير تصرفات مجد الملك وتابع رأيه وليس له

من رسوم الوزارة الاعلاية وهي الحمد لله على نعمائه وقال . يؤيد الملك فيه
بيتين بالفارسية عربيها عماد الدين وهما

ماذا أقول عن امري * جمع المعايير والمعايير

عادت مناقب والدي * من شؤم منصبه مثالب

قال : وخلص . يؤيد الملك من الاعتقال وأقام مدة مديدة في حماية بعض
الكبراء تارة في نهاوند وتارة في مشكان مظهراً انقطاعه الى المباداة ثم انه
قصده سرير الملك الحمدي في جنزة ورأى ان اقبال محمد على ادبار بركياريق
غالب . وانه لاحالة الملك أخيه وارث أو سائب . وكان في نفس محمد طلب
السلطنة فتواها . يؤيد الملك وحق رجاها فيها فقبله الملك محمد واصطفاه
واستأمنه لخلواته . واستشاره في عزيماته . ثم سلم اليه وزارته وشعف بقربه
وأسكنه صميم قلبه . وقلب . يؤيد الملك . وكل بالانتقام . ورأيه . عمل في تسديد
مراي ذلك المرام . ولم يزل يقرب على السلطان محمد البعيد . ويلين عنده
الشديد . ويحبب اليه الجدد وينفض اليه اللب حتى حرك اليه ساكن ارادته
وسار من أران به في شردمة قليلة وبلغ به في مدة يسيرة الى دار الملك أصفهان
فتبوا بها سرير سروره . واجتاب حبير حبوره . واستمال اليه الساكر
واستفاد الي بهجته ونهجته الاسماع والنواظر . وألجأ بركياريق من الاوساط
الى الاطراف . ومعنى بالاغتراب والاعتساف . وقبض على الخاتون زبيدة
وحبست في قلعة الري ثم سعى . يؤيد الملك في خنقتها فخنقت وأحاطت به
أوزار قتلها وأحدثت . وأما مجد الملك فانهم أفسدوا عليه قلوب الساكر وأضرخوا
بمضرته . وأغرخوا بطلب غرته . فبضعوا بين الجمهور بسيفهم أعضاءه .
ووزعوا أشلاءه . وذلك في سنة ٤٩٢ وله إحدى وخمسون سنة . وكان

رجلا مواظبا على الخيرات والصيام والقيام . واقاة الصلاة . وابتاء الزكاة .
مديما للصلات والصدقات . لم يسمع قط في دم . ولم يخط الى مضرة أحد
بقدم .

ذكر خروج السلطان أبي شجاع محمد بن ملكشاه
قسم أمير المؤمنين من جنزة وأذن الى الري وأصفهان

قال كان هذا السلطان مؤيدا موفقا . محققا لرجاء فيه مصداقا . ميمون
النقبة . محافظا على تقواه مع الشيعة . يحب الاقتداء بآثار جده البارسلان
في سياسة الملكة وعلو الهمة . وكان وقورا ميميا . أربيا ليبيبا . فلما جلس
على سرير ملك أبيه وجده ووجد قواعد الدولة بإيالة أخيه مختلة . وعقودها
منحلة . ضم النشر . ونظم المنتشر . وأحكم القواعد . وأبرم المعاهد . وأعاد مؤيد
الملك الى منصب أبيه في الوزارة . وملا بسناه أفق السيادة . فلابس هذا
الصدر الامور بصدر واسع . ورأى رافع . وتدير لشمل السداد جامع .
فاستقلت الدولة باجتهاده عن كبوتها . وزالت نوبة نبوتها . وبقي سنين وقد
انتم من خصومه باخذ الثار . وشفاء ظل الاوتار . وحاز مال مجد الملك وسمى
في قتل زبيدة خاتون فلا جرم عاد مرتبها بجره . وعثرت قدمه في ظلمة
ظلمه . وأسره عسكر بركيارق في مصاف جرى بين الاخوين على حد
همذان وأحضره بركيارق بين يديه وأوثقه كنافا وعصب للقتل عينيه وهو
قد رفع صوته بكلمة الشهادة ولم يظهر منه جزع . ولا خور ولا فرع . فغضب

بركيارق بيده عنقه . وكان قصد والدته السلطان والسبي في دمها أوثقه . فاعدم
مثل ذلك الشخص العديم النظير . وأعنى ذلك الوزر في حز عنق ذلك
الوزير . وهيات أن يلد الزمان مثله في دهائه . وزكاؤه ورأيه وحياته . ولطفه
وظرفه . ولينه وعطفه .

قال : وآلت وزارة بركيارق الي الاستاذ عبد الجليل الدهستاني ولم يكن
له أثر محمود . ولا يوم في الكفاية مشهود . بل تفاقم شره الي أن أخرج املاك
الناس في الاقطاع . وكان في الظلم مستطيل اليد طويل الباع . ولم تطل أيامه فانه
بقر بطنه باطنى على باب اصفهان . قال : وبقيت حقوق مؤيد الملك عند
السلطان محمد محفوظه . وبمين الرعاية ملحوظة . فاعتقد ان نصير الملك ولده
النجيب وانه اذا ولاه قضى حق أبيه . فولاه وزارة بنيه . وكان يأنف الكلب
من لؤمه . واليوم من شؤمه . ومعايه لاتمد . وغازيه لاتحمد . وعن له ان
يشتغل بعلم الاوائل فبلغ منه الى حد التعطيل . ووقف عند محار الدليل . وقد
صنف ابو طاهر الخاتوني فيه كتابا سماه نزير الوزير . الزير الخنزير . وبطل
بمد مؤيد الملك ذلك الترتيب . وظهر على وجوه الايام التقطيب . واستمرت
سنين بين محمد وبركيارق مصافات . وتمت مخافات وافات .

قال أنوشروان : وكنت قد فجعت بمصرع مؤيد الملك وأثر في قلبي
مؤلم مله . وأزعجني عن المقام مقيم همه . حتى حصلت بالبصرة فأقت بها مدة
ثلاث سنين . وصادفت اخوانا صادقين . من جملةم الشيخ الامام أبو محمد
القاسم ابن علي الحريري صاحب المقامات يوافقني في الجد والهزل طائما فينظر
من عيني ويسمع من سمى . وفي هذه المدة التي أقت فيها بالبصرة درج
بركيارق وكانت وفاته بالسل والبواسير وير وجرى في ربيع الآخر سنة ٤٩٨

وبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ووقع عليه اسم السلطنة وله اثنتا عشرة سنة وقاسى من الحروب واختلاف الامور ما لم يقاسه أحد فتفرد بالسلطنة أخوه محمد ودان له المشرقان . وتصرف بيده زمام الزمان .

قال أبو شروان: فجاءني يوماً توقيع سلطانى على يد أمير من بعض الخواص فاستدعاني واستدعاني فوصلت الى بنداد والسلطان محمد بها في وزارة سعد الملك ابى المحاسن سعد بن محمد الآبى وكان وزيراً مسيداً حسن الطريقة ذا هدوء وهداية ورأى وكفاية . فجمع الساکر على الطاعة السلطانية وأطفأ نائرة الفتنة الشيطانية . وكان الأمير الاسنهسلار اياز مقدم المسکر البرکیارقي فلما توفى برکیارق صار اتابک ولده . ملکشاہ فقام مقام والده . وردت ملکہ به الى قواعده . فاهتم سعد الملك باستمالته . وحلف له على سلامته . فلما مکن من نفسه قتلوه . وأخذوا ملکشاہ بن برکیارق فسلوه . وذلك في سنة ٤٩٩ فزال الشنب وسكنت الدهماء . وكانت للوزير سعد الملك في هذه الحیل اليد البيضاء . قال: وسرت في الخدمة لاساروا الى اصفهان . ومادام هذا الوزير في ولاية السلطان . ظهرت له آثار حميدة . وآراء سديدة . وكانت علامته الحمد لله على نفسه . وكانت له في الباطنية نکایات . ورفعت له في فتح قلعة شاهدز رايات . وكانت قلعة منيعة على جبل اصفهان تناصى السماء . وتناظر الافلاك . وقد تحصن بها أحمد بن عبد الملك بن عطاش طاغية الباطنية في طائفته . وبلیت اصفهان وضياعها ببليته . فسمي لها سعد الملك بالرأى الصائب . والعزم الثاقب . وتلطف في افتتاحها . ودبر في استئزال من فيها على اثار الملة الاسلامية واقتراحها . فأنزلوه من معقل الى عقال . وبدلوه آجالاً من آمال . وألصقوا خد تلك القلعة بالتراب . ووضع الهناء فيها مواضع النقب .

وكذلك افتتح قلعة خان لنجان . وهي أيضاً بقرب أصفهان . وكانت قد خربت تلك الولاية بما لاهلها فيها من النكاية . وكان بأصفهان رئيس يقال له عبد الله الخطيبي وهو حاكمها والمستولى على رئاستها وهو رجل جاهل . من أنواع اللوم خال محتال . يبدى تنمسا باظهار زهد وورع محال على محال . ولم يكن له سوى ضخامة جثة . وفخامة لحية كثة . وكان لقاءه الاى مقبولا . وكلامه السمي ممسولا . وكان من هذا الوزير خائفا . وبمعرفة الوزير بباطن شره عارفاً وطلب من السلطان خلوة غر السلطان فيها بتنميسه . وروج لديه سوق تليسه . وتم تفاق نفاقه . وبرز هلال محاله . من حماه . وجرى من مناصيه على ساعد الملك انه حقق في اعتقاد السلطان انه صديقه الصادق . ورفيقه الموافق . الا ان فيه عيباً واحداً وهو انه الى الباطنية مائل . وبمذهبهم قائل . وانه يجتهد في ازالة هذا الاعتقاد من قلبه . والمبالغة في نصحه . اشفافاً على ما أجده من حبه . فانه يزعم على فساد مثله مع فضله ونبله . واعتقد السلطان صدق قول الخطيبي وحسبه خالياً من الغرض . حالياً للنصح المفترض . ثم أغفل مدة وعاد اليه وآيسه من قبوله . وأسف على ما فاتته اليه من سوله . وصار يشفع الى السلطان في تأجيل أمره . لاجل ما عنده من مودته . وان لا يجل في عقوبته . وقد وضع من خواص السلطان صبيئاً ناعاً على الوقوع في الوزير . وانه باطني الضمير . ولم يزل به حتى أوقفه في الحبس . ولما قيد رتب جماعة من الاوغاد شنوا على الوزير في دار السلطان في مجمع من الامراء والقاضي حاضر ، وقال كل منهم هو ملحد وكافر . وما زالوا بالسلطان حتى صلب الوزير مع عدة من أكابر ديوانه . يبهت عدوه وبهتاته . وذكر انه لما اطلع الوزير على مكيدة خصمه . دبر في مكيدة عليه . فماد على الوزير وباله . وآل الى

أهلا كه مآلها . وذلك انه كان عارفاً بمكاتبات كانت بين الخطيبي ورئيس الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطّاش في مبادئ أمره . وكان معلماً على سره . فأراد ان يستدعي بعض تلك المكاتبات بخط الخطيبي ويقول للسلطان هذا الرجل رمانى بما هو مذهبه وشأنه . وخطه هذا حجة قولى وبرهانه . وأرسل فى ثقاته فى هذا المهم من كتب على يده بخطه توقيماً بالجواز . ولم يوصه بالاحتراز . فظفر بالرسول من كان مرتباً لحفظ طريق القلمة . ومنع الميرة عنها والطعمة . فوجدوا خط الوزير معه بالجواز فأخذوا الخط وكان من أعظم أسباب ذلك الخطب وذلك ان السلطان حفظ خطه الى ان قبضه . ثم عرض عليه فصّرح له ان كتابه لتلف عرضه . فلما أوتى كتابه . لم يجد جوابه . وما نبس بكلمة . ولا فاه بينت شفة . ولو قال لما سمع . ولو اعتذر لدفع عذره ومنع . وكان من أمره ما كان . ولقى الرحمن . ولقد كان رجلاً خيراً لى الأديم . كريم الحميم . جامعاً لآلات الوزارة . وأسبيلها لا ثباتاً قيل للبيادة ودوتها .

قال : وكان المستوفى فى وزارته للسلطان زين الملك أبو سعد بن هندو ولم يكن له أصل ثابت . ولا فرع ثابت . ولما تولى خرج واستخرج . وأمر وأمرج . وأخذ الاموال جزافاً . وأسرف فيها اسرافاً . ولما انقضى أمر سعد الملك رفعت عليه رقائق وأخذ وحبس واستعصفت أمواله ونهبت دورره وتخبطت أموره وبقي فى الحبس سنين . ولقى العذاب المبين . وكان صاحب ديوان الانشاء فى وزارة سعد الملك نصير الملك محمد بن مؤيد الملك وكان مع جهله وعدم فضله للديوان به أهبة وجلالة . وحلية وحالة . فزلت به قدمه . ولم يأخذ أحد بيده . ولقى مشنوءاً مهجوراً بكمدته . وكان وكيلدر السلطان فى وزارة سعد الملك اميرى القزوينى المعروف بالزكى

ذو كيسة من جملة التجار وكان قد هرب من أبي مسلم رئيس الري والتجأ إلى سعد الملك، فآرا الوزير أن يكون بينه وبين السلطان من يتردد في المهمات. ويأتيه بجواب المواشرات والرسالات. والذي يتولى هذا الشغل يقال له في المعجم وكيلدر أي وكيل الباب ومنزلته أخص من منزلة الحجاب ويجب أن يكون منطبقا علينا. متجرعا في مضائق الكلام الفصص مسيفا. مستتلا بأقامة الحجة عند الحاجة. متجنبنا للسماجة. بقول ينسب إلى السماحة عارفا بإخلاق السلطان في أوقات رضاه وسخطه. وتقبضه وبسطه. فإذا وجده منقبضا نلطف في تشييطه مما ينفق عليه من الحديث الرائق. والقول النافق. حتى إذا رأي منه سياء القبول حدثه بمقصوده. والا جرى في الامساك على معهوده. فان السلطان لا يثبت خلقه على حالة. ولا بد له من ضجروه لالة. وكان هذا القزويني خالياً من هذه الممانى كلها لكنه التمس إلى سعد الملك هذه الولاية فأجابه إلى ملتسه. ووافقه على هوسه. لسلامة نفسه. وذهب عنه انه سوق قفز من الدكان إلى باركاه السلطان فزاحم أركان الدولة بالمكانة والمكان وكان إذا خاطب السلطان وشافه حدث له عجب فانخرج وانخلع. وخرج عما فيه شرع وجمع بين الاروى والنمام. والضباح والبنام. ثم لا يتكلم الا بكل ما يضر. ويسوء ولا يبر. واستنصر سعد الملك من جانب ذلك العاجز بنير قصد منه في حقه وأى ضرر أقوي وأمكن من كونه قتل في حبل خنقه. وكان عارض الجبش في وزارته أيضاً أبو المفاخر القمي وكان قد غلب عليه في اسطلاح الخاصة العامة نمت طرطنيل. وما عرفوه بنير هذا الاسم الثقيل. وصرف في وزارته وولي عمله عن الملك بن الكافي الاصفهاني وبقي فيه أشهراً فلما أخذ سعد الملك اقترنت نكبته بنكبته.

واتفقت صلبته مع صلبته . واستدعى مختص الملك أبو النصر القاشي في وزارة سعد الملك وصرف به من ديوان الإنشاء محمد بن مؤيد الملك قبل هذا وذلك طرْد . وأقيم ذلك وهذا أقمد .

قال : وخلا الميدان للخطيبي فصار محكاً للإسلام . وهو عند السلطان متبول الكلام . وأصحاب السلطان عنه خاشون . والى باب غاشون . وكان إذا سأله السلطان عن واحد كيف تدره أجاب مرة بلا أدري ومرة بلا أعرفه وتارة لمجانى فأتى البحث عنه واكتشفه وتارة يشهد عليه بما يهدر دمه

قال : وحدثني ابن المطلب وكان وزير الامام المستظهر قال ما زال هذا الخطيبي ببغداد يتوصل حتى ابصر قهرمانة لدار الخلافة فقال لها اليوم أجرى معي السلطان حديث هرون أخى الامام المستظهر وسألتني عنه فدخلت القهرمانة الى الدار واوصلت الى سمع أخيه ما حدثها به الخطيبي فقامت قيامة الخليفة وتمكن الاستشمار من نفسه الشريفة فكتب الى الوزير يأمره بالركوب الى الخطيبي ويحمله على الاضراب عن ذكر أخيه . ويحمل اليه ستة آلاف دينار اميرية يدفع بها شره ويكفيه

قال : فاستأذنته في الركوب اليه في الليل . فانه اخفى لاوليل . فاصبر ولا وجد القرار حتى ركبته اليه وأرضيته بما حملته . واستغفرت عن حديث هارون واستنزله

قال : وكذلك لم يترك من خواص السلطان أحداً الا لوثه . وشوش عليه رأيه وخبثه . ولم يغادر أحداً من الخاصة والعامة الا طرقت اليه ظنة . او قلده بسكوته عنه منة . وقال له السلطان يومنا كيف كان أصحاب دواوين والدي وجدي في أديانهم . وانهم كانوا لا قنح في ايمانهم . فكيف اختص

هذا الاوث بزمانى وباصحاب ديوانى فقال اولئك كانوا من أصحاب خراسان .
 وهم أهل الدين والاحسان . وهؤلاء أهل العراق . أهل الالحاد والنفاق .
 فتخيل السلطان صحة مقاله . واستحكم تقريب الخراسانيين وابعاد العراقيين فى
 خياله . واعتقد انه ليس فى العراق مسلم . وان افق الملك بغير الشرفيين مظلم .
 وكان بالعراق جماعة من أهل خراسان محرومون مهجورون من كل جاهل
 مجهول . وساقط ذى خمول . ومنزوي الى ناحية . ومتنع الى زاوية . ومتنمس
 بالرياء . ومتهوس بالكيمياء . وبطل مرجف . وعمال محترف . فلما عرفوا
 ميل السلطان اليهم رفعوا رؤوسهم . وعرضوا نفوسهم . وخطبوا المراتب .
 وطلبوا المناصب . وغفلوا بل غفل السلطان عن هذه النكتة ان خراسان
 عش مذهب الباطنية . وبها افرخ وباض . ومنها شاع وقاض . وفيها حصونه
 التى لم تفتح . وعيونه التى لم تمتح . وانقضى عصر سعد الملك سرياً . وصار
 بالمرع الصريح صرياً . وعاد الملك المريع منه مروعا .



— ❦ — وزارة الامير ضياء الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك ❦ —



قال: لما نكسب سعد الملك طمع الى الوزارة عمرو وزيد ووصل يوم
 نكسبه الامير ضياء الملك وخطير الملك ابو منصور محمد بن الحسين الميئدى
 وكان قد استدعى من فارس فاختلفت عليهما الآراء فرأى السلطان حفظ
 الجانبين . وأمر بتولية الصاحبين . وجعل دست الوزارة للنظامى .
 ومنصب الاستيفاء للميئدى . والى بتأليفهما قلوب خواصه . وخص كلامهما

باستخلاصه . وأعطى سياسة ملكه حقها . وجلا بسناء احسانه ألقها . قالت الحكماء : « منازل السياسة اربع فالاولى سياسة الرجل نفسه . والثانية سياسة أهله وولده ومن يضمه منزله . والثالثة سياسة بلد واحد يتقلده . والرابعة سياسة الملك كله . ففى عجز عن منزلة من هذه المنازل فهو عن التى ثلها اعجز » لاجرم ابتلى هذا الوزير بشقعة نسبه . وهو غير خير بساوك مذهبه . ولم يكن من شفه ولا من اربه . وكانت أعلامته احمد الله على نعمه . فقضى حقه بشغل عجزت اللقاة الدهاة عن القيام به ووقع اسم الاستيفاء على الخطير كما يدعى بالجهل . اسم النبوة ابو جهل . فلم يكن للمنصب المأهول دسسته بأهل . وخواجه مختص الملك صاحب ديوان الرسائل . معدم من الفضائل . وهو عند اولئك اكتب الكتاب ويمجز عن كتب خمسة اسطر بالفارسية فضلا عن الدرية

قال انوشروان : وانا ولانى السلطان الخزانة فانه استدعانى الى خلوته وخصنى بكرامته . وسلم الى خزائن ممالكه وكان هؤلاء الاكابر انما يصلون الى السلطان فى الباركة اذا جاس لمامته وانا اختص بخلوته واستسعد بمحادثته . فمظمت وجاهتى بمواجهته . وحسدنى اكابر الدولة على منزلتى . وانتظروا زلتى ومنزلتى . واتفق فى ذلك الوقت ان الامير السيد ابا هاشم الحسينى رحمه الله رئيس همدان . قد تغير عليه رأى السلطان . وذلك لان قوما من ارباب الدولة تناصروا عليه . وادبوا عقارب مكايدهم اليه . وأطعوا المتوج بن ابى سمد الهمدانى فى ايلة همدان ورئاستها وكان المتوج هذا من جهة الرئيس منكوبا . ويده مضروبا . فاوقموه فى معارضته . وعرضوه لواقسته . وأغلقوا على الامير السيد وعلى اولاده باب داره . وسدوا عليه طريق فراره .

وقرروا عليه سبعمائة الف دينار احر . سوى ما يلزمه من توابع ولوازم هي اكثر من ان تحصر

قال انوشروان : فامرني السلطان بالمسير الى همدان لاستيلاء هذا المال . وعاد السيد ابو هاشم وهو شيخ كبير قد ضعف بصره . واقتل نظره . فمظم عنده ما قرره عليه واستكثره . فحضنت له النصيح وضمنت له النصح . وعاقده على مساعدته . وعاهدته على معاضدته . ووعدته بالسعي في اصلاح حاله . وانجاح آماله . ونقد سبعمائة الف دينار عتيق في سبعة ايام من موجود خزانته . ولم يستمن بأحد من أهل مدينته . وحثنا على المسير . ولم يأذن لنا في المقام اليسير . فحين اوصلت المال الى خزانة اصفهان . ولقيت السلطان . شافته بمحيقة امره . وعرفته اختلاف اصحاب الاغراض بالباطل في حقه . فامر السلطان باعادته . الى رئاسته . ومنصب سيادته . وسير اليه الخلع السنية والتشريفات اللائقة بشرفه . وأحيى متلد مجده بمطرفه

قال : ولما حصل ذلك المبلغ في الخزانة سلمها الى . وعول في دخلها وخرجها على . فتوليت الخزانة والركي ذوكيسة فيها . وكذب خدائية الخزانة به منوطة . وامورها باماته مربوطة . ولما سار السلطان الى بغداد فتك بالركي هذافي سوقها فقتل في الحال قتله . ولم يعرف من اى وجه غالته غوائله . قال : وقد سبق القول بأنه لم يخلص من طعن الخطيبي سوى مختص الملاك الكاشي . فلم يثبت على تلك الحالة فانه شرع عند السلطان يقدح في دينه . ومجرى من الشر في ميادينه . ثم انه قد نقش في لوح خاطر السلطان ان الباطني لا يعرفه غير الباطني فاجتهد حتى دل على رجل من الباطنية من الخوف . ختف . وفي بعض الزوايا مكثف . فاحضره وآمنه . وقوي نفسه

بما أمكنه . وقال له « لا بأس عليك ولا سبيل للذى إليك » ولقنه أسامي مائة
نفس من خدام السلطان . وأعيان البلدان . وقال له « اذا سئلت عن تعرفه
من الباطنية فاذكر هؤلاء . وعدم على الولاء » فردده الى موضعه وقال
« لا تخف فانك ان أخذت أنجيتك . وان أخذ منك أعطيتك » فلما عاد
الرجل الى مكنته حضر الخطيبي عند السلطان وقال : « قد دلت على رجل باطنى
فى موضع كذا وأرجو أن يقع فاعله يفتح علينا بشئ من أسر الباطنية » فامر
الحاجب بانفاذ من يأخذه فأخذ وأحضر وسئل عن يرفه من الباطنية فى
البلاد والعسكر فاعاد ما تلقته من الخطيبي وأجرب ذكر مختص الملك أبى نصر
والصنى القسى أبى الفضل نائب الخليل فى ديوان الاستيفاء وكذلك عد قريباً
من مائة من المعروفين فأخذوا وسلخوا الى الأتراك . وتعرفوا منهم فى الدور
والاملاك . وتشتت أهلهم . وتفرق شملهم . وفى أثناء هذه المكائد
والحيل نزل الخطب بالخطيبي وضرب بقتة بسكين سكنت حركته . وأسكنت
نামته . واشتمت به خاصة الزمان وعامته . وبقي المكذوب عليهم فى السجن
شهوراً . وانتقم الله ممن جاء فى أمرهم بهتاناً وزوراً . ثم تين للسلطان بعد
قتل الخطيبي انه كان محالياً مستحلاً . مستبداً بالاحتيال والاعتقال مستقلاً .
وعرف أن ذلك الباطنى ذكر من ذكره بتلقينه فندم السلطان ولات
حين مندم . وأمر بالافراج عن أولئك الساكنين . ولم يسمع السلطان بعد
ذلك حديثاً فى اعتقاد . ولم يصدق نسبة مسلم الى الحادى . واذا جرى عنده
حديث الباطنية قال « انهم فى القلاع وهى موضعها ونحن نقصدها ونقلها »
وشمف بمحصار حصونهم وفتح قلاعاً لو بقيت الى الآن فى أيديهم لم
العالم الكفر

قال : وكان شمس الملك بن نظام الملك أخو الوزير حاضراً وكنـت متولياً لمرض الجيش فتقل هذا المنصب منى اليه بعد أن أخذ منه الفى ديناراً خدمة أوصلها الى الخزانة وبقي فى قاب السلطان من مختص الملك شئ من الارتياب به لم يزل . ومن يسمع يحل . ولم يكن ظهرت بعد احتيالات القاضى فأزال السلطان اختصاص المختص . وتمدد قواهم شغله بالحص . وكان الامير العميد محمد الجوزقانى عميد بغداد فاستدعاه ونقل اليه منصب المذكور . واعتمد عليه فى تلك الامور . وهو منصب الطغراء . وليس أكبر منه بعد الوزارة الا منصب الاستيفاء . ثم الطغراء . ومن جملته ديوان الرسائل والانشاء . ثم الاشراف ثم عرض الجيش . والطغرائى هو وزير السلطان فى الصيد لنية الوزير وعليه الممول . فصار الامير العميد طغرائياً . وكان من كسوة الفضائل عرياً . وتولى أيضاً وزارة كوهى خاتون بنت الامير اسماعيل ابن ياقوتى زوجة السلطان وكانت وزارتها أيضاً . نوبة بكفاية المختص فصرف من الشغلين . وتسلم الامير العميد المنصبين . وهذا محمد الجوزقانى كان ولد خطيب جوزقان . خرسانى المولد والاصل وانما كانت الرغبة فيه لخرسانيته . لا لانسانيته . وتعرف الى السلطان بالمذهب الحنفى ومشاعبته فيه . وادلاله بالتعصب بين ذويه اذا سلم عليه واحد لم يسمح له برد السلام . حتى يقول له ما مذهبك من أهل الاسلام . وكان قبيح الجبه . شديد النجبه . صفيق الوجه . كابى براقتى فى ثلونه . وكالمعق فى ثقلبه . وكالذئب فى ثوبه . وهو خارج عن الحد فى تعصبه .

قال : وكان قد خلص زين الملك أبو سعد بن هندو من الحبس ونزل فى المسكر بغير شغل ثم داخل صدور الديوان . واستولى على المكانة

والمكان . وكان خاليًا من أدنى فهم . جاهلا بكل علم . ومن جملة ذلك أنه سلم اليه كتاب قرار ليكتب خطه بما جرى من قرار الديوان فكتب كذا الاستقر بالالف واللام وكتب فلان بن فلان

تمس الزمان لقد أتى بمجابهة ومحامصوف العلم والآداب
وأني بكتاب لوانطلقت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب
وكان الوزير ضياء الملك رجلا سهل المحجة . صادق اللمجة . اذا جلس
في صدر وزارته . وأحذق الصدور بوسادة سيادته . انار دسوته . وحسن
سسته . وكان كل منهم اذا اجتمعوا سلقوه بالسنة حداد . وكدروا ورده فيما
هو قانون الوزارة من الاستقلال والاستبداد . قال : ولما لم يكن مباشرته
للوزارة صائبة . وكانت الآمال في نجه خائبة . لم تلق مدة ولايته تمكينًا
ولقى بعد صرفه اثنتي عشر سنة مسجونًا . ولقى أضعاف كرامته هوانًا . ولم
يصادف من زمانه واخوانه الا خوانا

قال : وتوفي الامير السيد أبو هاشم الحسنى رئيس همدان فقتل من
خزائنه الى خزانة السلطان بعد ما آداء مبلغ مائتين وخمسين ألف دينار
وما أثر ذلك في حال بته . وقام حيه بتأيل مجد ميتة . وزاد تقرب السلطان
لولده . وقوى يده على رئاسة بلده . وظهرت مخايل عميان ملك العرب
صدقة بن منصور بن ديس بن على بن مزيد الاسدى وذلك في سنة ٥٠٠ هـ
فتغير رأى السلطان فيه حتى جرّ اليه عسكره . وكدراليه مورده ومصدره .
وجرت بينهما وقعة غلبه السلطان فيها وقتله . واستضاف مملكته الى مملكته .
واستخلص ما كان في يده من ولايته . وحيز أقليمه بقلم الحيازة الديوانية .
وتصرف فيه كتاب الدولة السلطانية . ومزقوا بالتبذير تلك الاموال الجزيلة

وخرّبوا بسوء التدبير تلك الاعمال الجليلة
 قال : وقد كثر تعجبي من السلطان يتأثق في تخيير كلاب الصيد وفهوده .
 وانما يقتنى منها ما يراه موافقاً لمقصوده . فيسأل عن فروعه وأصوله .
 وانقطاعه ووصوله . فباله لا يتخير لديوانه . ومراتب سلطانه . من الكفاة
 الأفاضل . والصدور الامثال . من عرفه ذاك . وعرفه ذاك . وعرفه كريم .
 ومجده قديم . وطريقه في الكفاية مستقيم . لقد كان هؤلاء أولى
 بالاختيار . وأجدر بالاختبار . فانهم أمناؤه على مملكته . ووكلأؤه على
 دولته . وسفراؤه في خدمته

وزارة خطير الملك أبي منصور محمد بن الحسين الميمني

قال الصادق عليه السلام : كل شيء يحتاج الى العقل الا الدولة . قال :
 وقد عرف انه معدم من كل آلة وأداة . غير لائق برعاية يراعة . أو الاقة
 دواة . حمارٌ راحٌ . جانحٌ جامعٌ . عضوضٌ رفوسٌ . حرونٌ شمسٌ .
 معدن النش والدغل . منبع السكر والحليل . وكان قد وزر مرة أولى .
 وعرفوا ان يده في القصور طولى . لكنه توسل في هذه المرة لموده الى
 الوزارة بمنس توصل بن جبير في الوصلة الى نظام الملك بانته . وهذا لم
 يكن له وصلة شرعية ولكن تم له الامر بمثل وسيلته . والى ذلك أشار بن
 الهبارية في وزارة بن جبير

قل للوزير ولا تفزعك هيئته وان تناظم واستعلى بمنصبه

لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر حراً صرت مولانا الوزير به
 وكان رجلاً جسيماً ملء الثأبوت . وعقله أوهن من بيت العنكبوت .
 فإذا استند الى مسنده في الديوان . اعتقد انهما مسندان محشوان
 وزير غاص في شحم ولحم ولم ينسب الى عقل وفهم
 اذا لبس البياض فعذل قطن وان لبس السواد قتل غم
 وكانت علامته الحمد لله المنعم . وكانت له في الجمل نواذر شوارد .
 وبواذر بوارد . ومن جملة ذلك انه كان يوماً ببغداد راكباً في زى حسن .
 ووكب خشن . وجمع جم . وبهم وذم . وجلال الدين صيد الدولة أبو
 علي بن صدقة الذي وزير للمسترشد مسيره . واجلند قد عقدت بروايته
 ورويته اسماعه ونواظره . فالتفت الخضير الوزير وقال « قد أشكلت على مسألة
 لا بد من محل أشكلها . وانشاط قلبي من عقابها . هذه الواطاة سنة قديمة
 سبق اليها القدماء . أو رسم مستحدث أحدثه السفهاء » فقال له بعضهم « هذا
 رسم قديم لقوم لوط » فقال الخضير « ومن كان لوط » فقالوا « نبي من أنبياء
 الله » فقال « متى كان قبل نبينا أم بعده » قالوا له « كان نبينا صلى الله عليه
 وسلم خاتم النبيين . وسيد المرسلين . ولا نبي بعده » قال « فما الذي قال
 فيه » قالوا له « قد أنزل الله في قوم لوط إنكم لتأتون الرجال شهوة
 من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون » قال « ما معنى تجهلون » وكان عجباً
 لا يعرف كلمة عربية فقالوا له « أي لا تعلمون » فقال « هذا حسب فالامر
 اذا سهل وعذر فاعله انه ذو جمل وأنا اعتقد انه أعظم وزراً وأفزع أمراً »
 فانظر الى جهالته في ضلالتيه . ونزارته في وزارته . وكان مهذاراً مكثاراً
 لا يستر شواراً . ولا يحذر عثاراً . وما كفاه ذلك حتى استتاب بن الكافي

الاصمهانى الناقص الملقب بالكامل . الطويل بغير طائل . والثيرم الذى كان له
عند الكرام طوائل . طناز غماز . هماز لماز . وكان من نواب الدهر .
كونه نائب الصدر . بمن بان أخته تحت الوزير . وهو بذلك بالغ القدرة
وانتقد . وهو من الذين قال ابن الهبارية فيهم من أبيات في ذم أصفهان
بلد أبو الفتح اللثيم عميده والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
وطريفة الكافي الطويل وشيخه مع انه دنس المحل خسيه
وابن الخطيبي الصغير محله قاض وجرو المندوى جليسه
فاتفق جميعهم على الوقية في زين الملك ابى سعد بن هندو . حتى بلغوا
في مكروهه ما ودوا . فباحوا بسر سرائره . وحملوا السلطان على أخذه
بجرائره . وانما تمشى لهم السعى فيه بما كثروا عند السلطان من ثروته . وقالوا
اننا نقل ما شئى الف دينار الى الخزانة من خزائنه . فأمر السلطان بأخذه
وتسليمه الى التونتاش . وأوقعه في مخاب ذاك البطاش . فحمله من اصفهان
الى مدينة ساوه وصلبه يوم الجمعة في شارعها . فلما قتل تصرفوا في ماله .
وتدينوا باستحلاله . وأنسوا السلطان المائى الف دينار . وتحكم ابن الكافي
في ذلك المال . واستوعبه الكامل على الكمال . وأعيد في وزارة الخطير ديوان
الاستيفاء الى معين الدين مختص الملك فتولى بعد الزل وتمكن من الشغل
وعبث بهم ابو طاهر الخاتونى في أبيات فارسية قال الامام عماد الدين :
وعربت بعضها وقلت

صدور ما بهم للملك ايسراد واصدار

خفاف لو نفختهم وهم في دستهم طاروا

رأيتهم كما كانوا وأعرفهم كما صاروا

وكان الاستاذ الموفق ابو طاهر الخاتوني من صدور الدولة . وأعيان
 المملكة . وأفاضل العصر وامثال الدهر . ذافصحة وحصافة . ولطافة وظرافة .
 في النظم والنثر جامعا لادوات خدمة الملوك . خيرا في مناهج المناهج
 بالسلوك . قد قلب الأمور ظهرا لبطن . وجرب الحالين من قوة ووهن .
 ولم يزل مذنشا والى آخر عمره صدرا كبيرا . وشارا الى صوبه وبالصواب
 مشيرا . وما زال الخاتوني مستوفيا . ودوان السلطان بكفايته مكشفا . فلما
 تولى هؤلاء صرفوا نقصاتهم عند فضله . وانخفاض علمهم في البراعة عند
 ارتفاع محله . وعلموا انه لا ينفي عن صيهم عينه . وانه لا يقضي الا من
 عرض عرضهم ان قارضوه أو عارضوه دينه . فتخيلوا من تربيته وانتقاده .
 وتحيلوا بكل طريق بعد تقريبه في ابعاده . فتسحلوا له من جرجان شغلا .
 وعدوه له أهلا . وجروا الى جرجان . جرجان . ونقل من أعز مكانة الي أذل
 مكان . قال الامام عماد الدين رحمه الله . وشكا في آيات عجيبة أعجاب حظه
 واتهامه . واقلل قلمه واعدامه . فربتها وقلت

لمرتبة الكاب في عصرنا على رتبة نحن فيها شرف

وما عاد ذو قلم مفلحا فان القلاح لطلبل ودف

قال : وكان مختص الملك قد شمر جفنه للشعر فيه فماد كانه شكل
 مثلث في عين رأسه . فقال فيه الموفق الخاتوني بيتا بالفارسية مشتملا على
 معنى بدیع وهو انه ينظر من مثلث عينه الى الناس نظر تريخ فقلت

لصدر الصدر ضيق في اتساع ويطعم في كمال من قصور

على التثليث ناظره ولكن من التريخ ينظر في الأمور

قال : وما زال الوزير يصنئ فيه الى السعاة . ويسيم في صرعى سمعه

سرح الوشاة . ونسبوا اليه التقصير والتخليط . والافراط والتفريط . وأحال
الوزير عليه بمائه الف دينار وانتهز في أمره الفرصة . وأخذ في استدعائه
من جرجان الرخصة . فاستحضره وتشدد في إرهاقه . واستصنى ماله فماد
ذلك باملاقه .

قال الفتح بن علي البنداري الاصفهاني منتخب الكتاب : رأيت
بخط جدي رحمه الله اب موفق الدولة قال في تلك الحالة أياً ما مطبوعة
بالعربية ومن جعلها قوله

نهبوا مملكتك في بندادي واستباحوا ذخائري وعتادي
فأنا اليوم غير ذقني وسنى مثلما كنت ساعة الميلاد
وهما الآن رهن قلع ونف تحت هذا الابرار والارعاد

قال : فأحوجته الحوالات عليه الى الاستقراض . وانضاف اشتغال ذمته
الى الانفاض . وكان للاستاذ الموفق معرفة بالكمال السميري وبينهما
صداقة صادقة . ومودة صالحة من كأس الصفاء غابقة . وسيأتي ذكر
الكمال عند انتهاء ديوان الاشراف اليه في الايام الحمديدية . وعند استقلاله
بالوزارة في الايام المحمودية . ولقد كان من أوسع الصدور صدراً . وأرفهم
قدراً . وأحسنهم تدبيراً . وأجلهم تأثيراً . وكان يلقب بزم الدين وهو في منصب
مشهور . ومذهب في السماح مشكور . فلما أُملي الموفق كتب اليه أياً ما
ذكره فيها بحقوق خدمته . وعقوق حظوته . وشكافيا حاله . وهجا الوزير
وأشكاله . قال عماد الدين . ولم يأت لي تعريها : ولم يأنس بخاطري غريبها .
فأضربت عن ضربها . لما عصاني ضربها . وله في شكوى حاله . ما عربت
معناه نسجاً على منواله . وقلت

وكم يندق في خدمة الشام ساعة تفرز لما صار في سابع الدست
 ولي أخدم السلطان سبعين حجة وها أنا حتى للاضافة كالميت
 قال : وملاً هذا الوزير الخطير مخازن مخازيه . والكامل بن الكافي
 موازنه وموازيه . ولم يكن عنده من الله خبر . ولا في قلبه من الدين أثر
 وكلما طال عليه الدهر تطاول على نيه حتى تأسست بالشر مبانيه . وحلت
 له مكاسب لا يرضى المجانين بها مجانيه . والسلطان لهم كاره . وضميره له
 بما هم فيه مشافه .

— ذكر جلوس شرف الدين أنوشروان بن —

« خالد في نيابة الوزارة »

قال أنوشروان : فراسلني السلطان بخادم من خواصه . وشكا من
 الوزير اعتياد اعتياصه . وقال « هذا الوزير قد آيست من فلاحه . ولا مطمع
 لي في اصلاحه . وفي كل وقت يحكم في بيتي من أولاد الكافي . غير كافٍ
 واذا رمت وفياً جاء فيه منهم بجاف . وقد عرفت يا أنوشروان طريقتك .
 وعلمت حقتك وحقيقتك . وأنا أوثر ان تنوب من قبلي في الوزارة . وتعلم
 ما بيني وبينك في السفارة . حق المارة » فقبلت الأرض . وأدبت في تولى
 خدمته وشكر نعمته القرض . وقدمت عذراً لا تفتأ بالحال . فلما انكره
 سارعت الى الامتثال . وكان السلطان كريماً حليماً . لا يعجل مؤاخذه من

يخونه وان كان بحاله عليا . فحفظ قلب الوزير في نيابة ابن الكافي لما عزله .
وكان في نفسه مؤاخذته بالمال الذي اخذته . مراعاة لقلب الوزير . ومحافظة
على خطر الخطير

قال : وجلست في النيابة عنه . على الكره منه . وكان احترامه للوزير
لاتبجيلا . بل تدفيعا للوقت به وتأجيلا . فأجلسني في الديوان مكرما .
وعلى الصدور مقدما . لكن الوزير اعتقد اني للسلطان عليه عين . فهو
يستثقلني كما تني من له قبله تأرا أو دين . وكانت صحبته لي على مضض . وصحبة
ملقاه لي عن مرض . وصدور الديوان عن يمينه ويساره . ومؤثرون
لا يثاره . يبدون لي بشري . ويضربون لي شرآ . وانفتحت كلتهم مع افتراق
طلبائهم على مضادتي . واعتقدوا حصول محابهم في محادثتي . فما
اشتريت بشعيرتين سبالهم . ولا شغلت بالي بما شغلوا به بالهم . ولما عجزوا
عن ايقاعي في مصايد المسكيد . شرعوا في تمويق الرسوم والتوائده . وتوقفوا
في توجيه واجباتي من الديوان . وتوافقوا على قطع ما أطلق لي من صلات
السلطان . فكنت أنسلي بقول القائل

إن لله غير مرعاك مرعى نرتعيه وغير مائك ما

إن لله بالبرية لطفآ سبق الامهات والآبا

قال : ولم أخل من قصد الجماعة في نوبتي الوزارين الضيائية والخطيرية .
وما زالت تأتي منهم قوارض الاذية . وكان بين الوزير الخطير وبين المعين
المختص مناوشة ومناواة . ومواحشة ومنافاة . وما كان يقدر أحدهما مع
المبالغة في قصد صاحبه ان يبلغ فيه غرضه . وكأنيما يخفي مرضه ومضضه .
حتى مال الوزير الى كمال الملك الشيمري فصار بينهما وازرة في أمر المعين .

ومشورة في تكدير ذلك الممين حتى بلغ فيه ما تمناه . والنحصى يفتخر بزُبّ
مولاه (وسأني شرح ذلك في موضعه) وتوفى الامير العميد الطنراثي في
وزارة الخطير . وخمد شررُ شره المستطير . وجلس مكانه في ديوان الطنراء .
وصدر الانشاء . الاستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصمهانى وكان ذا فضل
غزير . وأدب كثير . وكان في حياة الامير العميد منشئاً على سبيل النيابة
عن الطنراء . ثم تولاه بالاصالة متصديراً في دست العلاء . وكان مع ذلك
بعلَى القلم كليله . ملثات الخط عليه . وهتف به أبو طاهر الخاتوني في نظفه .
وسلط سغه الهجاء على حلمه . وأشار الى القلم في يده وقال كأنه وهو يجره
برجله . مذهب يماقنه بجرمه . وكانت بديته اية . ورويته روية بحية .
فاذا أنشأ تروى بطياً . وتفكر ملياً . وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني
البديعة . والاستعارات الغريبة . وسندكر أحواله فيما بعد . وحال الوزير
الخطير لما خانه السعد .



ذكر تولى كمال الملك على السنييري أشراف مملكة السلطان

﴿ محمد بن ملكشاه وابتداء أمره ﴾



قال : كان كمال الملك على بن أحمد من مدينة يقرب أصفهان يقال لها
سيرم أهلها ذوو فطرة زكية . وفطنة ذكية . وكانت هذه المدينة في معيشة
كهر خاتون زوجة السلطان وأبو كمال الملك زارع غلاتها . وقابض ارتفاعاتها

ووزيرها حيثئذ الأمير العميد والكمال لسبب شغل والده وانجراح مقاصده متردّد إليه متودّد. ومتصدّد لأموره مسدّد. فاستجلده واستجلده. واستكفاه وأحمده. واستنابه في خاصة حين استبان نصحه. واستوضح في ليالي نوائبه بالنجح صبحه. وفور ماله. وثمر حاله. وجمل له في الميون هبة. وفي الصدور رهبة. فبقى الأمير العميد لا يمتد في أموره إلا طيه. ولا يسكن إلا إليه. فلما اتفق مسير الأمير العميد إلى بغداد في تولى البصرة لم يكن له بد من إقامة نائب في وزارة كهر خاتون يلزم الدركاء. ويقيم له بخدمته عنه الاسم والجاه. فرأى أن الكمال أوفق وأوثق. وأثنى لصدوره في التصدر وأشفق. فاستنابه على أنه لا يستعين فيما ينوبه إلا بالعزير وكان العزير أبو نصر أحمد بن حامد رحمه الله عمي أول ماشب ومضى في البلاغة شباه. وعقد بحب إلى جباه. وصرف البراعة بنائه. وعرف البراعة بيانه. وهو في الديوان الخاتوني نائب على الأصل يحكم. وشاب عند عند مشايخ صدور يجهلون ما يعلم. فلما تولى الكمال نيابة وزارة كهر خاتون انضم إليه العزير فضم نشره. وحسن أثره. وأرشدته ودبره

وكان الديوان الخاتوني في الوزارة العميدية حاملاً خامداً ما له غير رواتب موظفة. ووظائف مرتبة. ومعايش مرسومة. وعوائد معلومة. ليس لنوابه في غيرها أمر ولا نهى. ولا لوزاده من سواها شرب ولا ري. وخاتون راضية بالهدو. متغاضية عن الثمو. فقرقها الكمال ما في الخول من ذهاب رونق السلطنة. وعزل ولاية القدرة المتمكنة. وكانت هي ابنة الملك اسماعيل البغاني من آذربيجان. وكان كبير الشأن. فقال لها «قولي للسلطان أن اجناد آذربيجان من صنائع والدي وأشياعه. وهم صاروا متبوعين فقد كانوا

أُمس من أتباعه . وأريد أن تكتب منشوراً بأنهم في اهتمامي . وإن امر معاشهم
 يرم بأرأى ، فأجاب السلطان سؤالها . وكتب لها مثالها . فسيرت الكتب
 السلطانية . وأمر بخدمتها الامراء الآذربيجانية . فتبادروا الى بابها بتقبيل
 العتبة . وتأميل المرتبة . ووصلوا بالهدايا والتحف . والالطاف والطرف .
 وازدحت على بابها وفود الملوك . واتسق الى قصدها سلك القبح السلوك .
 فرائت من الدولة شيئاً ما رأت . ورعت من الدولة روضاً ما رعت . فتبركت
 بموضع كمال الملك . وسمع الامير العميد بان نائبه قد جاءه الجاه . وقبلت يديه
 الشفاه . فقام وقعد . وابق وارعد . وكتب بعصره . والنض من طرفه .
 ومطالبته بفرعه . وعمل الحساب وورقه . فلم تلتفت الخاتون الى قوله في كتابه .
 ولم تكثر بخطابه . وكتبت « ان هذا النائب عندى مرضى » . وحقه مرعى .
 فما لك ان تصرفه . بل عليك ان تعرفه . وتعرف له حقه وتنصفه . وهو ان
 حاققته فليس لك بنائب وانما هو شريك . وإن امرنا بالانكار ان قصة منك
 أو شيك وشيك . وانت تعلم أيها العميد ان دور الحرم . مبرمة لها معاهد
 المصم . محكمة لها قواعد المظم . فاجبوز ان يتولاها في كل قريب غريب .
 وما يحسن ان يتجدد في كل حين لها مستناب ومستناب . وهذا عرفناه بك
 فالاولى ان تبقيه . والا تبق لي لجاهك ان توليه »

فرف الامير العميد ان الامر خرج عن يده فجدد للكمال بشغله
 منشورا . وطوى من شره فيه ما كان منشورا . وكتب الى خاتون « ان الآن
 قد قوى أملي حيث مكنت نائبتي . وعرفت ضجة صاحبي . واني ما أردت
 صرفه وانما أردت تهذيبه . ورمت تجريبه . وقد وفرت عليه ثلث الرسوم .
 وأشركته معي في أصل القرع المعلوم » فاستقل الكمال واستمر مريره .

ونائب سروده وثبت سريره . وثقى كذلك متولياً مستولياً . ومتغلباً مستغلباً . الى ان قضى الامير المميد نخبه فسولته وزارتها بالاصالة . وخصته بالايالة . ثم تمصبت له عند السلطان حتى ولته إشراف المملكة فدانت له الامم . وأطاف به الحشم والخدم . وصار السلطان يكتب اليه خطه . ويطلعه على حالي رضاه وسخطه . ثم شوش على أرباب المناصب قلب السلطان حتى تغير رأيه في وزيره الخطير . وردّ وردّه الى التكدير . ونقله من بنى جنسه الى بناء سجنه . ومن مجلس عزه الى محبس عزله . وسلمه الى الامير الحاجب عمر ابن قراتكين ليخرجه ويستخرجه . وليروج ماله ويورجه . قال : ونظم أبو طاهر الخاتوني بيتين فارسين عربيهما وقلت

كان حماراً وزيرنا ومضى فما يملك السلطان من خلل
لكنما في صدور دولتنا ليس لذاك الحمار من بدل

وكان شمس الملك عثمان من نظام الملك قد بقى في حبس الوزير سبع سنين فأفرج عنه ليواقف الوزير على أوزاره . ويقرب خطي الخطير الى اخطاره فكان حبس ذلك لهذا فرجا . ودخوله في المحبس له مخرجاً . وجمع السلطان أمراء دولته وأرباب ديوانه وفاوضهم في وزير يفوض اليه وزارته

قال ابو شروان : فأجمعوا على ان أكون المتكلم عنهم بالصواب . والمبلغ للخطاب . وكان رأيي ما تلا الى مثل ما حكى عن المعتضد . انه كان قد حرض على عبيد الله بن سليمان وسبي عنده عليه . وكان يقول « اذا فكرت فيما ينتقض من التدبير . ويضيع من الامور بين صرف وزير وتقليد وزير . وان كان المتقصد اكفى اضربت عن نكبتة » فاتفقوا ان أكون الناظر في الامور . ومتقصد مصالح الجمهور . ومنفذ الاوامر . وجامع شمل الاكابر والاصاغر . وان

المنشئ والمشرف يكتميان بخطى وتمثيلي . ويتأثلان في شغلها بتأثيلي . حتي يُقضى كل مهم . ويُقضى كل علم . وبقيت الرعية مرعية . والسيرة رضية مرضية . والدهاء ساكنه . والتبراء آمنة . وطال حبس الوزير تلك المدة . ولقى الشدة . وكان خلف الزمان رجلين من أولاد الكافي من بقايا السيوف . وزوايا الختوف . فحبسها السلطان معه وأختمها التي كانت زوجة الوزير على مائة وخمسين ألف دينار . وسامهم في تلك المصادرة كل خسار وصنار . وباح السلطان بما كان يُضمره من أمر الوزير ولا يظهره . وكشف النطاء عما كان يستره . والزمه بتطبيق زوجته ابنة الكافي . ورماه من مفارقتها بثلاثة الأثافي .

قال : وكانت الدولة السلطانية قد شارفت انقضاها وانقضاءها . وقارب خطو انتهاؤها . لما قاربت انتهاءها . وبدأ بالسلطان مرض طويل اضناه وأثقله . وألحاه عن الملكة وأثقله . ووقع الفناء في أمراء دولته . وأكابر مملكته . وبقي السلطان من مرضه في ذوب . ومن عيشه في كدر وشوب . فأراد أن يولي وزيراً يوصي اليه بولي عهده . ويستكن في به مهام الدولة حيث علم أنه لا يستقل بها من يقوم من بعده .



ذكر وزارة ربيب الدولة أبي منصور ابن الوزير

أبي شجاع رحمه الله

قال عماد الدين رحمه الله : ذكر والدي أن أرباب المناصب لما عرفوا ميل السلطان الى تولية وزير يكنى المهام . ويحفظ النظام . ويكفل الامور المظالم . خافوا من استنابته الى بطل بطاش . ومستجيش بثبات جاش . وانهم يباون إما بذى حنق عليهم . وإما بذى فرق منهم فيدب كيده اليهم . فغسّوا للسلطان طلب وزير من تربية دار الخلافة فانه ليس بالحضرة من يصلح لهذا المنصب . فاستدعى ربيب الدولة من بغداد الى اصفهان . وسدّ به المكان . فصار له اسم الوزارة بالوراثة . وكان لا تقا تلك الدولة المريضة الملتأنة . وكانت علامته الحمد لله على النعم

قال : قال انوشروان وكان قد بقى من أيام عمر السلطان مقدار اربعين خمسين يوماً وقد استحصد زرعه . واتسخ شرعه . فجاءوا بهذا الصم ودسوه في الدست . وقصدوا بترتيبه شغل الوقت . واتفق موت الكفاة . وضمهم جبل الوفاة . وتناثروا تناثر ورق الخريف . وتفرقوا تفرق سحب المصيف . ولم يبق في تلك المدة اليسيرة من المعروفين كبير موصوف . ولا من الامراء الاكابر معروف . فصار الاتباع اصولا . والاقطاع نصولا . والدراري شموساً . والاذناب رؤوساً . ولم يبق في الدولة من القدماء الا مختص الملك المستوفى . والاستاذ ابو اسماعيل الطغرائى . فاما المختص فانهم عزلوه واعتقلوه وقرروا عليه خمسين الف دينار للخزانة ثم أخذوا خطه بأنه لا يخطب ما عاش

عملا . ولا يستنجح ما طال أمد عمره أملا . وخلقوا سبيله وما خلوا له الى
ثروة سيلا . وأخذوا ما كان له فلم يتركوا له كثيرا ولا قليلا . فألفت بحريّة
الذقن . وعدّ سلامته من المنع في تلك المحن . فتولى ديوان الاستيفاء كمال
الملك الشيرمى . وعلا منه الامر . وحلّ له المر . واستقل واستقام . وسما
وسام . ورمى ورام . والوزير هين^١ لين^٢ . وعجزه عن البطش بين^٣ . وكال الملك
قارس ذلك الميدان . وحاكم ذلك الديوان .

وأما الاستاذ ابو اسماعيل الطغرائي^٤ فانهم لما لم يروا في فضله مطننا . ولا
على علمه من القدح مكنا . اشاعوا بينهم انه ساحر . اونه في السحر عن
ساعد الخندق حاسر . وان مرض السلطان ربما كان بسحره . وانه ان لم يُصرف
عن تصرفه فلا أمن من أمره . فبطلوه وعطلوه . واعتزلوه وعزلوه . وعاد
الخطير الذي كان وزيرا يمد الطغراء خطه . ولم يضره عن درجة الوزارة حطه
وكان قد خلا دركاه السلطان من الامراء والكبراء فانه كان شغلهم بمحصار
قلعة الموت مع الامير الكبير . انوشتكين شركير . ولقد كان شهما شديدا .
وسهبا سديدا . وسما ذعافا على العدو . وموتا زواما على أهل الاحاد والعتو
ولولا موت السلطان لتسلط على الموت . ولم يترك فرصة فتحها ان تقوت .
وهو في ذلك لما حاصر . والله له ناصر . فصير السلطان على ابن عمر حاجبه
الكبير . وأسى مكانه الاثير . وكان أمير الباريني أمير الاذن وأمير البار
هو الآذن عن السلطان اذا اجتمع الاكابر . والامير الحاجب الكبير هو الذي
يسمع مشافرة السلطان ويؤديها الى الوزير فهو الناهي الآمر

قال : ولما مضى شهر اشتد مرض السلطان وبلغ الرجاء فيه اليأس . ووجد
بالعدم الاحساس . وأصبح يمد الانفاس . وأمر بالحجاب وحجب عن الامراء .

وأيقن ان القدر لا يرعى له زمام ما بقى من الدماء . ولم يكن يدخل اليه الا الامير الحاجب على بن عمر بن سرمة فهو الذي يسمع كلامه . ويشذ بالتبليغ احكامه . وسعى حديثه وصية وجعل نفسه وصيا . وعد مصدقه مطيعا والمستريب برأيه الراتب عصيا . ولما قرب الاجل . وحل الوجل . ذكر الامير الحاجب ان السلطان أمر باخراج مائتي الف دينار من الخزانة لارضاء الخصوم واشكاكهم . والاستحلال من فقراء الرعايا وأغنيائهم . فتسلم ذلك المال وقبضه . وتصرف فيه على ما وافق غرضه . وكان وزير الامير الحاجب الكبير حيثنذ أبو القاسم الدرگزني ويلقب بزین الدين . فن ذلك المال تمول . واستكثر العبيد والحول . وكان ذلك مبدأ غناه . وريمان نجح مناه . وأمر العسكر بمبايعة ولى العهد ومتابته . وطاعته ومشايسته . وانه لا بد من جلوته على السرير واجلاسه . ووقوف الامراء على رأسه . وقيل للسلطان مرضك سحرى . ومضضك خفى . وانما سحرتك زوجتك فاعضل دواءك . وحملوا السلطان على ان كحلها وسلمها . وحبسها في بيت ضيق واعتقلها . وأتلف عدة من حواشيها . وعصابة من جواربها . ثم أخرجوا خاتم السلطان وقالوا انه أمر بخنقها . ودخل اليها من شد الوتر في حلقها . ومن عجيب القدر ومقدور المعب . ان الزوجين توافيا ساعة واحدة على العطب . فالحاتون في بيتها خنقت . والسلطان على فراشه نفسه زهقت . وذلك في أواخر سنة ٥١١ هـ وقد كانت أيامه أياما من اللإيامى . ومرامح الليتامى . ورسومه جائزة غير جائزة . واحكامه راضية غير ضائرة . وحجابه رزينا . ودينه متينا . وشرع علمه في العمل بالشرع مينا . وكان رجل السلقجية الكامل . وفخلم البازل . وله الآثار الحميدة . والآراء السديدة . ولما حسنت سيرته . وكلت

دولته . وأصحت سبأؤه . وطاب هواؤه . وصفا ماؤه . وآلت آلاؤه . أن ينني القهبر
ويجبر الكسير . ويفك قلاع الأسير . ويكف المسير . وينصر الاسلام .
ويكشف الاظلام . ويقلع الملحين . ويلى اعلام الموحدين . قبض القضاء يده
وقصر أملة وأمدده . وغيض بحره . وغيب بدر .

بين الصفائح والثرى ريحانة قد كان لي من قربها مستمتع
واذا تذكرت الذى فعل البلى بجمال وجهك جاء ما لا يدفع
قال : وتوفى أمير المؤمنين المستظهر بالله رضى الله عنه بعد وفاة
السلطان محمد رحمه الله بمدة يسيرة وتحولت الدولتان . وتفصلت الجملتان .
وخلف السلطان محمد خمسة بنين وهم محمود ومسعود وطغرل وسليمان
وسلجق وكل منهم تولى السلطنة سوى سلجق وسيأتى ذكرهم فيما بعد
ان شاء الله تعالى

ذكر جلوس السلطان مغيث الدنيا والدين أبى القاسم

محمود بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين

قال : جلوس على تخت مكان والده . واستقر من الملك فى أعلى وسائده .
وأحكم قواعده . وحضر الناس على طبقاتهم للثناء . وجلوه فى دست السنا
والسنا . وقبلوا الارض . وأدوا . من اقامة الرسم القرض . ووقف العطاء
والكبراء سباطين على ترتيب اقدارهم وقدر مراتبهم . وتناشقوا على درجاتهم
فى مراتب مراتبهم

قال أنوشروان : وتقدم الوزير الربيب وصعد الى السرير للتهتة وتقبيل اليد ونزل وتقدم الخطير بحكم انه كان وزيراً يفعل مثل ما فعل . وكان على كل حال للشيخوخة والتقدمة يستحق ان يقدم ويحبل . فزاحه الكمال السيري وأخره وتقدمه . ولم يعرف سابقته وخدمته للدولة وقدمه . فاقام الخطير رسم التهتة بعده . ولزم كل منهم في ذلك المقام حده . وأنا أيضاً أقمت رسم التهتة . ووفيت حق التوفية . وكان السلطان حينئذ في سن الحلم . متوقد الذكاء كالنار فوق العلم . مشرقاً وجهه مع صغر سنه بسناء العظم .

وفي ابتداء هذه الدولة انتقلت الخلافة الى أمير المؤمنين المسترشد بالله ابن المسنظر بالله رضي الله عنهما وبويع له وجدد تقليد السلطان على الشرائط المشروعة . والرسوم الموضوعة واجتمع أرباب الدولة السلطانية واصطلحوا على التحالف وتحالفوا على الصلاح . وأجالوا بينهم في مظاهرة البهض للبعض ضرب القداح . وكان أبو القاسم الانساباذي الدرکزبنی وزير الامير الحاجب على بار فصار يلقتن مخدومه ويفهده . ويدله على طرق الضلال ويريه انه يرشده . ويقول ان الوزير والمستوفى ينبغي ان يكونا بحكمك . وهذا السلطان صغير ينبغي ان يكون تحت حرك . ولا يأمر الا بأمرک . فادخل في رأسه مالم يخرج منه في آخر الامر الا السيف . فأول ما دبر انه ذكر للسلطان ان صلاح دولته في افساد عمه . وانه يئلب على دولته برغمه . وكان عمه سنجر السلطان الاعظم عماد آل سلجق وسلطته ببلاد خراسان الى المراق الى ماوراء النهر الى غزنة وخوارزم والترك قد عمت ونمت . ودولته قد علت وسمت . وهو شيخ البيت وعظيمة . وحافظ عزه ومديمه . فاحضروا الشهاب أسعد كاتب الانشاء وأمره ان يكتب الى خان سمرقند

وقالوا له انا نقصد السلطان سنجر وهو لاشك يتوجه الينا اذا توجهنا للقائه
والرأى ان تأتى أنت من ورائه . فيقع الخصم في الوسط ويحصل في التورط .
وكان هذا رأى القاتل . أول ما أدب الادبار وأهبط دبوره . ومما من
الاقبال جبره وأذهب جهوره . ومن جملة تدبيراتهم المدبرة أيضاً ان الامير
ملك العرب ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مرزيد
الاسدي كان مقياً في خدمة السلاطن منذ عشر سنين وقد سلا عن بلده
وقنع بما في يده . ورضى من السلطان بالرضى . واقضى طمعه في ملك ابيه
الذي انقضى . وبلاد الحلة والولايات في تصرف نواب السلطان والامير
الجهاد بهروز الخادم الحصى نائب السلطان ببنداد والرايا آمنة والاذايا
مأثونة . والنم راهنة والذمم بشكرها مرهونة . فبدلوا تلك القواعد
وحلوا تلك المقاعد . وارثوا من الامير ديبس وأعادوه الى العراق .
فقامت الحرب على ساق . وكتبوا مملكة بالقبض على بهروز . ومحاسنته
واستخراج سر غناه الرموز . وكل هذا عاد بالفساد وفسد الدوائد . وأفاد
التحقيق ومحق القوائد . والفسدة الثالثة ان بلاد فارس كانت على أحسن نظام
وأوفق مرام . وطاعتها شائمة . وشيعتها طائفة . والبذول فيها حاصلة . والحمول
منها متواصلة . واتفق في ذلك الوقت ان عاملها كان حاضراً بأصفهان فأشار
الدركزني علي مخدومه بالقبض على المامل . ومطالبته بالحاصل . فأخذه
وعذبه . وما صدقه ان المال بمئمة بفارس بل كذبه . فلما نفي الخبر الى
أمير فارس طمع في المال وكان . بلتاً وافرأ وضمن برده واستوحش . وجاهر
بالمصيان وأخش . وكان للسلطان جسران بتلك البلاد فاستأفها . وأذخار
فاعتاقها . فاختل نظام الولايات الفارسية بتلك الآراب السيئة والاراء السيئة

والمفسدة الرابعة ان جماعة كانوا مقيمين في الخدمة من أمراء مازندران وأمرأة الشبانكارية وهم جيل من جنس الاكراد في جانب بلاد فارس . بلادهم ممتنة . وقلاعهم مرتفعة . وكان السلطان الماضي قد الف قلوبهم باحسانه . وقادهم باليد الى سلطانه . لانه كانت الطرق منهم مخوفة . والفرقة منهم مألوفة . فأساء الدركزني وصاحبه ومن وازرهما اليهم فاشتطوا عليهم . فنذروا وعادوا الى حصونهم . فأظهروا من الشر ما كان كمن . وحركوا من الفتنة ما كان سكن

والمفسدة الخامسة انه لم يخلف أحد من السلجقية ما خلفه السلطان محمد من العين والاثاث فتصرفوا فيه وتقاسموا به وفرغوا الخزانة من السين . في أقرب من شهرين . فلما ذهب الذهب فضوا ختم القضة وفضوها . واستخرجوا وجوه الماملات الراحمة واستنصضوها . ثم تصرفوا في المصوغات من المالى والاوانى والآلات . ثم في الجواهر ثم في الثياب . ثم في الخيل المسومة العرب . ثم في الجمال . ولم يبتوا شيئاً حتى تفرقوا بأغنام التناج . وتقاسموا بالكباش منها والنماج . فصيروا الملك الآهل قراء . وأضعفوا بعد الغنى فقاره فقراء .

والمفسدة السادسة انهم قالوا ان هؤلاء مماليك السلطان لا يطبوا بطاعتنا نفساً . ولا يجدون بتابعتنا أنساً . فاحتالوا في شت شامهم وراموا كل سهم منهم الى هدف . وكل سهم منهم الى طرف .

والمفسدة السابعة وهى المفسدة الكبرى ان الساكر التى كانت مشغولة بمحاصر الموت وقد شارفت فتحها . وشاهدت نجاحها . شرع الدركزني في تفريقها ليليه الى الملاحدة . ووعد له بالمساعدة . وأخذ

رخصة في قبض الامير الكبير انوشكين شير كبير وهو أمير ذلك العسكر
فرحلوا عن الحصار بنير ترتيب وتبعهم أهل الموت فقتلوا خلقاً . وذهب
الباقون غرباً وشرقاً . ونقلوا الى القلعة من المددالكثيرة والازواد والميرة .
ما تزيد قيمته على مائتي الف دينار . ووصل الامير الكبير كندغدي الى
الباب . وكان عظيماً من أولى الالباب . فولوه اتابكية الملك طغرل أخى
السلطان ثم حذروا السلطان منه تخاف كندغدي على نفسه وعلى ملكه فادخل
به ساريا . وذهب متوارياً . فلم يحوها بمد ذلك دار . وصار من ذلك للقلب
اشتغال . ولتار الفتنة اشتعال

والمفسدة الثامنة ان الامير قراجة الساق سلموا اليه الملك سلجق أخا
السلطان وولوه بلاد فارس فلما سمع الامير قيصر بقدمه وكانوا قد ولوه
فارس من قبل هرب وحصل عند السلطان سنجر بخراسان وهو موقوف .
ونفت شكايه التي هو بها مصدور

والمفسدة التاسعة انه كان للسلطان ممالك صغار . كأنهم اقرار . وكان
عليهم من الحصان الخواص رقباء . وعلى طوائفهم من جنسهم نقباء .
فاخذ كل واحد منهم عدة واقتسموا بالفلان الروق . وأقاموا ألف
سوق للمسوق

والمفسدة العاشرة أنهم أخرجوا الجوارى المطربات . والاماء المننيات .
من دور الحرم الى دورهم . وآثروا حضورهن مجالس حضورهم . وركبوا في
الفسق كل مركب . وذهبوا في الخزي كل مذهب . وتسلطوا على السلطان
واجترأوا عليه بما اجتروا به . وتمشى لهم بصوته كل ما اقترحوه
قال انوشروان : ذكر لي انه لما توفى السلطان محمد دخل الامير على

بار الى خزائنه فاخذ مسناديق الجواهر النفيسة واليواقيت الثمينة فاودعها عند وزيره الدر كزني فلما قتل على ما سندكره حصل بها ولم يسأل أحد عنها

قال عماد الدين : وأذكر طرفا من هذا الانساباذى وأنسابا ضيعة من أقليم الأعلم قريبة من در كزني فنسب نفسه الى در كزني لانها أكبر قرى تلك الولاية . ومعظم أهلها أهل الاباحة والنواية . وأكثرهم من المزدكية الحرامية . وشرهم شائع في البرية . وكان أبوه فلاحا منهم فجاء به الى أصفهان وعلمه الخط . والجرأة والخطب . وما زال مغالطا للمتصرفين غمرا ذا غمير . ووترأ في الشر أنا وتر . ما أحسن اليه أحد الا قتله . وما آوى الى جبل الازلله . وأول من استخدمه بين يديه كمال الملك السبهرمي وعمرى العزيز فلقى كلا منهما الامرين . وقابل بالاساءة منهما الحسنين .

قال : وجرى وزير الوقت على تلك القاعدة في الافساد . ولم يرى مخالفتهم على المراد . وكان من خرقه وخرق أصحابه انهم جعلوا خطاب الامير على بار بوصى السلطان وسيروه أخص ألقابه فانه ألزمهم بذلك وقال يجب ان القب به وعزلوا الخطير من شغل الطغراء وناطوا به وزارة الملك سلجق المندوب الى فارس مع الامير قراجة الساق . ومقصودهم ان يبعدوه عن الدركاء فلا يقع منهم له التلاقي . وفي كل ما عملوه لم يستسلموا رأى السلطان ولا استأذنوه . وحقروه واستضعفوه . وتواترت أخبار هذه الفضائح . وتواصلت أنشاء هذه القبائح . فاتمى السلطان سنجر لبيته الذي شرعوا في هدمه . وتحركت على ابن الاخ الشفيق الشقيق شفقة عمه .

ذكر وصول السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم
 معز الدنيا والدين أبي الحرث سنجر بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين
 (من خراسان الى حدود العراق وظفره وعفوه وعوده)

قال : فانهى الى هذا السلطان العادل . الكامل الشامل . المحبوب
 الشماثل . ان أمر ابن أخيه محمود غير محمود . وان ملكه ان لم يتلاف . وود
 الى التلاف . وود . فصوب رايته صوب الرى . ونشر لواءه ليعيد اللأواء الى
 العلى . وكان كالشمس أضاءت من مشرقها . وأثارت من أفتها . فلما أطل
 عسكره على العراق . وسد عثيرة جوانب الآفاق . برز السلطان محمود
 سرادقه . وعرض فيالقه . ولم ينب أحد في تلك النوبة من المساكر .
 ونلاطت أمواج بحارها الزواجر . وكان مقدمي عسكر السلطان الاميران
 الاصفهلاران على بار ومنكوبرس وبينهما تباين . وتضاد وتضاغن . فلا جرم
 لاختلاف رأيهما . واختلاط أهولتهما لم يستقم تدير . ولم يتدبر تقويم .
 ولم يتضح في المصلحة تأخير ولا تقديم . ودرج الوزير الريب في تلك الايام .
 وسكن في حى الحمام . وتولى الوزارة كمال الملك أبو الحسن على بن أحمد
 السميرى وذلك في سنة ٥١٢ . وذلك قبل المصاف بين السلطنتين بثلاثة أيام
 وجرى أمره على نظام . فى غير وقت انتظام . وكان المسكران مشغولين
 بالتعبية فلما التقى الجمعان . واختلط النعمان . انهزم عسكر محمود وكسر جيشه .
 وانكسر جأشه . ولما ضل عن النار فراشه . ظل كأنما على النار فراشه . وقتل

في المركة جماعة مبرأون . وسلم المجرمون . فلما أصبح السلطان سنجر سأل عن ولد أخيه . ولم يحمد ما كان من تأخره عن حضرته وتراخيه . فإرسل اليه رسولا لقبض زعره . وبسط عذره . وانه يؤثر حفظي قلبه والانس بقربه وتنهيس كربه . وانه يتدراك ما فرط بالتألف . وانه يتم التقصى عن عهدة تلك الهنات بالتصافي . فاستخيره الله ولا تستأخر . واستأثر لقاء من على لقائك لم يستأثر .

وكان أحاط أولئك المذمومون بالسلطان محمود لا يهدونه الى العوالب ولا يصوبونه الى الهدى . ويصدون عنه رى الرى ولا يروون منه الصدى . وكان قد سبق أبو القاسم الدرگزنى صاحب الامير على بار الاعظمى فحضر لاصلاح امر صاحبه وأحضر قدراً من المال الذى اختزله من الخزانة السلطانية فنثره وبذره . وقدم الرشى حتى أمن ما حذره . وأراد أن يكون هو المتوسط فى الصلح والصلاح . والمتحدث فى الانجاس والانجاس . وكان السلطان يؤثر أن لا يطول مقامه فتقل وطأته . وتكثر مضرته . ولم ير أن يترك البيت متداعى البنيان غير معمود . ويريد الانصراف راشداً وقد طالت عليه غيبة محمود . وما صدق بحضور الدرگزنى على بابه . وظن انه قد حصل من النجى على لبابه . فأمر باحضاره فلما بعصر به قال « اين على » بار فانه لا امر ولدى ضمين » فتلا « انا آتيك به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ » قال « فاين ولدى » قال « انا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » وانه يسمعه عطفك وعرفك » فندبه الى اصفهان لاحضاره . وأجري الامور على ايثارهم . فبلغ الوزير كمال الملك السيميرى انس الدرگزنى بالحضرة السنجرية وانه واصل بالجرأة . فسبق بالرأى ورأى

السبق . وأن يكون هو الذى يتولى بالرتق والفتق . فقال للسلطان « هذا عمك فى مقام والدك وله عليك حقوق . وعصيانه عقوب . ومن حسن الادب استغفاه . واستجداد رضاه واستثنائه . وأنا امضى اليه لامضاء الالية . وارضائه بالكلية » وخاف انه ان وصل الدرگزنى يصير الامير على بار للامر متولياً . ويبقى هو عن الشغل متخلياً . وانه يصير تابلاً . وماءه غائضاً . وماء جاء الدرگزنى تابلاً . فتوجه الى الرى . من جي . وقطع الطريق بالنشر والعلى . ولقى الدرگزنى فى طريقه . وأخبره بتوقعه من السلطان سنجر وتوثيقه . فلم يرج على تصديقه . وقال له « انى قد قضيت الشغل فلا تنسب . وعرقهم زهدنا فلا ترغب . فاجتهد بكل طريق فى اعادته عن طريقه » فما التفت ولا اكرت . وأغذ السير وما لبث . ففضى الخبر الى السلطان سنجر بأن الوزير كمال الملك قد قدم . وان ابن اخيك أرسله اليك للمذر لما ندم . فسر بذلك وأمر الامراء باستقباله . واحتفل فى حفله لتوفير اقباله . وأبصر الوزير من تمظيم خطره ما لم يخطر بباله . فخطب عمل وزير على بار وبار . وانهدم كل ما كان بناء وانهار . وأخذ يد السلطان على شدة أواخيه . لابن أخيه . واعلمه بارادة الوفاق وتوخي . واستوثق منه فى كل ما استوقفه . واستدرك بالروية فى رأى كل ما فاته واستلحقه . وأقام الوزير وسير الى سلطانه من عنده رسولاً يستدعيه ويستحنه . ويعلمه ان عمه لا يتظاره اطال مقامه ولبثه . فأقبل محمود الى وزيره حامداً . والى عمه وافداً . فأكرم وفادته . وأنجح ارادته . ولم يجد على بار بداً من الاتباع . وحضر ضيق الذرع قصير الباع . وخر لتبيل الترب . واعترف بالذنب . فأبدى له السلطان الرحيم صفحة الصفح . ومنحه المنع وأعفاه عن المنع . ثم اجتمع كمال الملك

وعلى بار ووزيره . على ما يتم به تقرير أمر السلطان محمود وتديره . وأنه يجب ان يترك رسم السلطنة احتراماً له . وأن يكون مدة مقامه عنده بمحكمه . وذلك انه اذا استقبل بجنيب السلطان يركبه ليحسن أدبه . وأنه ينتقل من نوبتيته الحمراء . نوبتية بيضاء في سوداء . وأنه يأمر بإبطال ضرب طبله . ما دام في ظله . وأنه اذا دخل على عمه قبل الارض وأنه يقوم عنده على قدمه وأنه يمشى في ركاب عمه راجلاً من الباركاه الى السراشق . وأنه لا يتفرد عن عمه بسراشق . بل يترافق في جوار خيمه . وفي موضع أولاده وجرمه . وأن يبقى عشرين يوماً على هذه القاعدة ليستمتع عمه في عود مراضيه المتباعدة

قال : وكان من حلم سنجر انه يُنفى عن يغب . ويجدى على من يجذب . فصنع عن كبار ذنوبهم . بعد ما تصفح سرائر قلوبهم . وأفاض عليهم الخلع . واصطفى كلا واصطنع . وكتب منشوراً للوزير كمال الملك بتقريره على الوزارة . ومنشوراً لعلّ بار بتمكينه في الامارة . ومنشوراً لابي القاسم الدرگزنى بمنصب الطغراء والانشاء . ثم انهم طلبوا من السلطان سنجر خلوة حسنوا له فيها من سفك الدماء كل قبيح . وأعطوا عنده كل صحيح . وكان من جملة من ضربت رقابهم الامير منكوبرس وقراتكين القصاب . ثم قفل السلطان سنجر بمسأكره الى خراسان . وقرر عليهم ان يسيطروا العدل والاحسان . وعاد الوزير السكّال . وله الأبهة والجلال . والدرگزنى في ديوان الطغراء . وشمس الملك بن نظام الملك في ديوان الاستيفاء

قال : وكان عمى الوزير في ذلك الوقت ينوب في الوزارة والاستيفاء . والوزير كمال الملك لا يرجع الا الى كماله . ولا يعول الا على اشتتاله . بل السلطان لا يأنس الا به . ولا يصنى الا لخطابه . قال : ولا شك أن انوشروان

صعب عليه انحطاط حظوظه الى الخفيض . وانحراف مزاج شغله للحظ
 المريض . وعرض لوزير كمال الملك بايات غير واقعة في وقعها . وتمثل
 بتثيلات باردة ليست في موضعها . وكأنه ما سمع للقاضي ابي بكر الارجاني
 فيه قبل ان يلى الوزارة وهو مشرف المملكة قصيدته التي يقول فيها

دع عنك يمني ويسرى غير مجدية واقصد أملك واطلب متهى السبل
 واعلم اذا قلت رد بالميس بحر ندى أتى على غير عز الدين لم أحل
 البحر أسماؤه شتى وأشهرها على اصطلاح بنى الآمال كف على
 قال عماد الدين رحمه الله : سمعت من والدي رضى الله عنه انه لم يكن

في وزراء الدولة السلجقية أكل من كمال الملك حزمة . وصرامة وشهامة .
 وكتبه بالفارسية تدل منه على فضل عزيز . وعلم كثير . ومن معانيها تعرف
 قواعد الوزراء وقوانينها . وهى رياض ناضرة للنظارين ازهارها . فاعمة للمستنشين
 بالرياء راحيتها . قال : قال انوشروان فأول ما شرع فيه الوزير كمال الملك من أمر
 وزارته أنه لما وصل الى أصفهان . تقدم بقراءة منشوره بوزارة المراق من
 خراسان . ثم دبر في قتل الامير أحمد بن بنراء . وبمط السلطان على القنك بالامير
 على بار وأغري . حتى أفلت منه هربا . واتخذ الليل جملا وادج رعبا . فأركب
 وراه من رجل نفسه عن بدنه . وأخرج روحه من جسده . ووكل بوزيره
 الدر كزنجى واعتقله . وهم بان يقتله . قال عماد الدين رحمه الله : قال والدى وكان

الدر كزنجى حيثئذ صديق فاستدعاني ولما بصرتى دعا على نفسه بالويل
 واستجار بى وأخذ منى بالذيل . فقال « أسألك ان تتوسل لى فى أماني من
 القتل فقد أيقنت انى مقتول . وان لم تنصرنى فأتى لاشك مخذول » فشغمت
 فى حقه الى أخى عزيز الدين فإزال بالوزير كمال الملك حتى خلصه . وفتح على

ذلك الطائر المشوم قفصه . وكان محبوباً في موضع سبيل الخلاء نفخ سبيله
فقدّر الله ان الشافع فيه بعد عشر سنين كان قتيله . فما عرف والدى ولا عمتي
رحمهما الله انهما يسميان في قلع البيت بخلاصه . ويحصلان بتيسير أمره على
تفسير أمرهما واعتياصه . فقد كان هذا أبو القاسم للدماء سفاكاً . وبالكرام
فتاكاً . وتقرّس فيه الوزير كمال الملك الشر فأراد أن يريح الناس من غائلته
وأراد الصحيح فما صح له ما أراد . ومابدا من الدر كزني ما بدامنه لو باد .
ولكن القدر لا يطاق . والمقدور ما يطاق

وأصلح الوزير بقتل على بار قلوب الجماعة . واستألم الى الطاعة . فقد
كانت في نفوسهم منه احن . وتمت عليهم باستيلائه عن . فوجدوا بانزعاجه
الثبات . وبقتله الحياة . وتقدم الامير قيصر وترقت درجته . وقامت بالقيام
في الدولة حجته . وارتفع شأن أسراء كانوا متضمنين وتحالفوا على طاعة السلطان
وترجيح جانبه . والاضراب عن مقاصد عمه سنجر ومطالبه

قال انوشروان : فشرع الوزير في المصادرات . وسمى ديوانها ديوان
المفردات . قال عماد الدين : ولم يكن كما ذكر . ولا على وفق ما أنكر . وإنما
طالب أصحاب الامير على بار بأمواله . وأمر بحاسبة عماله . والبحث عن
اسبابه وأحواله . وأعاد رونق سلطنة العراق خضاً . وضم من نشرها ما كان
منقضاً . وخرج في خدمة السلطان من اصفهان على عزم بنداذا . وقد حكمه
في الامر وأعطى حكمه النفاذ . ولما قبض الدر كزني وعزل ولّى الوزير كمال
الملك منصب الطنراء أخاه النصير . وناط به ذلك المنصب الكبير . وكان النصير
رصيناً . ثقیل الطبع رزيناً . ولم يكن فيه ما كان في أخيه الوزير من التلطف .
والتعطل على المكارم والتعطف . وكانوا يقولون نعم المولى وبئس النصير .

قال : وفي سنة ٥١٣ هـ جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همدان . وكان النصر فيه للسلطان . وذلك ان الملك مسعود كان مسلماً الى الامير جوشبك وهو آتابك الموصل وعسكر الشام وديار بكر في خدمته . وهو ينمت في ملك الغرب لحد مملكته . فجمع آتابك جوشبك جيوشاً كثيرة وجماهاً غير او طمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ ابا اسماعيل وهو مؤيد الطغرثي وزير مسعود . ولم يعلم انه لا يتمكن فيها من مسعود . فلم السلطان بمحشده فجاء في حشره . وجاء جوشبك بمسعود تحت جتره . ولما اصطف الجمان . وكاد يلتقي البحران . ويجتمع الصفان . بصر مسعود بأخيه محمد فحن اليه . وضبطه جوشبك فلم يرج عليه . وصاح ايجي ايجي وهي كلمة بالتركية للاخ الكبير . فقتشوش على جوشبك جميع ما قدمه من التدبير . وساق محمود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه . وأسلم للسلب والنهب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه . فأول من أخذ وزيره الاستاذ أبو اسماعيل الطغرثي فأخبر الوزير كمال الملك به فقال للشهاب اسعد وكان طغرثياً في ذلك الوقت نيابة عن النصير « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير « من يكون ملحداً يستحق ان يقتل ظالماً » فقتل ظلاماً . وقتل من الفضلاء الاكابر الاستاذ زين الكفأة أبو الفتوح وكان وزير البرسقي فأحسن محمود الى أخيه وأعادته الى عظمته ورتب آخر لآتابكيتته وخدمته .

قال : وكان من بقية أولاد ملوك الديلم في الخدمة السلطانية المغيثة الملك عضد الدين علاء الدولة أبو كاليجار كرشاسف بن مؤيد الدولة علي بن شمس الملوك فرامر زبن علاء الدولة وكان من السلطان بمنزلة الاخ . وقد انزله بالحل الاشمنخ . وكان مع ذلك محتزاً من حاسديه فلزم بيته في مدينة يزد

فأزالوا يحسنون منابه بالباب . ولا يصوبون رأيه بالاغباب . فلما ركن الى ركنهم وركب . وركب ان يجلو بقاء السلطان عنه الكرب . جردوا اليه ثلثمائة فارس فاعترضوه . وأخذوه من طريقه وقبضوه . وكان الامير قيصر تولى بأبداء الود اخفاء ختله وختره . فحمله الى قلعة يقال لها فرزين فاعتقله . وأحكم قيده وثقله . وهي قلعة منيمة . وثلاثة رفيعة . تعدها النجوم من اترابها والسماء من أسبائها . فطغف الله به . وأوضح له مذهب مهربه . وذلك انه توسل حتى اشرف على السور . في جنح الديجور . وألقى بنفسه من المكان العالي . وفعل فعل الآيس من حياته السالى . وسلمه الله حيث لا ترجى السلامة . ونزل نزول النيث حدرته النمامة . وتوقل في تلك العقاب . وتسلى من تلك الشباب . ووقع الى ولايته . وسر الناس بمود الانس والسرو وبنوده الى بلده . وعلموا أن خطي الخطوب لا تصل في طورها الى طوده . وكانت عاقبة الامير قيصر انه ضربت ببنداد رقبتة . وأودت به في سبيل العقوبة عقبته

قال انوشروان : وكان الملك في عهد السلطان محمد مجموعا . وجانبه من الاطماع ممنوعا . فلما صار الى ابنه محمود فرقوا المجتمع . وضيقوا المتسع . وجعلوا له فيه شركة . ولم يتركوا له منه مسكة . وذلك عند حضور السلطان سنجر فأول ما اقتطعه سنجر لحاصته ما زنتران وطبرستان وقومس والدامغان والرى وذبأوند وأعمالها وما أفردوه للملك ركن الدين طغرل بن محمد ساره وآبه وسارق وسامان وقزوين وأهر وزنجان وجيلان والديالم والطالقان . وللملك سلجق اخيه ولاية فارس بأسرها وشطر من أصفهان من الخوز . وثقاب الامير ديس بن صدقة بن منصور على البصرة وأعمالها والمضافات اليها من البطائع

وكذلك هيت والانبار وأعمال القترات والرحبة وعانة وكذلك أعمال الموصل ونصيبين والخابور قد تطلب على كل منها أمير والذي بقي للسلطان أقطع جميعه . وما انخفض ربه . وانخفض رقبه . ولما لم يكن للسلطان خاص لم يكن له عمال وبطل الديوان . وتدون البطلان . فانه لم يبق للديوان شغل الا أخذ أموال ذوى اليسار . وإسعاد نار الاعسار .

وقال عماد الدين في ذكر كمال الملك الوزير : وبينما هو وزارته في ريعانها . وسعاده في عنفوانها . ودولته في كمال سلطاتها . فلم يشعر حتى عاجله القدر فجاءه فجأة . واستحال في الحال كل مسرة مساة . وذلك في سنة ٥١٥ هـ فان السلطان خرج من بغداد عائدا الى همدان . فتخلف عنه الوزير يوما على انه يتبع في غدا السلطان . فلما بكر ركب وقد رتب الموكب والسيوف بين يديه مسلولة . والناشية محمولة . فوثب عليه قوم من بعض تلك الدكاكين . وضربوه بالسكاكين . فخل جريحا . وبقي في حجرة من غرف السوق طريقا وأحضر من يداويه . واستقل بالجرح آسيه . فلم يحسوا الا برجل قد قفز من السقف . ونزل عليه بمدية الخنف . فاثلف مهجته . ومحا من الزمان بهجته . فتولى عمي الدين حفظ مخفيه . وحلم عنهم حد الزمن السفيه . واستشهد وله ولدان أحدهما عضد الدين محمد والآخر نغر الدين محمود فتعصب الولد الكبير ذى الفضل الاوفر . والاعتقاد الانور . والدين المتين . والعلم واليقين . فولاه السلطان أشرف المناصب . وأرفع المراتب . فزهده في الدنيا مع القدرة . وسلك طريق لانكسار والقناعة بالكسرة . قال عماد الدين : وهو الى اليوم من سنة ٥٧٩ حسن السيرة . صافى السريرة . خشن العيشة . قال للمعيشة . يلبس السمل البالي ويألف المنزل الخالي . ويأمر بالمعروف . ويأخذ بيد الملهوف . ينظر الى الدنيا

بين الميافة . مقبل على الآخرة والتقوى قد ألبسته شعار المخافة . وتولى أخوه
نفر الدين محمود الاعمال الفاخرة الى آخر زمانه . وظهر قدر مكانه . وقدره
امكانه . والمضد الزاهد فيه زاهد . وفي صرف جاهه عنه جامد . وكان بينهما
تضاد . وتباغض في الدنيا لاتواد . وعضد الدين يرجع الى فضل وافر . ووجه
عن الحق والحقيقة سافر
قال عماد الدين : عدنا الى ما ذكره أنوشروان

ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك

أنشد أنوشروان فيه متمثلاً
لثيم أنه اللؤم من عند نفسه ولم يأنه من عند أم ولا أب
قال : قال لما صرع الكمال . واتسع المجال . سمت همة شمس الملك لطلب
الوزارة . وخطب عمر وسهام العجز عن اقتراع البكارة . فاجتاب لبأسها . وأنارت
شمسه من مطلعها . وورد على الظاء البرح عد مشرعاً . وتولى عزيز الدين
أبو نصر أحمد بن حامد منصب الاستيفاء . وقد فضل بالفضل والكفاية جميع
الاكفاء . ومن جملة مبتدعائه في الخير أنه جعل للمسكر السلطاني بيمارستان
يحمل آلاته وخيمه وأدويته والأطباء والعلمان والمرضى مائتاً بنحى ومن جعلها
أيضاً أنه بنى بحلة الثباين ببغداد مكتباً للايتام . ووقف عليها وقوفاً مستمرة
الجدوي على الدوام . والايتام مكفولون منها الى ان يبلغوا الحلم بالنفقة

والكسوة والطعام . وتعلم الآداب وحفظ القرآن . ومعرفة الحلال والحرام وصح له التحكم على الوزير . باحكام التدبير . وتولى ديوان الطنراء والانشاء الشهاب أسعد وكان معلما السلطان في أيام والده وتنجز حفظه انه يوليه الطنراء اذا انتهت اليه السلطنة ولما تولى لم يتغير عليه وبقي الى آخر عهده في الطنراء وتولى أبو القاسم الانساباذى ديوان البرض وكان أنوشروان عارضا وهو غائب . وفي مقامه عنه نائب .

قال أنوشروان : كنت انا قد تخطفت في بغداد في ذلك الاوان لشغل أفضيه . وأمر أمضيه . فاجتمع هؤلاء القوم واغتدوا غيبتى . وأخذوا بإخذي وتويعنى توقيعا . وشنعوا على عملى وعمالوا شنيعا . وكان مضمون المثل السلطانى ان الامر المطاع أعلاه الله ان أنوشروان ان كان في حدود بغداد أُرثم بيته بباب المراتب . وسدت عن لقائه طرق الاقارب والاجانب . وإن كان قد وصل الى بلاد الجبل فيقعد في ولاية الامير برُسق بقدة كفراش . ويشترط عليه ان لا يطلب المنصب والمماش . ويحضر ممالكه الى الدركاه لينتقلوا الى الخواص من الامراء . ويحمل ثقلهم عنه مع الانزواء . قال وكان المثل بخط الوزير وقد مد الطنراء عليه أسعد وعلامة الوزير فيه أحمد الله على نعمه وتوقيع السلطان اعتصمت بالله وما وجدت من أنسب اليه هذا القصد غير العزيز . فان الآخرين كانوا مسخرين له وهو المتوحد بالتميز والتبريز . وكتب الوزير بخط كاتبه ان شغل البرض قد فوض الى السيد الاجل الاخزين الدين ظهير الدولة أبي القاسم يسنى الدرگزنى فتختم جميع دفاتر البرض وأوراقها وتنفذ حتى سلم اليه

قال : وأنهمضوا الى طريقى جماعة من الفرسان لولا اعظام الامر السلطانى

المطاع . لما رعبت حرمة أولئك الرعاع . ولما دوا وحكوا انهم لقوا . نى رجلا .
ولركبوا من الخوف الليل جملا . فامتثلت الامر وسلمت اليهم موجودى
وخرجت من مالى كالشجرة من المجين . ووقع الهجان بتوقيع الهجين .
وسلمت نفسى الى الحبس . وبقي امرى على اللبس

قال : عدنا الى الحديث عن شمس الملك بن نظام الملك قال : فعاد الملك
به الى أدنى استقامة . ووجد الى كفايته أيسر استقامة . لكنه لم يطو بساط
الظلم والمصادرة . ولم يقبض عن التمدي الايدى المتجربة على المبادرة .
وكان الى الناس مبغضاً . ولحقهم متعرضاً . فلم يكفه ذلك حتى استتاب بغيضا .
واستطب لمرضه مريضاً . وهو الكامل ابن الكافى الاصفهانى الذى مضى
ذكر مخازيه فى وزارة الخطير . ووصف بالشؤم والسوء فى الادبار والتدير .
وهذا الكامل ما ناب عن أحد الا نابه خطب مير . ودعاه ملم كبير . كما
قال البحتريّ فى سعد حاجب عبيد الله

يا سعد انك قد خدمت ثلاثة كل عليه منك وسم لانح
وأراك تخدم رابعاً لتغييره فأرق به فالشيخ شيخ صالح
يا حاجب الوزراء انك عندهم سعد ولكن أنت سعد ذابح

فبدأ هذا النائب فى الاول بأخذ خلفى الوزير المستشهد وكانت خزائنه
قد نهبت . وذخائره قد ذهبت . وهم فى بيوت الاحزان . يرجون عواطف
السلطان . فلم يرض لهم بالعدم حتى سجنهم وحبسهم . وضاعف عليهم محنهم
وعرق عظامهم . وفرق نظامهم . ثم أمر باستمادة الرسوم والادارات .
ولم يقتصر على قطع الصلات . حتى كتب الى جميع البلاد باسترجاع ما أخذه
أرباب الصدقات لستين . ومن اخذ عرضا باداراه ألزم بردّ العين . فوكلوا

في كل بلد بالاخيار والاشراف . وسلطوا اقوياء الشرط على المتضوتين
قال : وكان قد عزم السلطان في هذه السنة على النزاة فصدوه وعرضوا
عليه كتاباً من بعض أمراء بلاد شروان يذكر فيه اننى قد استخلصت لكم
المملكة الشروانية . وأهلها ينتظرون الراية السلطانية . وان الملك شروانشاه
محصور . وان الفرج عليه محذور . فان أردتم تملك الخزان . واستخراج
الدفائن . والاستيلاء على الممالك فاصرفوا اليها الاعنة . وأشرعوا نحوها
الاستة . فنتوا عزم السلطان الى قصد بلاد شروان فلما وصل وجد الامر
بخلاف ما ذكر وخرج اليه الملك شروانشاه راجياً انه قد عاد عيده . وان
يتحلى بمد العطل بطوق الانعام جيده . فانه كان فقيراً قد قنع الرعية بملكه .
وألغوا الانحراط في سلكه . فحين وطئ البساط طوى بساطه . وعقل نشاطه .
وسحب وحبس . وغبن وبخس . وانتظر أهل البلد انه يدود اليهم مملكا
مكملاً . مشرفاً بجملأ . فحين عرفوا الحال أكثروا الصراخ والبكاء . وأثاروا
الرجال والنساء . وغربوا الجامع ورموا منارته . وشعثوا البلد وأذهبوا عمارته .
فما نفهم ذلك وجرت عظامم تأنف منها العظماء . واجترحت كبار ثأبها
الكبراء . وجر ذلك الخبط خطباً . لم يدع يابساً ولا رطباً . وطمع الكفار
المشاغرون فأغاروا . وأبادوا الاعمال وأباروا . وقتلوا خلقاً من المسلمين ونزلوا
قبالة السلطان في ثلثين الف عنان على فرسخين لكن الله تدارك رمق
الاسلام . بكسر أولئك الاغنام . ونهض السلطان محمود اليهم محموداً .
ولم يدع في هزمهم مجهوداً . وعاد منصوراً مسموداً .
ولما حبس الملك وقع الشروع في مصادرة الرعية فلم يحصلوا على طائل . ولم
يظفروا بمحصل . وكانت للخزانة السلطانية . في كل سنة على الاعمال الشروانية .

مقاطعة مبلغها أربعون ألف دينار فبطل حق تلك المواضعة بوضع الباطل .
 وطال المقام في تلك البلاد لدفع البلاء . ورفع الأحوال والاهواء . وكان هذا
 القرار على شروان من عهد سلطان ملكشاه بن الب أرسلان فانه لما عبر على
 أران وصل الى خدمته الملك فربرز صاحب شروان بعد امتناعه والتزم بحمل
 سبعين ألف دينار الى الخزنة وما زالت المسامحات تدخل في القرار . الى أن
 وقف على أربعين ألف دينار : فباء الوزير بالوزر . وقبح الذكر . ولم يحظ في
 مدة سنة واحدة من وزارته بعمل يذكر به الا حبس أنوشروان . وتخريب
 شروان . ولما أبصر السلطان اختلال الأحوال . واختلاط تلك الاعمال .
 سخط على لويزر شمس الملك بن نظام الملك وقتله بالسيف صبراً . وذلك في
 آخر ربيع الاول سنة ٥١٧ باب يلقان

قال أنوشروان : وكان الذي جرى على من الاخذ والنهب بباب حاوان
 أيضاً في آخر ربيع الاول سنة ٥١٦

من يَرَّ يوماً يَرُّ به والدهر لا ينتر به

قال عماد الدين : وسبب قتل هذا الوزير ان أبا القاسم الانساباذي
 كان رسولا عند السلطان سنجر . وقرر من أمر بن أخيه السلطان محمود
 ماقرر . وذكر له أن الوزير هو الذي اذهب الهبة وشئت شمل الاجناد .
 وبث حب السداد . وتوسل بكل طريق حتى تيجز كتاب السلطان سنجر
 الى بن أخيه في طلب وزيره . وأمره بتسييره . فحار محمود وخشى انه ان
 سيره اطلع على سره . وان لم يسيره اسخط عمه بمخالفة أمره . فأشير عليه
 بقتله . وتسيير رأسه . فبغت الوزير أقوي ما كان رجاء في الحياة ببأسه .
 قال عماد الدين : وعاد حكم المملكة كله الى عزيز الدين أبي نصر أحمد

ابن حامد وكان حينئذ مستوفى المملكة وجاذب زمامها . ومالك ، نظامها . فسكن السلطان اليه . وعول عليه . وعرض الوزارة عليه فأباه . ووجد منارس المملكة ذلوية فرواها . وقال أنا أنفذ أورك وأوامرك . وأصني مواردك ومصادرك . ولا أدع مصلحة تقف . ولا منفعة تنصرف . لكنني لأنسم بالوزارة ولا أنقلد وزرها . على اتني أنقلد أمرها . فإذا حضر صديق أبو القاسم الانساباذي جبلته صدرها . وما عرف ان صداقته عند عوده نود عداوة . وانه يجبرع مرارة سم ماظنه حلاوة . فسكت سنة بالمناصب متوحدآ وبالمراتب منفردآ . وعاد السلطان الى مقر ملكه محبوبآ بالظفر محبوبآ . محمود الاثر مشكورآ . واستمر الشهاب أسعد الطغرائي في الانشاء . ومنصب الطغراء . ولما عاد الدركريني قال العزيز للسلطان « قد وصل من يكفل بالامر ويكني في الحل والمقد . فانهض للوزارة فاني غير ناهض بأوزارها . واركني ومضائي في غير هذه الخدمة ولا تثنيني بمضارب مضارها . وأنا ان خليت الوزارة اسما فما أخليها نظراً . واعذقها بسواي وأكون عليه بحكمي مستظهورآ . فيكون أبو القاسم لي قسيما . وأصبح أنا له مقعدآ في المصالح . قسيما » فقال السلطان « ما أعرف سواك . ولا أعول الا على حجتك وحجاك » وسيأتي ذكر الحال في ذلك

قال أبو شروان : وفي تلك المدة استدعاني السلطان الى بابيه وانتهت شدة حالي . وانقضت مدة اعتقالي . وانقضى الالطف الرباني من كيد الخصوم . وعرفتني التجارب انه لا يحيد من المحتوم . وعلمت أنه لا يجدي طالب العز في زمان النذل . ولا يوجد الخصب في سنة الازل . وصبرت في الامتنال حد الدزم . ونزلت على آل المهلب ذوى الكرم والفضل واللم

كما قيل

نزلت على آل المهلب شائياً غريباً عن الاوطان في زمن محل
 فاذال بي احسانهم وافتقادم والطافهم حتى حسبهم أهلى
 قال : ويعنى أنوشروان بآل المهلب الامام صدر الدين عبد اللطيف بن
 محمد بن ثابت الحجندى باصفهان وكان أجود الاجاد . وأجود الاجواد . فلما
 ضافه أنوشروان أكرم مشواه . وقبله وآواه . قال : قال أنوشروان فصرف
 الى الاصدقاء المهم وحقق اكرامهم عندى الكرم . واستقرضت من
 تاجر غريب جملة . وكتبت له على وثيقة فجاءنى بعد حين انسان وقال بخدوى
 عزيز الدين يسلم عليك . وقد نفذ هذه الوثيقة اليك . وقال لك ابطلها فان
 الدين قد قضى . وصاحبه قد رضى . فعجبت كيف توسل فى اسداء هذه
 اليد الى . وافضاله على . فبقيت مدة فى تلك الضيافة . آمناً من المخافة .
 سالماً من الآفة . حتى استدعانى السلطان بعد قتل الوزير . وأهلنى للتدبير .
 فامتنعت أياماً . وطلبت من الخطر زماماً . ولما وصلت الى الدركاه رأيت كلاماً من
 الجماعة . يقول ما استحضر السبب . وما استقدم الارب . قال : فراجعت
 فكرى . وندمت فى أمرى . وقلت أعمال السلطان عوارى لا بد من
 ارتجاعها . وملابس لا بد من انتزاعها . ولو خلصت فرحت فرحت . ولو
 استخرت الله فى الانزواء لاسترحت . وكان السلطان فى الاذن لى متوقفاً
 وأنا قد ملت الى الوحدة والانفراد . وقصرت همتى على هذا المراد . فما
 زلت به حتى استأذنت منه فاذن فى الانصراف . وخصنى من مواعيد
 عوائده الجميلة بالالطاف . فساعدنى أرباب الدولة من الخيل وغيرها بما حمل
 أنشأ . ومن الازواد وغيرها بما ثقل أحمالى . وتوجهت من أصفهان الى بغداد .

وعدمت الملاذ لاجل الملاذ . فلما وصلت الى حضرة الخلافة وجدت
الاکرام . والانعام والاحترام .



ذكر وزارة الدرکزی فی سنة ٥١٨ هـ



قال : لما وضع عليه اسم الوزارة . تبدلت الوزارة بالوزارة . وهو أول
فلاح ترك العمل بالتمدن . فدان له حمل الترك . وحل البقر عن الملك . فحل
في دست الملك فقتك وهتك . واستباح الدماء وسفك . وشرع المنكرات .
وانكر المشروعات . وعادى الکرام . وبدد النظام وظاهر الباطنية . وأظهر
السنة الجاهلية . وشرع في التفتك بالاحرار . وهتك للاستار . فمن جملة من فتك
به القاضي زين الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور المروى وكان
أوحد دهره . ونسب وحده . والمعروف باسماء المعروف . والمرجو لا عدا
المعروف . وهو حبر العالم وبحر العلم . والحاكم بالعدل والعدل في الحكم .
وقد ملك من قلوب السلاطين القبول . ولم يرؤا من نصحه وإشاراته المدول .
وكان من متعصبى عمى العزيز . المخصوصين في الفضل والافضل بالتبريز .
فتقررت له بعد وزارة الدرکزی رسالة السلطان الاعظم سنجر . وسار الى
خراسان في البهاء الابهر . والجمال الاوفر . فصعب على هذا الوزير أمره .
وتقسم سره . وعرف انه اذا حضر هناك انتهك ستره . فانه كان موته
ولبس . وأخفى أحواله عند السلطان سنجر ودلس . فعرف ان المروى
يهريه . وينزع لباس ثليسه ويعريه . فقرر مع عدة من الباطنية أنهم فتكوا

به عند عوده من رسالة خراسان . وقد حضر للصلاة في جامع همدان .
فاستشهد قبل ان يشهد السلطان . وذلك في سنة ٥١٨

قال وكان حينئذ بالموصل آق سنقر البرسقي . الغازي المجاهد النقي
النقي . فدخل في وزر ذلك السعيد الوزير الشقي . فانه كان قد قمع أهل
الاحاد . وغمه أمر هذا الوزير الذي سد باب السداد . وتوسل الوزير عند
السلطان في عزله فلم يقدر . وبالنسبة في كل مكيدة ولم يقصر . ولما أعياه
أمره استدعى اخوانه من الباطنية . حتى جلسوا له في جامع الموصل بزي
الصوفية . وقفزوا عليه وضربوه بالسكاكين . فجلب به مصاب المسلمين .
وذلك في ذي القعدة سنة ٥٢٠ . وكان وزير السلطان سنجر في ذلك العهد
الاجل معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود وقد
مضى ذكر كرمه وفضله في زمان السلطان محمد وتولى ديوان الاستيفاء .
ولقد كان موثلا لاهل الرجاء . وهو من ممدوحى القاضي أبي بكر الأرجاني
وله فيه قصيدة صادية أولها

روحاً ساعة متون القلاص واحفظا وقفة بتلك الأمراص
يا خليلي من سراء بنى الاقيال وألفر من بنى الأعياص
واسياني فلا أخلاء قدما بالتواصي في الناثبات تواص
كيف أشكو خطباً ومختص ملك الأرض أضحي بالقرب منه اختصاصي
وإذا استنصر الهام أبو نصر أطاعت لنا الليالي المواصي
ذوندى يستهل كالديعة الكسب ونشر كالكوكب الوياص
وبنات يريك للقلم النا حل فضلا على القنا المرّاص
قال : فأنت من وزارة الدرگزني بالمراق . ولقد كان على الدولة شديد

الاشفاق . وعرف الدرگزني ان تقصه مع فضل أبي الفضل باد . وأن أسره مبنى لمعى دهره عنه على غير عمد ، فلم يزل يعمل كيدته في نكبته . ويتسلق بالكسر على هضبته . ويأطن الباطنية في قتله . وفرغ فكره لشنلته . فوجده متحرزاً متيقظاً . متحرساً متحفظاً . فبث عليه حباله . وأدب إليه غوائله . وسير الى خراسان عدة من الملاحدة . فتوصل منهم واحد الى أن خدم في اصطبل الوزير المختص سائساً لدوابه فأراد يوماً عرض الحيل لحضر ذلك السائس وهو غريبان . وقد خبأ سكبته في ناصية حصان . فأطلق حصانه من يده حتى شغب . واستخرج من ناصيته السكين ووثب . وتعمد مقتل الوزير فأصابه . وعظم على الكرام مصابه . وبضع السائس في الحال تبضعياً . وصزعوه تمزيماً . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٥٢١ هـ .

وما زال الدرگزني يتتبع الاكابر فنههم من يقتله جهاراً باذن من السلطان . ومنهم من يقتله غيلة بمن يتخذ من أولئك الاعوان . قال : وكان سبب ميل الباطنية الى الدرگزني ان الامير شيركير رحمه الله كان مشتتلاً بمحاصر قلعة الموت وقد قارب فتحها . وشارفت الآمال في أخذها نجحها . فلما توفي السلطان محمد وتولى ابنه محمود وتمكن الدرگزني من الدولة أعمل الحيلة في استدعاء شيركير ونفس عن القلعة ثم لم يزل يدقق الاختيال حتى جعل لشيركير عند السلطان ذنوباً اختلقها . ومساوى لثقتها حتى اعتقل ذلك الامير مع ولده شرف الدولة ولم يزل يطلب غرة السلطان في أسرها حاثي سكره . ومحموه حتى أخذ رخصة في سفك دمها الحرام . وأذهب بقتلها قوة الاسلام . واتخذ بذلك عند ذوى الاحاد يدا . واستكثره من أعوانهم مدداً

قال : وكان عمي العزيز يحسب انه انسان . وأن جزاء الاحسان له منه احسان . فلما أحس بشرارة شره . وضراوة ضره . أفكر في طريق الانزواء . والخلوص من تلك الالهوال والاهواء . فاستأذن في الحج فسار في سنة ٥١٧ أو ٥١٨ وكان حاج تلك السنة بأجمعهم في ضيافته وكرامته . وعمهم شمول عارفته حتى قال الرئيس أبو الحارث البغدادي فيه

يا كعبة الاسلام مالي أرى اليك تسمي كعبة الجود
تقصد في العام وهذا القتي لم يلف يوماً غير مقصود
وهناه عند عوده القاضي أبو بكر الارجاني بقصيدته النونية المشهورة
التي أولها

ورد الحدود ودونه شوك القنا	فمن المحدث نفسه أن يجتني
لا تمدد الايدي اليه فطالما	شبهوا الحروب لان مددنا الاعينا
ما ان جفوت الطيف الاليلة	والحي قد نزلوا باعلى المنحني
لما ألم وقد شملت بمدحة	لعزيز دين الله فكرى موهنا
في ليلة حسدت مصابيح الدجى	حكى وقد كانت لها هي أزيينا
قلبي بها حتى الصباح وشمعتي	بتنا ثلاثتنا ومدحك شغلنا
حتى هزمننا للظلام جنوده	لما تشاهرنا عليها الالسننا
أفناهما قلى وأفنيت الدجى	سهرنا فاصبحنا وأسعدم أنا
لله مقدم ماجد أضفى به	عنا لنازلة الثواب مطننا
أمنت اساءته عداه لانه	مذكان لم يحسن سوى أن يحسنا
أثبتت غزوتك الحميدة حجة	فقضيت أيضاً فرضها المتعينا
وجررت أذيال الكتائب موغلا	في الارض خلف بني الحبائث ثمخننا

حتى غدت تلك المجاهل منهم وكأنما هن المناحر من منى . قال : ولما عاد من حجه . استعفى السلطان من شغله . فما أجابه الى مراده . ولا مكنه . من انفراد . وأعاده الى منصبه على العادة . وأشرق به مطلع السعادة . وأصبح الوزير يجول في مكر مكره . ويسر له ما يرجع بشغل سره . وعادت تلك الصداقة عداوة . والمعرفة نكرة وغباوة . وعبرت على ذلك مدة فثبت العزيز على الاستغناء . وترك منصب الاستغناء . فقال السلطان « اذا كنت مستغنيا . ولا تؤثر أن تكون مستوفيا . فإني أعز من الولد والمال وقد سلمت اليك خزائني وأولادى وبهذا يحصل مرادك ومرادى » فلما خلا منصبه منه . ورغب العزيز عنه . تولى الصنى أبو القاسم الجزى ديوانه . وجلس مكانه . فتوازر هو والوزير والجماعة على قصد العزيز فلم يقدروا له على مضرة . ولم يعثروا له على عثرة . ومضت على وزارته ثلاث سنين وشمل العدل بغير الشام . وسلك الملك بلا نظام . والمعاهد غير مبرمة . والقواعد غير محكمة . وتفرغ العزيز لاعلام السلطان بالتشويش والتشويه . وحصول كل أمر كريم به في الأمر الكريه . فأمر السلطان بقبض الوزير واعتقاله . وسلمه الى العزيز ليربح الناس من شره واغتياله . فرأى أن اهلاكه على يده شنيع . وإن ذكره بالفتك وهو ليس من أهله فظيع . ودبر في تولية وزير يسلمه اليه . وهو لاجل الخوف على منصبه منه يقضى عليه . فسمى في استدعاء شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد من بغداد فلما حضر واستوزر حمل الدر كزبني الى داره على حاله . وصبره في اعتقاله . وكانت في أنوشروان ركاكة ظاهرة . ووضاعة لخلق الرفعة قاهرة . فلما تسلم الدر كزبني ضرب له في داره الخركاه . وأذن لكل صاحب له أن

يدخل اليه ويلقاه . وكان في كل يوم يدخل اليه ويجلس بين يديه ويخاطبه
 بيا . ولانا . وأنت أولى منا بالمنصب الذي خصنا به السلطان وأولانا . فسقطت
 حرمة . وذهبت هيبة . وانقضت وزارته . وعرفت حقارته . وخيف
 عود الدر كزبني بعد استقرار سلامته . الى منصب كرامته . فشرعوا في
 اعادته . وجروا على ارادته . وهو جالس في دار أنوشروان . والناس تتناوبون
 اليه لتقرير وزارة السلطان . فاشعر أنوشروان حتى أخرج من داره .
 ورُذ الى مقره على قراره . وأذن لأنوشروان في المود الى موضعه . والفيض في
 منبجه . فرأى النسيمة في الاياب . واغتم السلامة التي لم تكن له في الحساب .
 قال : وكانت وزارته سنة واحدة على ما أورده في باب . والآن أذكر ما ذكره عن
 نفسه في كتابه



ذكر وزارة شرف الدين أبي نصر أنوشروان بن خالد



قال أنوشروان : كنت قد اتخذت بغداد مدينة السلام . دار المقام .
 وانا من حفظ الله في أوفى ذمام . فجاءني كتاب السلطان محمود وخاتمه .
 ووصل رسوله وخادمه . يستحثني في الوصول اليه . ويستعجلني في المثول
 بين يديه . فحين حضرت الخدمة شافني بالتقليد . وخصني بأمره الاكيد .
 وكل لي تشريف الوزارة وخلصها . وأدواتها محلاها ومرصمها . ودواة الذهب
 والسلاح الجواهر فجلست في الوزارة سنة وأشهر لا أقدر على الخطاب في
 مصلحة . ولا على التنفس بفائدة مترجعة . وصاحبيا يميني ويساري الشهاب
 أسعد الأفرائي والمني أبو القاسم المستوفي والامير الحاجب الكبير حينئذ

أرغان . وامرأته خلف الستر قهرمانه السلطان . فلما رأيت اتفاقهم على ما هم فيه قلت في نفسي لا يظهر لي مع الناقصين فضل . ولا يقبل منهم صرف ولا عدل . فاستفيت واخترت العزل على التولية . وحدث نفسي من الولاية بالتعزية والتسلية . ونقضت يدي من صحبتهم . وقات العناء على تربتهم ورتبتهم . وعاد الدركريني الى الوزارة فانه ارغب أرغان الحاجب بالرثى . ومشى به غرضه فشى . ورجع كالكلب الكلب . والبغل الشغب . وهابه من لم يكن يهابه . وامتلاً بالآؤم والشرأباه

قال : فعدت الى بغداد مستأنساً بالوحشة . آتياً بالوحدة . فلما وصل الدركريني الى بغداد اجتهد ان ينالني شره . فمضى الله من كيدته . لا لاساءة اليه منى سبقت . ولا لضئيلة على بقلبه خلقت . فاني كنت اسلفته في حال حبسه وعزله احساناً . وقلدته امتناناً . ولم أترك في الانعام امعانا . ولما كلاًني الله من غائلته مديده الى مالى . وانزل النوازل باسبابي . وقد كنت بنيت على دجلة داراً فادعاه لنفسه ملكاً . واستحضر عدولا شهدوا له بالملكبة زورا وإفكا . وانتقل الى الدار بحكم الشرع . وصير باطله حقا بيناته الكاذبة في الاصل والفرع .

قال : واجترأ على الاجترام . واجترأح الآثم . وسفك دم الكرام . فتارة يظهر التسنن باراقة دم الملوية . وآونة يدعى التشيع في قتل الائمة السنية . فمن جملة من سفك دمه . ورام عدمه . علاء الدولة رئيس همدان وكان شابا حسنا شريف النسب . كريم الحسب . وكان باصفهان قد حضر مجلس الوعظ فقام اليه رجل من أصحاب الدركريني فضربه بسكينه . وفرى بمديته حبل وتينه . وكذلك عين القضاء الميانجي بهمدان كان من الاكابر

الاثمة والاولياء ذوى الكرامات . وتدف خلف ابا حامد النزلى الى رحمه الله في المؤلفات الدينية والمصنفات . فحسده جهال الزمان المتلبسون بزي العلماء . ووضعهم الوزير عليه فقصدوه بالايذاء . وأفضى الامر به الى ان صلبه الوزير بهمدان . ولم يراقب الله فيه ولا الايمان . وكذلك الملك علاء الدولة يزيد سعى في دمه وهتك حرمة . وكذلك رئيس ساوه اعتقله ثم قتله وتبع البيوت الكبار واقتلها . والجال المظالم فزعزعا . ومن جملة افعاله القبيحة . وأقواله العائدة على الدولة بالقضيحة . انه حسن للسلطان وقد وصل الى بغداد في سنة ٥٢٠ هـ ان زحف بمسكره الى دار الخلافة وقالوا وفلوا ما لا يحسن ذكره . واعتمدوا كل ما بحت سمته وعظم وزره . وكان حيثئذ وزير الخليفة المسترشد بالله رضى الله عنه جلال الدين أبو على الحسن بن على بن صدقة فتوسط للامر بكفائته . وكشف تلك الضلالة بهديته . وكان صديق عمى العزيز رحمه الله . فتعاونوا على الاصلاح . وأسوا الجراح . وحملوا السلطان على مباداة طاعة إمامه . والتصرف على أوامره وأحكامه . وذلك في اواخر ذي الحجة سنة ٥٢٠ هـ أو اوائل المحرم سنة ٥٢١ هـ

ولما قرب مسير السلطان من بغداد حدث به مرض ضعف منه جسمه وقلبه فاعتقد ان ذلك من شؤم خلافة الخليفة . جلس في محفة ووقف على باب الحرم للمواقف الشريفة . وأبدى الاعظام والاحلال . وطلب المنو والاستحلال . فخرج اليه التوقيع الامامى باجمل جواب . والطف خطاب . وطابت نفسه . وزاد بذلك أمسه في البر وأنه . ووصل الى همدان وقد ابل وتوفرت له حصاة الصحة . وشكر الله تعالى على رواح المنحة . قال عماد الدين رحمه الله : وفي هذه السنة عزل الدركريني وولى

انوشروان كما سبق ذكره ثم عزل انوشروان بعد سنة وأعيد الدرگزني وما زال عمي العزيز في عصمة من شر الوزير حتى أخبر السلطان بأن عمه سنجر قد سير في طلب ميراث ابنتيه وجواهرهما رسولا فانه كان قد تزوج باحدهما فأتت ثم تزوج بالآخرى فأتت ايضا فوضع الدرگزني من قال للسلطان ان رسول عمك واصل اليك بسبب تلك الجواهر . وأنه لا يمود عنك بما تقررده من المآذر . وقد رضى سنجر بشهادة العزيز فانه أمين قوله صادق . والسلطان سنجر بصحته واثق . ونحن نرى ان تحبس العزيز في بعض المعازل . محفوظاً من الفوائل . حتى اذا وصل الرسول وأدى رسالته . وحلب العزيز وشهادته . قلت له هذا صاحبنا وقد نعمنا منه أمراً فزلناه . وقبضنا عليه وأعتقلناه . وما بقينا نرجع اليه في الشهادة . وسؤال المحبوس خلاف العادة » فتلوّم السلطان محمود وتذمّم . وتردد فكره وتقسّم . فقاوضه الدرگزني زهوت عليه الامر . وسهل عنده الوعر . وقال له « اذا كنت معتقياً فما يضره المقود مصونا . وما ييبب الدرّ مكنونا . والذخر مخزوناً » قال « وانا أطاق لك من مالى ثلثمائة الف دينار اذا حبسته . وأقوم بإدائه اذا أجلسته »

ذل الى المال . وحال بالحال . فاستدعى عمي العزيز من داره وعرفه بنرضه ثم أمر بالتوكيل به على أجل وجه وكان ذلك والسلطان حينئذ ببغداد في أوائل سنة ٥٢٥ هـ ثم قالوا للسلطان الصواب انفاذه الى معقل فقد قرب وصول الرسول فسلم العزيز الى بهروز الخادم شحنة بغداد حتى سيره الى تكريت فلم يلبث السلطان بعد حبسه الا قليلا . وكم نلا (يا ليتنى لم آخذ فلانا خليلا) وذلك انه لم يسمع من رسول عمه عند حضوره ما قيل عن رسالته .

واستدل بذلك على كذب الوزير في مقالته . وأرسل الى الوزير وطالبه بالمال فزاغ عن مطلبه . ومطل به . وسير الى أصفهان فقبض على والدى صفى الدين وعلى عمى ضياء الدين واعتقلهما بقلعتها ونهب وسلب . واستولى على أملاكنا وأموالنا واستوعب . وأما العزيز فان السلطان كتب اليه بتكرير يمهده ويأمره بالصبر ويقول « اذا أخذت من الوزير ما بذله فاننا لا بد أن نطلقك واعتقله » والوزير في كل مدة يزن له شيئاً من المال ويريه أنه من عنده ومن ذهبه ولا يعلم أنه جباه من مال المصادرات وجاء به ووعدته بالباقي الى همدان . وفي القدران بقاءه قد انتهى وان حينه قد حان . ورحل السلطان من بغداد ومرض في الطريق واشتد مرضه . ثم فارق جوهره عرضة . وذلك في شوال سنة ٥٢٥ . وذكر ان الوزير سمه في طعامه فانه لما قصر في اداء المال . ونظر في سوء المآل . شرع في اغتيال السلطان على وجه الاحتيال . فتم له تأبيله . وحين مضى السلطان لتسييله . وضع في التسلط سبيله

قال : وكان قد اتفق وصول السلطان سنجر الى الري في سنة ٥٢١ قبل مضى السلطان محمود الى بغداد فعاد الى خراسان واستصحب الملوكة معه تأييساً لقلب محمود . باستصحاب اخويه طغرل ومسمود . عاد محمود الى سريره . وتفرد الوزير بتديره . ومن الاتفاقات العجيبة . والواقعات الغريبة . انه اجتمع في ذلك المهد في خركاه واحدة السلطان سنجر والاخوة الاربعة السلطان محمود ومسمود وطغرل وسليمان والوزير الدرگزني والنصير محمود بن أبي توبة وزير سنجر وهناك رجل يقال له القلاك وهو من الندماء المطبوعين فقام وصلى ركعتين . ورفع الى السماء اليمين . وجعل يدعو الله

ويتضرع . ويتهل اليه ويخشع . فاستدعاه سنجر وقال « ما هذه الصلاة والدعاء » قال « ناجيت الله تعالى وقلت هؤلاء المصيبة الذين اجتمعوا في هذه الحركاه هم أصول التزن . وفروع المحن . فاخسف بهم هذه البقعة . وانقض عنهم هذه الرقعة . حتى يسلم خلقك . ويسلم حقك » فضحك . منه سنجر . واستخف النديم المتسخر .

فلما عاد محمود سار الى بنسداد وشرع في ازهاق النفوس فازهقتها . والاخذ بمشورة الوزير لنفاقها عنده مع نفاقها . لاجرم انه ماتمتع بمره بعد قطع تلك الاعمار . وانتقل بجوره وجبروته الى جوار الجبار

قال : وحكي نجم الدين رشيد الخادم النياتي انه حضر السلطان محموداً وهو يتقلب على فراشه في سكرة الموت ويقول « ادفعوا عني شير كير وولده فقد شهرا سيفين ليقتلاني » وكان يكرر هذا القول الى ان قضى نحبه . ولحق بربه . وما عصبت به هذا الوزر الاعصية هذا الوزير . فانه عجّل له سوء الادبار بسوء التدبير . وكان السلطان محمود بمحمود الخليفة . مودود الطريقة . ان ترك وطبعه لكنه بلى بانواع من البلاء من أعوانه . ونصخوا عليه . شرع سلطانه . وفرقوا في ابتداء دولته خزانه آبيه . واستضمنوا جانبه وطعموا فيه . قال : ووجد تفصيل بخط عمي الوزير رحمه الله ان الخزانة النيابية الحمديدية . كانت تشتمل على ثمانية عشر الف الف دينار سوى الصياغات والجواهر الثمينة وأصناف الثياب الممدنية . قال الامر الى انهم احتاجوا الى اقامة وظيفة التقاع . فلم يجدوا ما يصرفون فيها من المتاع . فاخرجوا الى التقاعى عدة من صناديق الخزانة التي فرغت فباعها بما بلغت وحتى طلب السلطان من شاور الحازن غالية فاستمهلها أياما وادعى اقلالا . ثم أحضر ثلثين مثقالا . فقال السلطان

لشاور وكان خازن أبيه « حدث لجماعات بما كان في خزانة أبي من الغالية »
فقال شاور « كان في قلعة أصفهان منها في الاواني الذهبية والفضية .
والبلور والصينية . ما يقارب مائة وثمانين رطلا ومنا في خزانة الصحبة
مقدار ثلاثين رطلا » فقال السلطان للحاضرين « اعتبروا بالتفاوت بين
الامرين وفصل ما بين المصريين » قال : وكان محمود قوي المعرفة بالعربية .
حافظاً للشعار والامثال الادبية . عارفاً بالتواريخ والسير . ناظراً فيما يوجب
الاعتبار من الخير .



ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود

الى ان استقر الملك لطفرل



قال رحمه الله: كان قد تفرس الوزير في السلطان محمود . انه موؤد
وانه في الاحياء غير مدود . وحين فارق كنفه . ورافق كنفه . استعجب
الى الري مع عساكر العراق . وتظاهروا على الاتفاق . وأمرؤهم برُسق
وقزِل وقراسنقر وقراطغان وغيرهم وأقاموا بها تلك الشتوة . وعقدوا بها على
انتظار السلطان سنجر الحبوة . ولبثوا من يوم موت محمود الى حين
وصول سنجر أكثر من خمسة أشهر فوصل الى الري في شهر ربيع الآخر
سنة ٥٢٦ واستقبله عساكر العراق مع الوزير . وجلس سنجر على السرير
ووصل بمده ليلا طفرل سحرة . ولقي عمه بكرة . فترجل له الوزير الدرگزني

فما احترمه طغرل ولا التفت اليه . ولا قبله ولا أقبل عليه . وكان الرسول قد أرسل الى طغرل بتخفة ونسخة عهد . ابانة عن نصيح وشفقة وبذل جهد . قال : وحكى زين الدين المظفر ابن سيدس الزنجاني وهو الرسول انه لقي طغرل بخوار الرى فقتل بين يديه . وأوصل هدية الوزير اليه . فلم يجمل لها وزنا . وأظهر عند رؤيتها حزنا . وذكر آتابك شيركير وشرف الدولة ولده وأخرو رقت عيناه وابدي عليها كدحه . وقال « اين همان هذا اليوم ولو ماشا لكانا نفع لى من هؤلاء القوم » ولما عرضت عليه اليمين بأن فيه أثر السخط فشرع فيها متلفظاً . ومن ان يمين متحفظاً . فلم يتفوه بروابطها . ولم يتنبه على شرائطها . ولما رجع الرسول الى الوزير عرفه ما جرى وأخبره فلم يكثر تلك الحال . اغترارا بقوة الاحتيال .

قال : وكان وزير السلطان سنجر نصير الدين محمود بن ابى توبة فأنتم على الدركزني بفرع الري لتلك السنة فان الري كانت من الاعمال السنجرية ووالها من أصحابها الاجل المقرب جوهر المروف بالامير الاجل فلما فرغ الوزير القرع ووزعه . منعه الامير الاجل ووزعه . فأغلظ الوزير له في المقال . وكان ذلك من اسباب حنقه في المال . قال : ورحل سنجر الى همدان وخيم بها ثلاثة أيام . ثم نهى الى نهاوند . وحث على اتباعه الجند . لأن الخبر وصل بأن الملك مسعوداً وصل مستعداً للملك ومعه صاحب فارس آتابك قراجه . ولما سمع طغرل باقبال أخيه مسعود . لم يطمع من السلطنة فى مسعود . فعزم على الرحيل فأحس سنجر بزمه وسير اليه الوزير والامير الحاجب وهو محمود القاشانى . والامير قاج وجماعة من امراء العسكر الحراساني . فأتوه وهو واقف على تلة حذاء كنيكوز وبلغوه رسالة عمه سنجر

وأنه ولاء سلطنة العراق وسلطه على ولاياته وانه ولى عهده ومالك خراسان من بعده . فهورى الى الارض مقبلا . وجرى القدر بملكه من السماء فاصبح مقبلا . وسار سنجر الى نهاوند بعد ثلاث ونفذ السلطان طغرل فى المسكر العراق فجاءهم الخبر بان مسعود اوسى عائدا الى آذربيجان على سمت دينور وما فى عزه انه ان يلقى عمه سنجر فأخذ الجماعة اليه سائرين وهجروا تلك اليلة الكرى . ووصلوا السير بالسري . فما اسفر الصبح الا وليل المجاج جان . والخطى يهتز على يمين الشجاع كأنه جان . والكوسات تذعر . والبوقات تنثر . وصادفوا المسكر المسعودى على موضع من عمل دينور يقال له بنجكشت مررت تلك الجيوش به فامتلا الملا وماج المرت وجاش الموت وطلعت راية السلطان الاعظم سنجر وهو تحت مظلة . كالتسر فى هاته . وعلى ميمته السلطان طغرل والامير قاج . وعلى يسرته خوارز مشاه وعدة أمراء مساعير يسر بأسمهم الهياج . فحملت يسرة مسعود على ميمنة سنجر وفيها السلطان طغرل فصدمتها وهزمتها . وركض طغرل فى الهزيمة فرسخين ثم تحيز الى عمه ووقف فى قلبه . وثبت بجنبه . وحملت يسرة سنجر على ميمنة مسعود فقرقت نظامها . والتهمت لهاها . وقر قراجة ووقف فى خواصه وكانت لسنجر صفوف وراء صفوف فخرقها الى القلب . ودارت فى الاحاطة بها رحي الحرب . وكان أشجع أهل زمانه فثبت فى مستنقع الموت رجله . ولم ير فى الاقدام بالروح بخله فلما كسر أسر . وقبض معه من أمرائه على يوسف الجاوش ووزيره تاج الدين بن دارسس

ثم ركب السلطان بعد ثلاثة أيام ووقف على ثلثة فاحضر بين يديه قراجة

ويوسف وهو ملحق لا يضرع له ولا يخاطبه فضربت رقبتهما وطويت ورقتهما . ثم انصرف السلطان سنجر ذلك اليوم وارتحل من غده فلما وصل الى كور شذبه خلع على السلطان طغرل وسايه على انفراده . ووصاه ببلاده ونلاده . واقضى اليه باسراده وأسر اليه بمفاوضاته . وأمره بان يكون مع رضاه ونهاه عن معارضاته . فقبل عين الوزير ذاكره لما ذاكره عمه . وغلان انه سرّ يخبر فيه ذمائه ويخفي ذمه . ثم دماه وودعه . وأودعه من النصيحة ما أودعه . وانصرف الى الرى راجعاً . ولمصالح الممالك جامعاً .

— ❦ — ذكر جلوس السلطان المظفر ركن الدنيا والدين ❦ —

❦ أبي طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه ❦

(ابن الب ارسلان)

قال رحمه الله : جلس طغرل على سرير الملك بهمدان بعد انصراف السلطان سنجر الى خراسان في جمادى الآخر سنة ٥٢٦ ووزيره القوام أبو القاسم ناصر بن علي الدرگزني الانساباذي استبد بتمشية الامور . والامر والهي على الجمهور . وكان لا يوقع في الامثلة السلطانية مظهرآ انه وزير سنجر . وانما خلفه بالمرأى ليهذب الممالك ويدير . وهو في هذا الكبر نشيط . والسلطان طغرل منه مستشيط . فهو في بث العدل . والوزير في بث الجبل . وبذلك

يمطى وهذا يأخذ . وهذا يورط وذاك ينقذ . ووصلت رسل الامام
المسترشد بالله فلقبهم الوزير بعبوس وبؤس . وواقعهم بالنجى . وواقهم بالجبنه
وضيع للطمع في الرشى الرشذ . وضل عن نهج الضلالة التى تشذ . وأفسد
ما صلح . وجرى على خلق الفلاحة وما أفلح . وانفصل الرسل ولم يستقر
بين الامام والسلطان قاعدة . وكلما ظنت متقاربة عادت وهى بمادية عادة
الوزير متباعدة .

— ذكر ماجرى للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه —

قال رحمه الله : كان داود ولى عهد أبيه . وآبى سنقر الاحمد بلى آتابكم
ومربيه وهو بأذربيجان فى جمع كثير . وجم غفير . وقصده خواص والده
وتغضبوا له وتمصبوا . وثابوا اليه ووثبوا . ومعهم الامير سعد الدولة
يرتقى الزكوى وكان من أجل أمراء الخدم . وأخدم فى احياء رسوم
البأس والكرم . ومعهم ابنا قراجه ايلرمش وأخوه . وعدة من الامراء
هم الاعيان والوجوه . ومن أرباب المائمه الصنى الاوحد أبو القاسم الذى
جمل مستوفيا للسلطان محمد بعد الوزير . فحملهم على التبريز من
تبريز . ونهض السلطان داود فى سنة ٥٢٦ الى همذان ولما قرب من
معسكر عمه طغرل انحازت عدة من أمراءه الاتراك الى خدمة طغرل
منهم بلنكرى وأخوه مع عصبة ذات عصية وكذلك شيمه الاتراك

غير وفية .

وبرز طغرل في جنوده المتفقة . والبنود المنفقة . فلما تصاف المسكران .
وتضايق الشيران . وقع البيض على البيض . ولم ير الا بحر الدم يجود من
الغيظ بالبيض . ومضى الظهر ولا صهور . وقد خفي بالصدور الظهور .
وظهر الم وعم الظفر . ونفر ابن الاخ وفر منه النفر . وانهمز آف سنقر
بداود . وباء الباقون باغلال وقيود . وقتل في المعركة ايلر مش بن قراجة مقدما .
وبذل روحه في الملتقى مكرماً . وأخذ سعد الدولة يرتش الزكوى فاعتقل
في همذان عند الوزير في قصره وأمضى على سبعين الف دينار فصل أمره .
وتسلم منه قلعة قزوين . وخلت منه بلاده وذوين . وأخذ أيضاً الصنى
المستوفي المعروف بأوحد بهروز وحبس عند جاولى جاندار . وسأل الوزير
أن ينقله ويعتقله عنده بالدار . فما رخص فيه السلطان . ولا تمكن منه ذلك
الشیطان فانه كتب الى طغرل يقول « انسلمتى الى الوزير . أسلمتى الى
المير وأنا أعطيك مائة الف دينار على أن أسلم ولا أسلم . ويستصنى
مالي لا الدم » .

فلما يئس الوزير من وقوعه في يده افكر في حيلة ضحك بها مال
مصادرته حتى أدبى مائتى الف دينار وذلك انه قال للسلطان طغرل « ان عمك
أمرنى أن أضرب الدينار الركني في همذان . حتى يتفق نقد المراق
وغراسان » وتقدم بضرب الف دينار بذلك الميار . ونادى بالتعامل به في
تلك الديار . وطولب الصنى الاوحد بذلك النقد . من غير تضييف المقد .
نم انه صادر الامراء وأمر بالمصادرات . وبيت بالاذى ذوى البيوتات .
فقرر على قتلغ الرشيدى وكان استاذ دار السلطان محمود ثمانين الف دينار ثم

غدر به الوزير فاستخرج من ودائمه ثلاثين الف دينار اخرى فقرته وأفتقرته . وكسرتة وخسرتة . وأخذ من الجمال بن منارة البيع في همدان ثلاثين الف دينار . وولى نخر الدولة بن أبي هاشم الحسنى رئاسة همدان وأخذ منه عشرين الف دينار . وقرر على تاج الدين دولتشاه بن علاء الدولة ووالدته ووزيره مائة وخمسين الف دينار . وصادر الاكابر . وصدر الكبار . وجر العظام وعظم الجرائر . ووزع على بلاد المالك بملة صياغات بيت الشراب والطبخ الوفا . وثمة فاطم السطان طنرل على طغيانه وتسلمه فأنفذ اليه « انك اساءت سمعتى وأسعت مساءتى . وفضحت أمرى وأمرت بفضيحتى . ألم يكفيك سلخ جلود العظماء . حتى شرعت فى استفراغ دماء الضمءاء . واستنزاف دماء الفقراء » فكف الوزير عن التوزيع بعد جباية الأكثر . والحيانة فى الاوفر .

وسمع السطان طنرل بتحرك اخيه مسعود . وخروجه مع اق ستمقر فى جموع وحشود . فارتحل صوبه الى اذربيجان فلما سمع مسعود بقربه . لم يقف لحربه . وأغذ السير الى بنداى فى حزبه . ودخل طنرل الى مراغة وكان الوزير فى تأخر عنه فانهز فرصة غيبته . وبسط يد معدلته . فجاءه الوزير فجاءة . وجر عليه جرأة . وبطل الحق وعطل المدل . ووجه على وجوه البلاد البلاء . ومثل بالامائل والى الرؤساء اساء . وصادر زرقان رئيس تبريز . على سبعين الف دينار من الذهب الابريز . ودخلت الشتوة رقصرت الخطوة . واختار السطان طنرل دخول تبريز والمقام فى قلعتها الى حين انحسار شتوتها . وانكسار سلطوتها . فاجتمع عسف الوزير . وعصف الزمهير وادبار المسىء وسوء التدبير . وكان المستولى على فارس بعد قراجه منكوبرس

وقد اجتمع عليه الترك فكتب الى السلطان . يطلب ولده الب ارسلان .
ليذعن بالطاعة . والاعتراف بالتباعة . فأوجب ذلك رحيل السلطان والطرق
مسدودة . والسبل مسدودة . فتضرر الظهر وظهر الضرر . ونفقت الدواب
واتضوّر السكرو . ووصل الى اصفهان . وأنفذ الى فارس ولده الب ارسلان .
فوقعت على منكوب من حيثئذ على الحقيقة سمة الآتابكية . ودرّت له
اخلاف الحرمات البكية .



ذكر حوادث جرت في أثناء ذلك من السلطان مسعود

﴿ وآتابك آق سنقر الاحمد بلي ﴾



قال : رحمه الله لما قصد السلطان مسعود بغداد عبر على تكريت وكان
واليها الامير نجم الدين أيوب وعمى عزيز الدين عنده فقال مسعود لا يستتب
أمرى الا بوزارة العزيز . فان الامراء يميلون اليه واذا استوزرته كنت في
حرز حرز . فنفذ اليه خادمه عماد الدين صوابا . والامير أبا عبدالله الدووي
ومعه مقدمين وحجابا . وطلبوه من الوالى . فظهر الامير طاعة الموالى .
لكنه اضرب نية اللاوى ولى المناوى . فان صاحبه كان مع السلطان طنرل
فحصل في الامر المشكل . ان سلمه خشى في العاقبة عقوبة صاحبه النائب .
وان لم يسلم خاف من سخط السلطان الحاضر النائب . واخرجه من القلعة
الى المشهد بالمدينة . واشتغل بحمل اسباب التجميل والزينة . ولم يزل يدافع

الوقت حتى حان المغرب . وخان المطلب

فزم العزيز على الخروج فيمن معه وتسبقوا الى الابواب فوجدوها قد أغلقت قبل وقت اغلاقها . وعند ذلك عاد وثوق الآمال بالانطلاق بوثاقها . وطلبت المفاتيح وقد حملت الى القلعة . فباتوا على مضضهم في تلك البقعة . فلما اصبحوا وجدوا صعلماز أحد ممالك بهروز وهو شحنة الحلة على الباب . وقد استبج جماعة من الاوباش والاشاب . وقد ساق في ليلة واحدة اربعين فرسخاً . وجاء لمن بالقلعة مصرخا . ودخل على العزيز وأخذ يده ورده الى القلعة وقال للقوم انصرفوا بسلام . فلا حاجة بنا الى التعرض من صاحبنا لمعتبة وملام . وهذا السلطان مسعود ان استقرت له سلطنته فالافاق له مدعنة . وما دام الملك لآخيه فلا مطمح له فيه . فلم القوم انهم اخطأوا الحزم . وضيعوا العزم . فرجعوا الى السلطان وأخبروه بالحكم والسلة . فغل به الشحنة من شحنة الحلة . وطلب بعض اخوة العزيز ليستخدمه . ويتقرب به اليه ويقدمه

وكان الم بهاء الدين أبو طالب وزير آق سنقر الاحمدبلي وهو في الخدمة فرتبه في منصب الاستيفاء . وتموض بالصعيد الطيب من الماء . واستوزر أنو شروان . وجل بمكانته المكان . وأخذ العسكر للملك طالباً . ولاخيه مناصباً . وكان السلطان طغرل حينئذ باصفهان . وقد استخاف آتابك قرا سنقر بأذربيجان فلما نهى آق سنقر مع السلطان مسعود الى آذربيجان . ترحل عنه قرا سنقر الى زنجان . وتمحصن عين الدولة خوارزم شاه والايران بيشكتين وبلق بأردبيل والامير الحاجب تار بأرمية وتحكم السلطان مسعود وآق سنقر في تلك البلاد . وانتظمت امورهم في سلك السداد . ونزلوا على

أردبيل محاصرين . وثبت أهلها صابرين مصابرين . وكتب الدركزنى الى قرا سنقر يحرّضه ويقول له « بارز آق سنقر فأت له مبار بالمبارزة . واحضره وناجزه الحرب بنفسك والا حضرت بنفسى الى المناجزة » فكتب جوابه ومهد فى تأخير القتال عذرا فلم يذره الوزير وكتب اليه تأييا يأمره بالمناجزة فاستشاط قرا سنقر من اشتطاط الوزير وقال لجماعته « قد بلانا الله بهذا الفلاح . والدولة بوجوده معدومة الفلاح » فاحتد الاميران الحاجب تثار وجاهلى الجاندار وقالوا « لا بد من طاعة السلطان فى محاربة أهل العصيان . فلا تبجن فهذا مقام الشجمان » فاختاط وركب وساق نيفا وعشرين فرسخا فى ليلة واحدة فوصل بخيول رازحة . وخيول آق سنقر جامة غير جائحة . فتلاقيا وتضاربا . ثم انهزم قرا سنقر وفر . وظفر آق سنقر وفر . وكانت الحرب على باب اردبيل . فثنى آق سنقر منهم القليل . واحتوى على ما كان معهم . ولم يتم بدمهم وتبهم . وهجر الكرى . ووصل السير بالسرى . حتى وصل الى همدان . وعنا الملك لمسعود ودان . وخرج السلطان طنرل وتحصن بازوتند وماوشان وكان قد عرض له مرض اقعده عن الحركة . وانجزه عن حماية المملكة . فقدم الامير الحسن الجاندار على المسكر وهاجه الى اللقاء . وألقاه فى الميحاء . ثم انهزم طنرل الى الرى قادما . وعلى الرأى نادما . وعلى وزيره واجدا . ولله شكر اعلى سلامته ساجدا .



ذكر ما كان من حديث عمي العزيز وحادثه

بعد عوده الى القلعة

قال : قال الدكتور بنى لسنجر عند عوده الى خراسان : انك تعود الى خراسان ويبدو علينا استئذانك في المهام فاعطنا علاماتك في دروج بياض . اقماسد تعرض واغراض . فاذاغنت مصلحة . واتفقت منفعة للدولة مترجمة . أصدرنا بها مثالا بعلامتك فلا يخالفه القريب والبعيد . ولا ينقاد الا له القوى والرشيد » وكانت علامة سنجر تحت قوس الطغراء وفوق بسم الله (توكلت على الله) فاخذ العلامات في عدة دروج . واتخذها أسبابا لاستباحة دماء وفروج . فاول مثال زوره انه وقع تحت علامة منها بقتل العزيز الى صاحب تكريت نهروز الخصى . واتفق انه كان في العسكر معهم فارهبه وأرعبه وأمره بالامثال . والجري على مقتضى المثال . ففرغ الخصى وتمكن منه الخوف وكتب الى والي تكريت نجم الدين أيوب . وخطبه في الخطب المخطوب . وقال له : هذا توقيع السلطان مع صاحب وزيره . يأمر بقتل العزيز وتسليمه اليه وتسبيره . فان أبيت فقد رضيت بسخطي . وخالقت شر على . وأردت الخطأ في رد خطي »

وكان نجم الدين رجلا مسلما . فما رأى أن يكون لرجل مسلم مسلما . وعرف أخوه أسد الدين شيركوه الحال . وحجز بينه وبين الوقوف على التوقيع الواصل وحال . فشاركه أخوه شيركوه في رد الوارد . وصرفوه بالخلع والقوائد وكان شيركوه . لازما للعزيز وتبركا به . و متمسكا بسننه .

قال عماد الدين : ^{سركه} سمعت يوما يقول « صليت ليلة مع العزيز فسمعت هاتفا يقول جملك الله عزيزاً كما حميت العزيز » فما أطمعني في مصر بعد نيف وثلاثين سنة الا هذه الدعوة . وأيقنت اني آنال هذه الخطوة . قال : فكان كما قال فانه ملك مصر وصار عزيزها . ومن حاز الجنة بما فعله فلا عجب لمملكة مصر ان يحوزها

قال : فلما عرف الدرگزني تمنع ما توقعه . ضاق عليه القضا وما وسعه . فقتل على بهروز وفزعه . وقال له « سر بنفسك ولا تنفس بسرك حتى تأتي تكريت » . وبیت من بها قبل ان تبيت « وוכל بالخصى أياما . ومنزج له في الشهد سماماً . ثم أطلقه على الشرط فلم يشعر نجم الدين أيوب وأخيه أسيد الدين شيركوه حتى هجم الخصى طيهما القلعة وقال لهما « قد دافعتما عن هذا الرجل دفعات فكيف هذه الدفعة » فدفعاه فلم يندفع . وردعاه فلم يرتدع . فتركا وشأنه . فترك ماشائه . وكان بهروز قد استصحب معه من أعوان الدرگزني ملحدا . مثله مفسدا . فلما عرف العزيز رحمه الله انه قد أسلم . وأحسن بالامر وما أعلم . قام يصلي ركعتين فصلى الاولى بسورة الكهف وشرع في الاخرى يباسين . وطالت صلاة على الملحد اللعين . ففربه وهو في السجود . فجاد بروحه في مناجات المعبود . وشهد السعادة . وسعد بالشهادة . وكان مذحس متوفرا على البداة . يصوم ويقوم وذلك في سنة ٥٢٧ هـ وعمره ٥٥ سنة . وجرى هذا الامر . ولم يكن عند السلطان طغرل خبر . وفي ذلك عبرة لمن اعتبر . فانه بعد قتله الدرگزني طلب العزيز فاعلم بمحادثته وحديثه . فلمن الوزير على تأثيره . وشؤمة النارى وأثره . ولم يكن بين مقتل الشيد العزيز وبين (٢٠ - آل سلجوق)

مقتل المرتد الوزير سوى أربعين يوما

ذكر قتل الوزير الدرگزني وما آل اليه أمر السلطان طغرل

قال رحمه الله: قد ذكرنا أنه أحجم الى الرى من قدام آق سنقر وسمعود . في عدد مغلول وقل معدود . وخرج الاسراء الذين كانوا بارد بيل في الحصار ورحلوا على سمت أصفهان . ليحرقوا السلطان . وفارقهم المسكر فوصلوا في خوف من الخواص . وعبروا للخلاص . على النهج المتعاص . وجاءت المساكر الى مسعود من كل حدب تشل . وبكل عسال تمسل . وكان طغرل قد رحل الى أصفهان . ثم رحل لقصد أخيه مسعود الى خوزستان . وأيقن ان كل ماتم عليه من الوهن في أموره كان بوزر وزيره . وإدبار تدبيره . فأمر بصلبه . فصلب بامر . وانقطع لثقل جسمه جبل خنقاه . فوق الى الارض في آخر ارماقه . وفي جملة النظارة مملوك من مماليك شيركير واقف . وهو بما جرى منه على ماله عارف . فشق الحلقة بسيفه المسلول . وضرب رقبة الوزير المغلول . فقطع في الحال اربا اربا . وأفرغ حنف رأسه وحمل الى ابن شيركير فأتخذه للكلاب شربا . وأهديت كل أئمة له الى من عنده له نار . وانتش بمثاره من كان له عثار . وكان مقتله بشابور خواست

وكان السلطان طغرل قد قال له وهو جافل . ومن طلوع أخيه عليه أقول « اين المسكر اين الجند اين ما سبق به منك في الكفاية الوعد » فقال

له « لا تبالي ولا تخطر خطراً بالبال فاني قد نذبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك وكأني بهم وقد تمجّل قمعهم وتقلّ جمعهم » فاعتناظ السلطان وقال له « قد وضحت صحة الحادك . وبان فساد اعتقادك » فامر بتجريدّه واشمال نار الحديد في ماء وریده

قال : ووصل الخبر بان الباطنية قد دخلوا على آق سنقر في خيمته بمرج قراتكين . وتناوبوه بالسكاكين . وان عساكره ارتحلت من هذاب . على صوب آذربيجان . فان السلطان مسعودا وان كان في جمع جم . وعسكر دم لكن أمره مدبر . اذ عدم من هو له مدبر . فتشّى طنرل عنانه . وشرع لنحر الحميم سنانه . ومضى الى الرى . وطوى المنازل اليها أسرع العلى . فلما خيم بها اجتمع الذباب على عسله . والذؤباب الماسلة في محفله وجحفله . ورحل السلطان مسعود بعد مقتل آتابكه آق سنقر الى الرى لاضفاف آخيه اخيه . ومناجزته قبل انتهاء قواده بخوافيه . والسكر الباقى معه يزيد على ستة آلاف فارس وطنرل في ثلاثة آلاف فبرزوا بمدة المباراة . وانجزوا عدة المناجزة . فانهمز طنرل وحماة حماة خواصه . وخلصه ذوو اخلاصه . واستأمن الاميران بلاق وسنقر صاحب ذنجبان وجماعة الى العسكر المسودى . وأستوت سفينة السكينة منهم في بحر جوده على الجودى وذلك في ثامن عشر رجب سنة ٥٢٧

وامتد طنرل الى طبرستان ونزل على الاصفيهد على فأكرمه وأعز مقدمه ووسع له ولمساكره الاتراك وأنفق فيهم الذخائر والاموال وأقاموا شتوتهم عنده فلما انحسر الشتاء رخل طنرل عائداً الى همدان واتصل به من الامراء الاكابر جماعة لهم على الامام طاعة . مثل عين الدولة خوارزمشاه ومحمد

ابن شاهملك وحيدر بن شيركبر وسعد الدولة يرتقش ووصل بزابه من عند
آتابك منكوبرس في الفى فارس من فارس فاشتدت شوكته . واحتدت
شكته . وكان السلطان مسعود بأذربيجان فاستدعى نضر الدين عبد الرحمن
ابن طغايرك واتصل به يرتقش البازدار ونجم الدين رشيد ونهضوا لصوب
قزوین والرى . عازمين على حسم الداء بالكي . فرحل السلطان طغرل يتبع
أنارم . ويشق غبارهم . فنكلوا عن لقائه . ولوه ظهورهم عند ظهور
لوائه . وتفرقوا ايدى سبا وغنم أصحاب طغرل ما وجدوه من دوابهم
وأسلحتهم ونذب قرا سنقر الى محاربة الملك داود بن محمود بالمراغه فهزمه .
وقل غربه وثله . وتمكن السلطان من سلطته . وتسلط بمكنته . وفرغ
سريره وعرف سروره .

— — — — —
وزارة شرف الدين على بن رجا

قال رحمه الله : سمعت والدى صفى الدين يشكره ويشنى عليه ويقول
لما قتل السلطان طغرل وزيره الدرگزى استدعاني من اصفهان واطن
وان المزير باق . وانه عن حضرته اذ طلبه غير معتاق . قال : فقربنى واكرمنى
قال « خذ خطي الى بهروز باحضار أخيك . وأسرع فاني منتظر لتوافيك »
قال : فضيت الى بغداد واذا بالقضاء قد قضى . والحكم قد أمضى . فلما
عرف طغرل بوفاته طلب رجلا كافياً فوجد على بن رجا عليا كما رجا . فبول
عليه في وزارته وسلم اليه المنصب وشرع في مصادرة الدرگزى وقبض على

نوابهم . وضيق على أصحابهم . قال : وفي هذه النوبة قتل السلطان مسعود
الصنى الاوحد المستوفى وصادر أهله على مائتي الف دينار وكان ذلك برأى
مسعد الدين أسعد المنشئ الحراسانى وبمواطاة الكمال ثابت القمى فانه تول
منصب الاستيفاء . فرأى ائتلاف من يترشح لمنصبه حتى يبطش بيد الاستيلاء
ولما استقرت قاعدة طغرل وأمن من معار معارضيه . وعلا على مقار
مقارعيه . وجلس على تخته . وتبجل بعلو بخته . فاجأه الاجل فاستقل من
الثراء الى الأثرى . ومن دار البلاء الى دار اللى . وذلك فى أوائل سنة ٥٢٨
فانه عرض له قولنج فشرب دواء أسهله وأدواه . وأسقط قواه . فقتلت
ذلك الجمع . وانطفئ ذلك الشمع . وغاض ذلك البحر . وغاب ذلك البدر .
وكانت وفاته بهمدان ودفنه بها فى مدرسة بناها لبعض خداه . وأسف
بنو الآمال على كرمه . وكانت مدة ولايته ستين شهراً أو شهرين وكان
جاء ما لاخلال التى تفتقر اليها السلطنة من الحزم والتحفظ . والعزم واليقظ .
الا انه كان مستبداً بأرائه . معجبا بأهوائه . لا يستشير فى أموره . ولا
يسترشد فى تديره . وكان مصطباً لا راذل محبوباً فى أول عهده . فعاصروا
مقدمي جنده . والمخصوصين برفده . فكانت دنائتهم تغض من جليل قدره
وتغض على ذكره .



ذكر جلوس السلطان المعظم غياث الدنيا والدين أبي الفتح

مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين سنة ٥٢٨

قال رحمه الله: كانت أم مسعود حظية تسمى نيسبستان در جهان و زو جوها بعد وفاة السلطان محمد بالامير الاصفهسلار منكوبرس والي العراق . وتقلوا معها برسيم جهازها من الخزانة السلطانية اموالا لاتنفد مع دوام الاتفاق . وكان منكوبرس من أكرم أمراء الدولة وأعيانها وكان قد استبدت باقطاعات العراق بعد وفاة السلطان وتفرد بها مدة حياته . وارتفع بوفور ارتفاعاته . وحكي عن وزيره ولي الدين المختص محمد الميانجي انه قال « جمعت له في العراق الف الف وثلاث مائة الف دينار نقداً . طبوعاً بالسكة الامامية سوى ما كان له من الآلات والثياب والدواب والجواهر وقد أئمننا بذكر قتله في عهد السلطان محمود . ورجعنا الى حديث مسعود . وذلك انه سلمه والده في سنة ٥٠٥ الى الامير الاصفهسلار مودود صاحب الموصل

ثم جهز مودوداً للحرب الفرنج ووصل الى الطبرية وروى صدى الاسلام من دم الكفر . وشهر على أيمان الايمان فصل النصر . وعاد الى دمشق محبواً بالفتح . محبواً بالتجمع . وحضر في الجامع في آخر جمعة من ربيع الآخر سنة ٥٠٧ وخرج ويده في يد طغتكين صاحب البلد . وهو مخفوف من جنده بذوى المدد والمدد . فجاء اليه رجل وضربه بضربتين فتفطنت احدهما الى خاصرته وحمل الى دار طغتكين . وعز فيه عزاء المسلمين . وقيل انه خاف منه على دمشق فدرس اليه . ولولا ذلك لكان لما اهريق منه الدم شق عليه .

ولما وصل نبي مودود الى السلطان محمد سلم ولده مسعوداً الى آق سنقر
البرسقي وأقطعه الموصل والجزيرة . وأجزل له عطاياها الذرية . ولما توفى
محمد تولى محمود فزوج أم مسعود بمنكوبرس استماله لقلبه . واطهاراً للتقرب
اليه ترغيباً له ورغبة في قربه . فلما ظفر به قتله . وحلى بصنغ دمه من سيفه
عطلة . وجمع جوشبك الجيوش وسار بمسعود الى حرب أخيه محمود فكان
ما كان من هزيمته وقتل أبي اسماعيل الطغراني وزيره

ثم استدعى السلطان سنجر بعد ذلك مسعوداً وأخوته . وقرر على السلطان
محمود من مال العراق نفقتهم ونفقتهم . الى أن خرج الامراء على محمود في
آخر أيامه فاستدعوا مسعوداً من جرجان . وحملوه على مناجزة السلطان .
فما تسنى له أسر . ولا تهيأ له نصر . فاستمال السلطان محمود أخاه مسعوداً
وقربه وسيره الى ازنانية . واستكانت لهيبته عيون أعيانها الرائية . ثم لما توفى
محمود جرى له ما ذكرناه مع أخيه طغرل حتى مضى لسبيله

قال : وكان مسعود قد وصل الى دار الخلافة في حياة أخيه وخطب الخليفة
المسترشد بالله له وأجله وبجله ووقعت عليه سمة السلطنة بلاسمه . وعلاصيته بلا
صوت علو . وكان الجند يجتمع عليه ويفترق . ويشتم تارة معه ويعرق . فلما نبت
غمرسه . وثبت عرشه . وقرّر قراره . وسرأسراره . وكان وزيره شرف الدين
أنوشروان بن خالد . قال رحمه الله : وكان المسترشد بالله رضي الله عنه قد
استوزره مدة ولما وصل السلطان مسعود الى دار الخلافة وخطب له في آخر
الحرم سنة ٥٧٧ هـ سفر أنوشروان وهو وزير الخليفة في مهامه . فسفر بمجن سفارته
وجه مرامه . وأحضره المسترشد وقال له شفاها « تلق هذه النعمة بشكرك
واتق الله في شرك وجهرك » وخلع عليه وطوقه وسوره وجلس على

الكرسى المعدله فقبل الارض وقال له أمير المؤمنين « من لم يحسن سياسة نفسه لم يصلح لسياسة غيره قال الله تعالى ذكره فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فأعاد عليه الوزير بالفارسية فأكثر من الدعاء والضراعة . ونطق بالاذعان والطاعة . وقلده بسيفين . وعقد له بيده لوائين . وسلم اليه ابن أخيه داود وآتابكه آق سنقر وقال له « أنهض وخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » فمضى مسعود وهي النوبة التي نصر فيها على طغرل قال : ثم رأي الخليفة عزل أنوشروان واستيزار شرف الدين نقيب النقباء على ابن طراد الزينبي وفيه يقول حيص بيص قصيدة أولها

شكرا لدهرى بالضمير وبالقم لما أفاض بمنم عن منم

جلس في بيته مكرما . ولزم منزله محترما . ثم اجتمع بالسلطان مسعود فاستوزره . وصدرهبة الاطماع حين صدره . وكان المستولي على مسعود آق سنقر فلما استشهد تمكن الامير يرتقش البازدار فاستولى ولم يلتفت اليه ولا الي وزيره وكان آتابك قراستقر حينئذ قد وصل الى الخدمة في حشوده وجنوده وحماة آذيجان . وكجا ازان . وعنده استشمار من زوجة السلطان الخاتون زبيدة بنت بركياق فانها كانت على السلطان متسلطة فرأى صلاحها واصلاح رأيها . وحمله دهاؤه على حمل النفائس اليها واهدائها . فلم يجب الامير يرتقش ذلك فاستوحش وواقفه الامراء الاكابر وهم برُسق وقزل أمير آخر وسنقر صاحب ذنجان وجاولي وحيدر بن شيركير فخرجوا عن الطاعة . وتدرجوا الى مفارقة الجماعة . ورحل يرتقش بهم الى بروجرد وبقي السلطان ومعه قراستقر في جيوشه واتصل به خوارزم شاه ووصل الامير السابق رشيد من خراسان فهض السلطان بهم الى هؤلاء الهمم والتقوا

فانهزم يرتقش وأسر من الامراء الطغرلية جماعة . وقتت في اطلاقهم من
 قرا سقتر شفاعة . ولم يزل بهم حتى اصلح حالهم . وقضى اشغالهم .
 وأما يرتقش البازدار فانه رهب فهرب ودار بخلافه حتى أتى دار
 الخلافة . فخط بحرم الامن رَحَلَ المخافة . واستصحب معه من الاتراك
 جمعا كثيرا . وصار بين الخليفة والسلطان للشر مثيرا . وأشاع عن السلطان
 نقض الأيمان . ورفض الايمان . وزعم أنه قد عزم على صدق القصد .
 وانه باغ باغ زَرَعَ الدولة المسترشدية بالحصد . وكان الخليفة قد اقرض من
 السلطان في تغييرات غيرت فيه آراءه . وبدت من شحنة بهتداد ما أبدت
 شحناءه . فلما سمع قول يرتقش صار يرى نقشه في الحجر . ونبت ما شجر
 من الخلاف والناد عند الخليفة نبت الشجر . وكان السلطان قد تم باتباع
 يرتقش ببسكر يكفه . ويكفيه . ويقف على أثره . ويقتنيه . فصدق الخليفة
 قصده . وتحقق حق عناده عنده . فحينئذ خطب وخاطب . وطالب
 وطالب . وخرج بنفسه في هيئة رائثة . وهيبة رائقة . وخرج معه من
 كل طائفة أعيانها . وتماونت على التناصر انصار الدولة وأعوانها . وسار
 وقد صحبه حتى الشعراء والاطباء . والصوفية والفقهاء . وفي تلك السفرة
 يقول أبو القاسم بن الفضل الشاعر قصيدته التي اولها

في العسكر المنصور نحن عصابة مرذولة أخس بنا من معشر
 خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى من خفة ورقاعة وتهور
 ويقول فيها

تكرت تعجزنا ونحن بمقلنا نسي لناخذ ترمذا من سنجر
 قال : ولم يقدر على التخاف عن الخليفة ذو قدر . ولم يفسح لذي عذر .

وسار في حشد وحشر . وضم ونشر . ونمي الى السلطان خروج الخليفة
فشق عليه شقاه . وأظلمت أفاقه . فخرج صوبه من همدان والتقوا بمرج
يقال له دای مرک ولما تراءى الجمعان مال الجنس الى الجنس . فقال الترك
الى الترك . وأسلموا حرمة الاسلام المصونة الى الهتك . وتفرد الخليفة مع
مفرديه . وبعد من جدى منجديه . ثم أقشع نشاطه . وانفل عنه خواصه .
ووقف ولم يول . وثبت ولم يخل . وهابت الجماعة الاقدام عليه . والتقدم
اليه . فنزل أمير العلم السلطاني وتقدم ولم يزل يقبل الارض حتى وصل اليه
فأخذ بمناته . ثم أحرق به الامراء كما يحدق كل موكب بسلطانه . وأنزله
في خيمة ومعه وزيره نقيب النقباء وابن طلحة صاحب الخزن وسديد الدولة
ابن الانباري كاتب الانشاء وبقي هكذا في مخيم مسعود يرحل برحيله .
ويحل بحلوله . وهو يعده باعادته الى دار الامامة حتى كان المبسك على
المرافة فوصل الامير يرتقش قرآن خوان من خراسان برسالة سنجرية كتم
سرّها . وأسبل سترها . وهجم على الخليفة جماعة من الباطنية قفتكوا به في
سرادقه . وجموا الزمان بسيد خلائفه وخلائقه . وذلك في يوم الخميس
الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ هـ عرف بقراثن الاحوال ان سنجر
سير الباطنية لقتله . وما اشنع وأفظع ما أقدم عليه من فعله .



﴿ ولاية أمير المؤمنين أبي جعفر منصور الراشد بالله ﴾

(ابن المسترشد بالله رضى الله عنهما)



قال : فوصل الخبر الى بغداد باستشهاد الخليفة رضوان الله عليه يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ٥٢٩ هـ وبويع للراشد بالخلافة وجلس في منصبها في ذي الحجة وبقى في دار الامامية ببغداد قريب تسعة أشهر على ارجاف مزيج للارضاء . وخوف غالب على الرضاء . حتى تفرغ مسعود الى شغله . فشغل بيته بيت شمله . وأخرج بدوره من بيت شرفه . وأتى على متلده ومطرفه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه

قال : فأما السلطان مسعود فانه بعد حادثة الخليفة بالمرافة قبحت سمعته . فذكرته الالسن . ونكرته الاعين . فصار يفكر في شئ ينقئ عنه الظنة . ويستل به من القلوب السخيمة المستكنة . حتى سوات له نفسه قتل الامير ديس بن صدقة . وكان في القرب منه بمنزلة انسان عينه الذي هوأه المدة فرأى انه اذا قتله نسب الناس اليه قتل الخليفة وان السلطان لذلك لم يبق عليه . وكان الامير ديس المزيدي حضر باركاه السلطان وهو جالس ينتظر الاذن فجاءه من ورائه وهو لا يراه بختيار الوشاق . وأبان بسيفه رأسه وأسأل على البساط دمه المهرق . وكان بين استشهاد الخليفة وقتل ديس شهر واحد . وكانت هذه النوبة أيضاً شنيعة . والفضيحة فظيمة . وشفت الكبيرة بالكبيرة . واتبعت الجريرة بالجريرة . ففترحت القلوب وتمحرت . وأسفت النفوس وأشفقت . فلم يكثر السلطان بما كثر . ولم يحدث غمأ لما حدث

وطما عباب طماعيته . ولفع شرر شرته . وخشيه الاكابر والامائل . وغشيه
الاصاغر والاراذل . فرفع قوانين السلطنة وأبطلها . ومحاسنا محاسنها وعظماها
فأول ما بدأ به بعد حادثة الخليفة أنه نهض الى بلاد سكرمان فجلب على
سكانها البلاء . وأضرى بها الضراء . وخافه ابن سكرمان فجعل . ثم بذل له
بالذل خدمة حتى قفل . وحيث توجه الى بغداد مناصبا للخليفة . ناصبا له
وجه الخليفة . فنذر وحذر . وقام وقعد . وأحس بقرب من قتل أباه فأباه
وبعد . وكان الامير زنكي بن آق سنقر صاحب الشام ببغداد . فحمله على
السير منها والاغذاذ . وكان داود بن السلطان محمود قد وصل الى بغداد
وزنكي موازره . ومظاهره وناصره . فلما حضرها مسمود وحصرها .
ونازل بمسكره عسكرها . رحل داود عائدا الى آذربيجان . وأجفل زنكي
راجعا الى الشام . وقد خاف السلطان وأشار على الخليفة باتباع أثره
فأصنعي اليه . ولا سهل بخروجه من بيته عليه . ثم استوحش من مقامه
بعد ان أقام مدة على استيحاش . فرحل رحلة آيس ونفر نفرة خاش .
ومضى اقبال خادما أبيه معه . وصحبه وزيره جلال الدين أبو الرضاء بن
صدقة وخيم بظاهر الموصل متمسكا بمجمل قاطعه . ومفترا بسلم منازعه .
فان زنكيا لما أصلى أمره مع مسمود ستيه وخيته . وأخذ اقبالا خادمه
وحبسه ثم قتله . وأزعج الخليفة فانتقل انتقال المرتاب وتحول تحول المرتاع .
وبقى كذلك سنتين لا يستقر به مكان . ولا يمكن له قرار . حتى اجتمع
بالسلطان داود في آذربيجان . وجاء معه الى محاصرة أصفهان . وختم له
بالشهادة عليها سنة ٥٣٢ في ظهر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان
وكان ذلك في القبط وقت الهاجرة المتأججة . والقائلة المتوهجة . فهجم عليه

قوم من فدائية الباطنية . فأُجسِّموا على فراش المنية
قال : عماد الدين وانا اذكر في صغرى هذا الحادث الكبير وحديثه
وتأثيره في القلوب وتأثيره . وكان ذلك بعقب سنوات اسنات . وشتوات
شتات . ومجاعات للجماعات مفرقة . ونواب نوابي للنواب
مفرقة . وهلك الناس جوعا . وخرج من أهل أصفهان من لم ينو اليها
رجوعا . وما كفاهم ذلك حتى نزل عليهم داود تغربت القرى وألحقت
بالوهاد وأغلقت أبواب البلد . ووهت أسباب الجلد . وأعيان أهل
أصفهان لما أحسوا بالحصار . رغبوا في الاصحار . وانتقلوا الى ظاهرها
وسكنوا حتى في مقابرها . وهناك بقرب زَنْدَرُود عند المصلى قصور
عالية مبنية على قبور أكابرها . وكنا نحن من جملة المنتقلين الى بعض قصورها .
وقد عينا بامورنا . فجاء المسكر المحاصر . في عدد كل عن عدده المحاصر .
وكان ممي بهاء الدين مع داود في ديوان الاستيفاء واليه وزارة خوارزمشاه
ولم يكن مع الراشد وزيره أبو الرضا بن صدقة فان زنكيا احتبسه عنده ثم
استوزره فنفذ الى والدى صفي الدين والزمه بوزارته فأبى ثم اتفقت حادثة
الراشد فحمدنا الله على ترك خدمته . والمصمة من واقمته . فان والدى
رحمه الله حلف ان لا يخدم بعد العزيز سلطانا . ولا يتولى ديوانا . فوفى
بيمينه مدة عمره . وعاش بعد أخيه نيفا وثلاثين سنة مقبلا على امره .
ودفن الراشد في مدينة جى وأُفردت له تربة في جامعها وصار الى اليوم موضع
قبره من أشرف مواضعها

وحيث تفرق شمل تلك المساكر ورحل داود آخذاً طريق الرى
وسار معه والدى واستصحبنى وأخي أبابكر وخلصنا في المدرسة الحديثة

بقاشان وأقنابها سنة تتردد الى المكتب ونشتغل بالقرآن والمكتب الادبية
ثم عدنا الى اصفهان وكلانا لم يبلغ قره الى الابدان والوالدسار في ليل الاسفار .
قال : وأما أنوشروان الوزير فانه ما لبث في الوزارة . وكان معهد الملك به
غير مستتب المارة . لا لنقص فيه بل لتغير القواعد . وتكدر الموارد .
فزل واعتزل . وما انتقل عن دارمحتى تحول الى جوار ربه وانتقل . وجلس
للوزارة عماد الدين أبو البركات الدرگزني . قال عماد الدين رحمه الله : وكان
نسياً للقوام الدرگزني من جهة اخواله . وقد حسنت في ايام دولته حوالى
احواله . ورتبه ايام الوزارة المهدودية عارضاً للجيش وبقي مستترافي منصبه .
مستقيماً على مذهبه . وهو الذى يقول فيه القاضى الارجاني

دام علاء المهاد فهو رجاء المباد دام لنا طالما فهو ضياء البلاد

له يد لم تزل تصدر عنها ايام عيون حساده مكحولة بالسهاد

كان أجفانها أهدابها من قتاد

ولما رأى السلطان مسعود في عنفوان دولته . وريمان سلطنته . الخلل
حالا والحال مختلفة . والعلل بادية والمبادئ معتلة . استعجز أنوشروان لاین
اخلاقه . وقرب قر عمره من محاقه . فرأى صرفه باحترام . وعزله بأكرام
وظن انه اذا ولى درگزنيا أحني رسوم الاقتدار . وسطا بعاوة الجبار .
فولى المهاد فما رفع عمادا . ولا عرف سدادا . ولا شي الا في طريق
السلامة . وقنع بالدست والعلامة . وكان في منصب الاستيفاء حينئذ كمال
الدين ثابت القمى الثابت الكامل الباسل وكان في زمان عمى من نواب
ديوانه . وصنائع احسانه . وكان شهماً ناقداً . وسهماً نافذاً . فأنس السلطان

بروائه . وركن الى رأيه . واستغنى به عن وزرائه . وهو الذى يقول فيه القاضى
أبو بكر الأترجاني قصيدة منها

سل النجم عنى فى رفيع سمائه أشاهد مثلى من جليس مبابيت
أساهره حتى تكل لحاظه وينسل فى الصبح انسلال المقات
سقى عهدم غيث قول اذا بدا تجل وجه الارض ورق القواخت
معلمة الامطار عيني على الثرى اذا ماسما إن لم يكن كف ثابت
له قلم ان هززه فى كتابة أبر على سيف الكمى المصالت

قال : وهذا ثابت كان من دهاة الرجال . وكفاة الاعمال . وبمشورته
شيدت القواعد . وشدت المعاهد . وولى المفتى وخلع الراشد . وأما السلطان
مسعود فانه بعد خروج الراشد من مقام الخلافة استشار الوزير شرف الدين
على بن طواد الزينبي وكان قد اعتقله بعد ما جرى على المسترشد ثم أطلقه
واستصحبه وخاطبه فيمن يخطب له فاشار بخير الخلائف والخلائق أبي عبدالله
محمد ابن المستظهر فبويع له بالخلافة فى ذى القعدة سنة ٥٣٠ هـ وندت بالمفتى
لامر الله ووزر له شرف الدين الزينبي واجمع الانام على يمينه . واجتمعت
الآمال الغائمة على شرسته . وكر السلطان راجعاً الى الجبل . وأتقاً بمحصول
الامل . وانتهى اليه ان آتاك منكوبرس فخرج عليه مستعد وأنه مستجند
مستجد لجأوريه مستجيد لعدة الحرب مستجد . فانهض آتاك قراستقر الى
أصفهان ليكون على طريق دفعه فارب ومعه يرتقى البازدار . وجاوى
الجائدار . وسنقر صاحب زنجان ومم العظماء الكبار . ومم اعضاء الدولة
وأركانها . وملاك . مسكن الملكة وسكنها . ووصلوا الى أصفهان وكان
القمط فى الابتداء . فكانوا سبب الوباء والفلاء . وأكلوا ما وجدوه من

الرحطب واليابسن . وألحقوا النفي بالفقير البائس

قال : وانا اذكر وقد وصل قرا سنقر ووزيره عز الملك ابو العز
البروجردى وكان من الشياطين الذين استتبهم في عصره الدر كزنى فقبض
بقايا أملاكنا التى أسارتها المصادرات . وعمد الى شمل جماعتنا ليسرع فيه
الشتات . وأقاموا تلك الشتوة باصفهان ثم صبح الخبر بوصول آتاكبه
منكوبرس ففر قرا سنقر والامراء انهم لا يطيقون مقاومته فساروا الى
همدان . ولحقوا بالسلطان . وجاء منكوبرس الى اصفهان . فخلعهم في الظلم
والاغلال . ورعى الفلال قبل ادراكها . وأعجل الارماق عن امتساكها .
وأقام مدة . ولقى الناس منهم شدة . ورحل في أوفر عدة وأوفى عدة . فلما
قرب من السلطان مسعود . تحاجز السكران وباتاعلي لقاء موعود . والتقىا
بالموضع المعروف بكورشنبه . وصدقا الوثبة . وكانت الدبرة في الاول على
عسكر فارس . فاصبحت فوارسه فرائس . وأسر منكوبرس وأمر السلطان
بقتله بين يديه . وكان شجاعاً كريماً فاسفت القلوب عليه . وكان الامير
بوزابه من أعظم أصحابه . وأنغم اضرابه . فلما رأى المزيمة . أجلت عن
المزيمة . قال « اذا سلمنا فقد أبنا بالنفيسة » وحسب أن منكوبرس ناج .
ولم يدر أن نفيه له مفاج . فلما نى اليه صاحبه . ضاقت به مذاهبه . وحلف
أنه لا يبرح حتى يأخذ بثاره . ويستقبل من عثاره . فمطف على معسكر
السلطان مسعود وقد آمن . ووفى له النصر بما ضمن . والمضارب قد شيمت .
والمضارب قد أقيمت . والسوابق قد أريحت . والسوابغ قد أزيحت . فبيناهم
في أغفل حالة اذ هجمهم بوزابه واستخرج كل أمير من مضربه . وسد على
كل كبير طريق مهربه . وركب السلطان مسعود فأبلى بلاء حسناً . ولم يترك

في الدفاع عن مهجته بمكنا . ثم ولّى ومعه قرا سنقر هزيمًا تشله الرياح .
 هشيًا تذروه الرياح . وحصل في قبضة بوزابه اثنا عشر اميرًا منهم صدقة
 ابن ديبس بن صدقة المزيدي والامير عنتر الجاواني والامير الحاجب الكبير
 ارغان وآتابك سنقر صاحب زنجان ومحمد بن قرا سنقر وجماعة آخرون
 وما منهم الا من قد . . وأراق دمه . وشق وتره . ووفى نذره . وذلك
 في أواخر سنة ٥٣٦

ثم قفل بوزابه الى فارس واستولى على مملكتها . واستقر في ولايتها . وعاد
 السلطان الى سريره . مسلماً لقضاء الله وتقديره . وهو الناب للقلوب .
 والسالب السلوب . وقد بددت عقود سلكه . وبادت سمود ملكه . فجلس
 لما تم في المآثم . وعاد الى مآثم من عادة المآثم . واتخذ سوام ندماء . ورفع
 غيرهم امراء

قال : وفي أثناء هذه الفترة كان خروج السلطان داود ومعه الراشد
 فجرى ما جرى واستشهد الراشد . وانعكست على داود المقاصد . وتمهدت
 لمسعود القواعد . واتصل بعد ذلك الملك سلجق بأخيه السلطان مسعود فاقطعه
 بلاد سكرمان من خلاط وأعمالها ومازكر دوارزن واضاف اليه الامير غزأغل
 السلاحى مقطع تبريز فقصدها واستصفها . فاستخرج اموالها واستوفها
 واوسعها سيياً وتخريباً . وسام أهلها ظلماً وتمذيباً . وما زالت الدولة مضطربة
 والفتنة مضطربة . وأيدى الظلم عاتية . والسن الدم عاتية . حتى استجد
 السلطان وزيراً . استجاد لمملكته تديراً . وحكم وأحكم . ونقض وابرم .
 وهو الوزير كمال الدين محمد بن علي الخازن من اهل الرى قال : وكان السلطان
 استعجز الهاد أباً البركات . ووجده في تسكين الخطوب عديم الحركات .

فصرفه الى بيته على اجل وجه . ولزم موطنه على رفق ورفه . ولم يفلت
وزير كافلاته . وكانت الليالي بالسلامة كافلاته . وشغلته المطلة بصومه وصلاته
وتولى الوزارة كمال الدين وكانت وزارته في سنة ٥٣٣ هـ ببنداد وفي ديوان
الاستيفاء كمال الدين ثابت وفي منصب الاشراف المهذب بن ابى البدر
الاصفهانى وفي كتابة الانشاء ولى الدين المدروف بسياه كاسه وفي منصب
الطغراء مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهانى فانتشرت الصدور .
وانتظمت الامور . ورتب الوزير لخزانة السلطان أموالا تحمل اليها وجهات
توفر عليها . وأحيى معالم الملك قد دثرت . ونظم عقودا للمصالح انتشرت .
وابتداً بكسر الجبارين وجبر المنكسرين . وقرر مع السلطان سرا . ان
ينوى لقرا سنقر شرا . وبذل لقرا سنقر في وزيره عز الملك أبى المزر
البروجردى خمسمائة ألف دينار على انه يسلمه اليه . ويسلط يد الاقتدار
عليه . فاعرض عنه . وما قبل البذل منه . وبخل بصاحبه لحض الكرم .
وما اسعد من اختار صاحب على الدينار والدرهم . فلما ايس منه اخاف
السلطان من عواقبه وقال له « لا يجمع في غمد سيفان . ولا يظهر لك مع تسلطه
قوة السلطان » وقرر معه استدعاء بوزابه من فارس ليفرسه به . ويحجر
الخلاف الى مذهبه . فاستوحش سر قرا سنقر فاضمر الكيد . واعمل
الايد . فاستدعى الملك سلجق ووعد بان يمضى معه الى فارس ويستخلصها
لاجله وحمل أيضاً على الهضبة معه داود بن محمود وآتابكه اياز وكان من
صنائع قرا سنقر

ورحل قرا سنقر عن آذربيجان نحو السلطان مسعود الى همدان ومعه
الملكان ومعه من المساكر عشرة آلاف فلما قرب انفذ وزيره عز الملك

البروجردى الى السلطان رسولا . وتحدث معه وقرر سولا . وحمله منه
ومن الملكين ومن جماعة الامراء كتبوا مضمونها « انا لانأمن جانب الوزير
الكمال . وانا لانصبر على ما يبدو منه من الاعمال . فلما ان تقدمه . واما
ان تسلمه . فان دفعته الينا فنحن طائسون . وان دافعت عنه فنحن عن
انفسنا مدافعون » فلما سمع السلطان ما قالوه . استقالهم فأأقلاوه . فخار في
تديره . واضطر الى تسليم وزيره . فقبض عليه وسلمه الى الحاجب تار
فاوقع به التبار . وضرب عنقه وذلك في شوال سنة ٥٣٣ هـ حيثئذ وصل قرا سنقر
ومعه الملكان سلجق وداود الى الخدمة السلطانية . وحدوه على اتباع تلك
الهمة الشيطانية . ورتب قرا سنقر الوزير مجد الدين عز الملك ابا العز
البروجردى في وزارة السلطان مسعود وكان شيخا ذا بهجة وبهاء . ولهجة
ورواء . ولم يزل منذ عهد السلطان محمد متصرفا مع اكابر الامراء لم يبطل
ومتعليا بالولاية لم يمطل . وما زال متدرجا في الولايات حتى بلغ الوزارة
ووجد بعد الوزارة الوزارة . فانه كان في ريمان عمره يخدم شاكردا . ويستعذب
في كل اوان في خدمة وزير وردا . فتمول الاموال وملك الاملاك وقيل
انه كان يجرى في ملكه ايام وزارته اربعمائة قرية

قال : فنكب الكمال ثابا المستوفى وقبضه وأعدمه وقيل انه خفته .
واذهب بذهابه بهجة الملك وروثقه . وتولى منصب الاستيفاء بعده المذهب
ابو طالب بن ابي البدر ولم يلبث في منصب الاستيفاء شهرا حتى اختفى بداره
في السرار . وانتقل من هذه الدار . الى تلك الدار . وتولى مكانه ديوان
الاستيفاء الكمال ابو الريان الاصفهاني قال : وهؤلاء الذين تولوا الاستيفاء
كلهم كانوا من صنائع الزبى وتلامذته وكان في ديوان الانشاء سيد الدين

الخراساني . وفي منصب الطغراء مؤيد الدين المرزبان بن عبيد الله الاصفهانى
 فاما آتابك قراسنقر فانه لما قتل الوزير كمال الدين محمد الخازن وجلس وزيره
 في وزارة السلطان رحل بالمسكين سلجق وداود الى بلاد فارس فلما عرف
 بوزابه حضورهم لجأ الى قلعة كل وكلاب وهي بين خوزستان وفارس ودخل
 الملك ساجق مدينة شيراز وجلس على سرير الملك بها مسرورا . ونظم من
 المصالح ما كان مشهورا . وغفل عن القدر فأئس بملكه مغرورا . واراد
 قراسنقر ان يخلى عنده عسكريا يحمى حماه . ويمد على عداه . فحمل الامير
 غزاغلى السلاحى وهو مقدم عسكر سلجق حب التفرد والتوحد على اظهار
 الفنى ممن يجده . وانه لا حاجة به الى من يسمده . فقال لقراسنقر « انا ما
 احتاج الى احد . ولا افتقر الى مدد » فاستحسن قراسنقر منه هذا العزم
 وترك الخزم . فصار غزاغلى مستقلا . وسار قراسنقر مستقلا . ومضى صوب
 خوزستان . ليعبر منها الى ممدان . وسرح الملك داود جماعة من العسكرية
 على طريق سواها . للنية التى نواها . فلما وصل الى عسكر مكرم لم يوافق
 الهواة الخوزى فوق فى القوم وفي دوابهم الموتان . وعجزت القدرة وتمذر
 الامكان . فاقام على تلك الصورة . بحسب الضرورة

واما الملك سلجق فانه ظن انه ملك . وان خصه هلك . وان بوزابه
 على كل حال مملوك لا يقدم على المالك . وانه انما فر لانسداد المسالك .
 ورجا ايضا من غزاغلى آتابكه انه لا يخل بالتيقظ . ولا يخلى ما يجب عليه
 من التحفظ . وكان الامر بالمعكس . وسقم حاله على النكس . فان آتابكه
 اشتغل بالاكل والشرب . والهوى واللعب . فبيناه كذلك اذ هجم عليه بوزابه
 وعلى الملك سلجق فقتل وقتك . وأسر وأوثق . ولم ينبج من العسكر الا

القليل . ولم يعرج على الخليل الخليل . وقبض سلجق وحمله الى قلعة اسفيددز
 وكان ذلك آخر العهد به . ولم يشك احد في عطبه . فتمكن بوزابه من ملكه
 وجري على المراد مدار فلحه . واستشعرت الملوك مهابته . وتجنبت الاسود
 غابته . فلم يركض الى فارس بعدها فارس . ولم ينل القريسة بها غيره فارس . واما
 قراسنقر فانه لما انتهى اليه الخبر . وعلم انه لا قدرة له على دفع مانواه القدر . مضى
 على وجهه موليا . موليا ان لا يكون بعدها متوليا . فلما وصل الى برؤورد صادفه
 الخبر بان مدينة جنزة وأعمالها قد خسف بها . وان الزلزلة قد هدمتها . وانها
 خربت حتى كأن الارض عدمتها . وان الكفار الابخازية والكرجية
 هجبتها . وقد باد من أهلها مقدار ثلاثمائة الف نفس فأمرؤوا الباقين الا ان
 احتسب بقلعتها . وآوى الى ثلعتها . وذلك مع تشمت سورها . وتهدم دورها .
 وان الاموال نبشت . وان الجبايا فتشت . فأغذ قراسنقر السير اليها وكان
 ليواني بن أبي الليث لعنه الله مقدم عسكر الابخاز قد قرن بالزلزلة الزلازل .
 وبالنزلة التوازل . وكان قد حمل باب مدينة جنزة وبني مدينة سماها جنزة
 وعلق عليها ذلك الباب . واغتم غية قراسنقر عن البلاد فسامها النداب .
 وذلك في سنة ٥٣٣

فلما وصل قراسنقر عادت دولة الدين . وعادة النصر والتمكين .
 وظهر أهل التوحيد على أهل التثليث . ونعش الطيب بعثار الخبيث . وواقهم
 قراسنقر فهزمهم وثلثمهم . وقتل منهم مقتلة عظيمة وخرب البلدة المستعدة
 وأعاد باب جنزة اليها وأعادها في المارة الى أحسن حالاتها . وأجل حياتها .
 وكان من جملة من هلك بها زوجته بنت الامير أرغان وأولاده فاستولى عليه
 الهم وعلق به السل . وبقي مدة يتداوى ولا يلب . وتوفي سنة ٥٣٥ بأردبيل

فأكثر المسلمون عليه العويل . وعدموا عنه البديل . قال : وكان لما اتصل به أجله . وانقطع عن الحياة أمله . أحضر جاولى الجندار ونصبه مكانه . وسلم اليه ابنه وجنوده وسلطانه . ووصى اليه بقطع دابر الكفار . ومواصلة برّ الأبرار . فتولى ولايته . ووصل بنهايته بدايته . وأنفذ اليه السلطان مسعود الخلمة والمهد . وأجزل له المعطاء والرغد . وقرر عليه جميع أعمال قراسنقر بأزانية وآذربيجان . وولاه تلك الماقل والمدن والبلدان . ونهض الأمير جاولى في السنة الثانية الى خدمة السلطان فقبل البساط وبسط له القبول . وعرض هداياه وتحفه وطره والحول . فضاق القضاء الواسع بمضارب جنوده . وخفقت القلوب لهيبة خوافق بنوده . واتصل بالأمير عباس صاحب الري . ونشر من المودة بينهما ما كان في العلى . وتوافقا وتواتما ونظمتها طاعة السلطان في سلك المصافاة

وكان الأمير عباس من مماليك جوهر خادم السلطان سنجر والرى في أقطاعه وقد نفذه إليها والياً . وكان أمره بها عالياً . فلما قتل صاحبه بفتك الباطنية به نار عباس للثار وجدّ في طلبه واستولى على الريّ وأعمالها . وتفرّد ببحيضة أموالها . وقوى على السلطانين سنجر ومسمود . واستظهر بمن معه من جوع وجنود . وبمن اتصل به من مماليك الأمير الاجل صاحبه وكانوا زهاء أربعة آلاف في عدد كثير . وجمع كبير . وقصر عزمه على قصد الباطنية وكبسهم في مواطنهم . وبيتهم في أماكنهم . وقتل منهم مدة ولايته أكثر من مائة ألف حتى نجا من رؤسهم بالرى مناراً أذن عليه المؤذنون . وأخاف القوم فما كانوا في عصرهم يأمنون المنون . وكان ذا همة كافلة للرعية بالمعونة فرضى السلطان بإيالاته . وأقره على ولايته

ولما اتصل جاولى الجاندار بخدمة السلطان وجده حاضراً . والفى روض
الرضى به ناضراً . وكان الامير الحاجب الكبير نغر الدين عبد الرحمن بن
طغايرك الحاكم على الدولة . المهيّب الصولة . وكان وسيما جسيما . للسلطين
قسيميا . لا يرى الا برأيه . ولا اجابة الالدعائه . وكان الامير بك ارسلان
خاصبك بن بلنكرى أخص الناس بالسلطان وأعلقهم بقلبه . قد اختاره منذ
شعب به على صحبه . ولما كبر كان أكبر الامراء . وأعظم الكبراء . واجتمع
بهؤلاء الاكابر تلك السنة بالحضرة . والدنيا بالنعيم لهم بادية النضرة .
وحمل نغر الدين عبد الرحمن بن طغايرك الامير عباسا على مباينة عز الملك
الوزير . ومعارضته فى التدبير . وأطمعه فى تولى نلئه الجمال الجاجرى فى
الوزارة وكان شابا مقبول الحركة . مأمول البركة . يرجع الى توسع فى
المروءة . وترفع فى الفتوة . فاستحكم طبعه فى المنصب وقوى قلبه بمساعدة
الاميرين عباس وابن طغايرك فتحمل وتجمل . وجد وجاد . واستجد
واستجاد . وقرب أن يتم مراده وكاد . فتصب الامير جاولى للوزير عز
الملك . وأعاد نظم جاهه الى السلك . وساعده خاصبك على مساعدته
فاستقام أمر الوزير وأجمع الجميع على إبقائه . وافقت الكلمة على انه
لا مضاهي له فى مضائه

ورحل السلطان الى بندگان رحلة الشتاء . واستصحب جماعة الامراء . وعاد
عباس الى الرى . قال : وأنا أذكر وصولهم الى بندگان فى هية عظيمة وهيبة
وسيمة فى سنة ٥٣٦

قال : وخطب جاولى بنت عبد الرحمن بن طغايرك وتمت بينهما
المصاهرة . وثناكدت ما بينهما المظاهرة . وعاد جاولى الى بلاد أرانية وآزبيجان

• شتد الامر • قوى الظاهر • • مستبشرا بما ناكد بينه وبين الامير الحاجب
 النكير عبد الرحمن من عقدى الوصلة والاخوة • وأقام السلطان ببغداد تلك
 الشتوة • متوفرا على نيل الطرب وقضاء الشهوة • مستهما بادناء الدنان •
 واقتناء القيان • وتقريب المسافر • وابداد ذوى المفاخر • متكلا على السعادة
 في دفع الاعداء فانه لم يزل كاسمه مسعودا • ولم يتصد لعداوته الا من كفى الله
 شره فاصبح عنه مصدودا

قال : وكان الامير سعد الدولة يرتعش الزكوى من اكابر الدولة وقدمائها •
 واكبرها وعظماها • ومتولى وزارته يمين الدين المكين أبو على العارض •
 وله الفضل المستفيض والافضل القائض • وكان سعد الدولة يرتعش متولى
 أصفهان والامير غلبك نائبه وسعد الدولة للمعسكر غير مفارق • ولما لا يوافق
 رضاء السلطان غير راض ولا موافق • فكانت أبهة الملك بمقام آهته قائمة •
 ونصرة الاقبال بدوام نظر اقباله دائمة • وكانت الخدام الجبوش • لهم الجبوش •
 والاسرة والعروش • منهم نجم الدين رشيد من مشايخهم واكابرهم وجمال
 الدين اقبال الجاندار وشرف الدين كردبازو ومسعود البلالى ودونهم فى الرتبة
 عماد الدين صواب وشمس الدين كافور وأمين الدين فرج الدووي وأمثالهم
 وهم عصبة فيهم عصية على الشافعية • ويتقربون الى الله بما يوصلون اليهم من
 الاذية • ونكبوا اصحاب الشافعى بأنواع البلاء فى جميع البلاد • وخصوم
 بالطراد والاباد • وحاولوا إخفاء مذهبه فتعالى ظهوراً • وأرادوا إطفاء نوره
 فما زاده الله الانواراً

قال : ونكبوا رؤساء المذهب فى كل بلد • ولم يبقوا منهم على أحد •
 فمنهم أبو الفضائل بن المشاط بالرى ومنهم أبو الفتوح الاسفراينى ببغداد

وممنهم بنو الحجندی باصفهان ودخل في مذهب أبي حنيفة جماعة طلبا لاجاء .
وخوفاً منهم لا من الله . ومن جملتهم القاضي عمدة لدين الساوى . قال : وكان
وزير الخليفة المقتنى لما تولى شرف لدين على بن طراد الزينبي وكاتب الانشاء
سديد الدولة بن الانباري وصاحب المخزن كمال الدين بن طلحة وتزوج الامام
المقتنى بأخت السلطان مسعود فاطمة خاتون . وعزل شرف الدين الزينبي عن
وزارة الخليفة في سنة ٥٣٤هـ وسببه انه استشر فضى الى دار السلطان بها متعصماً
ثم لزم بعد ذلك داره محترماً وتولى الوزارة نظام الدين ابو نصر بن جبير
وكان الاستيلاء بالمرأى لاصحاب السلطان . وليس لاحد بكفهم يدان .

قال : وفي سنة ٥٣٥هـ خرج الكاثر الخطائى واستولى على ماوراء النهر . وكسر
السلطان سنجر اشد الكبرة ووقع عطاء مملكته في الاسر . وفي سنة ٥٣٨هـ
قتل السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملشكاه بأيدى الملاحدة بتبريز غيلة .
وعاش أيامه من شريد الدهر شريداً ولم يسترح ليلة . وكان قد زوجه
السلطان مسعود بنته وأقمته بتبريز ملازماً لبيته . قاعداً فوق تخته تحت بخته
ولما خانت في المبدأ السادة . وفنت له في الدابة الشهادة . وقيل ان الامير
زنكى بن آق سنقر وضع عليه من حشيشة الشام من تلك به . فأمن على بلاده
بسيبه . وذلك ان السلطان مسعود كان قد عول على ان يسير داود الى
الشام . ويحفظ به ثنور الاسلام . قزع زنكى وجزع . وسقط في يده من
حديث الحادث الذى وقع . وغذله الايد . ولكن نصره الكيد . ووصل
خبره الى بغداد فمتد له في دار الخلافة مجلس الزاء ثلثة أيام بحضور أرباب
المناصب . وعدت المصيبة بقتله من أجف المصائب

وفي سنة ٥٣٩هـ رحل السلطان مسعود الى اصفهان . وكانت دار السلطنة

قد تشعث فشد منها الاركان . وتغير رأيه في الوزير عز الملك البروجردى
 فزله . ولم يستبق العزلة واستصفى ماله . وشغل بوباله سردوباله . واستوزر
 مؤيد الدين المرزيان بن عبيد الله الاصفهانى ونقله الى الوزارة من الطغراء
 وكانت له زوجة من جواري مسعود تركية سليطة متسلطة . حاكمة عليه متبسة
 فتسلم عز الملك وسله اليها فختته . بعد ما عذبت وعلقته . فقتل . مثل القتلة
 التي قتل بها الكمال نائباً . وكل من كان حاسداً له على منصبه عاد شامتاً .
 وكان عز الملك البروجردى شيخاً بهيجاً بهياً قد جاوز الثمانين سنة ومع
 شيخوخته يقطر ماء النظارة من محياه . وكان في السعادة سعيدياً في محياه
 وكان في أيام وزارته مرهوب الفرار . مشبوب النار . وكان نائبه في الوزارة
 نجيب الدين عبد الجليل السهم المصيب . والشهم المهيّب . والسيف الذي
 يفري . ويقفل ويبري . ويفصل بيت الاصول ويستأصل البيوت .
 ويستزل من الجوامع المقاب ويستخرج من قعر البعر الحوت . وقد ضربوا
 على بشداد الضرائب . ومكسوا المكاسب

قال : وكان رضى الدين أبو سعد مستوفى السلطان . البعيد من الشين البديع
 الشأن . ممن ينشأ والدى بسبب خدمته لاخته العزيز في أيامه . وكان ربيب
 انامه . وكان من أوسع صدور ذلك العصر صدراً . وأقلهم شراً . وكان
 نائبه كمال الدين أبو الريان الاصفهانى من تلاميذ عمى العزيز وغلماؤه . ولم
 يكن أعرف منه بقانون الاستيفاء في زمانه . لكنه كان خالياً من الادب .
 طليامع نقصه في أكمل الرتب . وهو صورة بلا معنى . وحسن بلا حسنى .
 وبرق بلا وابل . وطول بلا طائل . وكان عز الملك الوزير مع جبهه
 وشدة بخله . ربما نسيت له ربح أربحية . وسنت بنشه روح

نحية . ومن جملة ذلك انه كان بالعراق عميداً رازي تولى سنة . واكتفى ثروة . واستغنى واستغنى . وجبا وجنى وخبي . فلما جاء السلطان قيل له « اعمل حسابك » فأحضر المشرف وكان يعرف بابن الحكيم من أهل بغداد وقال « أريد ان تدع المكر منك . وتدعو مكر منك . وتهتم بأمرى وتستأمر همتك . وتحسن الحسبة . وتحسب الحسنة . وتكف بكفايتك عنى الايدى والالسة » فقال المشرف « انا لا أجسر ان استر . ولكل ما اذكر لا بد ان اذكر . وعلى ان اخفى كثيراً مما خفى من الجنائيات والجيالات . والاجتذابات والجماليات . ولا بد ان اجمع ما أخذته من المرافق الوفرة . والقوائد الظاهرة » واتفقا على اسقاط مبالغ حتى تقرر ذكر خمسين الف دينار فبذل له الف دينار على انه يذكرها في الحشو ولا يبرزها لمل الوزير فينقل عنها . ولا يؤاخذ به بسببها . فأبى الا ايرادها . وتخفيضها بالذكر وافرادها .

قال : عماد الدين حدثني المشرف بن حكيم قال : دخلنا بالحساب الى الوزير عن الملك فأول ما وقت عينه في المجموع . على المبلغ المرفوع . فقال ما هذا فقل الرسوم التي اخذها . والمرافق التي اجتذبتها . فغضب عليه بقله وقال « كيف تجيزون ان تجتمعوا عليه ما ارتفق به من رسومه وخدمه . هذا بقى على الباب ستين يتدين ويتمون . فلما شفى ألم أمه . ورفع علم عمله . صار له معلوم . وحصلت له رسوم . فليس من المروءة ان نستعيدها وما فوض اليه الشغل الا ليستفيدها » قال : فخرجنا نسحب اذيالنا انا للخجل . والعديد للجدل . وقد رُذ الى المل . فأخذ يدي وناولني صرة فيها ستمائة دينار وقال « هذا ما جملته باسمك . وما ضربتى أمانتك . فاجر فيها على رسمك »

قال : ولما جلس مؤيد الدين المرزبان في الوزارة بدأت الامور في الاختلال . والعقود في الانحلال . وكان قد قنع من الوزارة باسمها . ومن المرتبة برسمها . وكان يروق الناس ببشر الحيا . ويروقه الانس بشرب الحيا لا ينافر الا الفواني ولا ينافث الا الاغاني . وكان وزراء الامراء قد غلبوا على امره . وبلغوا الى قدره . فآله قول مسوع . ولا طول متبوع . ولا هو مشكور ولا مشكوة . ولا غشي ولا مرجوة . وخاصبك بن بلنكره هو الامر الناهي . وهو داهية من الدواهي . وكان وزيره رئيس الدين ابو تلب بن حماد السهروردي السيق برأى الرياسة . اليبق برأى السياسة . قد استولى على الامر واحتوى . وتمكن من ورد الملك وارثوي . وكل أمر لا ينفذه لا ينفذ . وكل حق لا يؤخذ لا يؤخذ . وكان كصاحبه مسودا مسحوبا بالسعادة . ممدودا من المال والجاه بالزيادة

قال : وكانت قد تأكدت بين الامير عباس صاحب الري وبين الامير بوزابه صاحب فارس صداقة صادقة . ومودة أحوالها الموالي متناسقة . فطعما في المملكة وزعما ان البركة في الحركة وقال ان الفرصة خالية . والفرصة بادية . وهذا وقت الارتقاء الى العروة . والامتراء للدوة . فكتب بوزابه الى السلطان اني واصل الى خدمة السرير وخرج من شيراز بالملكين محمد وملكشاه ابني السلطان محمود بن ملكشاه وخرج عباس من الري بالملك سليمان أخي السلطان مسعود وكتب أيضا واتي واصل الى جنابك . للامانة ركابك « فحمل السلطان قولهما على الظاهر . وخاف ما خفي في الباطن من الباطل . وعرف ان أمره معها غير مستقيم . وانه ان رحلا اليه فهو مقيم . فكتب الى جاولي الجاندار يستدعيه فوجده متجنيا متجنبا بالقبض

على الوزير عز الملك من غير مشاورته . وقلة اكرائهم به وترك مراقبته في مصادرتة .

فلما شعر السلطان بتأخره - تشمر حذره وورى عن الهزيمة برحلة الشتاء الى بغداد . وحث السير بالاعذاد . ومعه من الاكابر عبدالرحمن بن ملطبارك وخاصبك بن بلنكرى ووصل بوزابه وعباس الى همدان على ظن انهما يجتمعان بالسلاطان . وهما مبديان للطاعة لخصيان المصيان . فاقاما بها شابين واتصل بهما الامير ناصر الدين خطبة البازدارى وكان ايثا خادرا . وقسورا قاسرا . وكتبوا الى الامير جاولى الجاندار بأذريجان وقالوا له انت الكبير . لك التدبير . ونحن اتباعك وأشياعك فان قدمت الينا . قدمت علينا . وكنت صاحب جيوش من ينتصب على سرير الملك . وانخرطنا معك طامعين في السلك « فرد جوابهم بمجمل واعاد رسولهم بتأميل . واشتغل بمحشد الجوع وجمع الحشود . وحشر الجنود ونشر البنود . واتصل به أتابك اياز وكان أتابك داود في حياته وهو مشكور الفناء في مقاماته . وعضده الامير شيرين آق سنقر فأظهر حيثئذ التهدة الى همدان . والنهضة الى الناهضين المتسلطين على السلطان . فوجد الطريق مسدودة بالثلوج . فأقام بمسكره مجمعا . ولانهموض عند انحسار الثلوج مزعما . وتطارت كتبه الى بغداد لاستدعاء السلطان اليه . واستقدمه عليه . والبهلطان في بغداد ساه بسره . لاهلوه . زاه بزوه . فلما نفيه من وسنه . ندم على خلع رسنه . ورجع من الحزم الى سنه . ولهى نداء جاولى واجاب دعوته . وعزم على الرحيل اليه وسار على الدربند القراالى الى المراغة في أوعر طريق . وأعسر مضيق . حتى اتصل بالامير جاولى فكشف من العدد الجمع . وكثر من العدد الاعم .

واعجب السلطان الحال وحل به المجب . وانقلب الى القوة وقوى منه القلب .
 فحسدت الجماعة جاولى وغبطوه . وتحيلوا فى أن يقبضوا عليه ويربطوه . فان
 ابن طغيارك مع مصاهرته له كان بامكانه متبرما . وكذلك خاصبك كان
 من استيلائه متوهما . فاجمع الامراء واحتالوا لاغتياله فى سرادق السلطان
 فاطلع على السر ووقع على مكر المكر . فاحتز منهم وتقبض عنهم واراد
 أن يبطش بهم كما أرادوا البطش به . ثم جرى فى الحلم والكرم على حسب
 مذهبه وقال للسلطان « أنا على مناصحتك . وفى منى صحتك . ولا يجهمنى وإياك
 بمد هذا ناد . ولا يسمع تليق فى مناد » فما اجتمع السلطان وجاولى بعد
 ذلك الا راكبين . منفردين عن السكر متجائنين . وقال للسلطان « ان اردت
 تدانى ابنى . فتباعد عنى ودعنى انقض بساكري الى اعدائك واذا كرم
 بحقوق نعمائك فان أتوا قبلتهم . وان أبواققتهم . وان اتبعوا سررتهم . وان ساروا
 تبعهم » فاعتذر اليه السلطان واستماله . واستغناه من ذكر ماجرى واستقاله .
 وحكمه فى الحل والعقد والاقطاع . وامر الجند والامراء بالايثار لامره
 وسر بسرور سره . وشرع جاولى فى مكتبة الملك سليمان وخدعه . وردده عن
 المقام مع القوم وردعه . وتوثق له من السلطان بيمين . وسير نسخة امان له
 مع أمين . قهارتهم . وانفصل وانفصم عنهم . ووصل أيضا خوارزمشاه يوسف
 واخوه . فاندمهما لاتوجه الاعيان والوجوه . ولما عرف بوزابه وعباس تندر
 ما حاولاه . وتسمر مازاولاه . وتفرق الجند الذى جماء . تقارقا على مواعدة فى
 معاودة الجمع . وودعا على مواعدة . وودعة للطاعة والسمع . وعزم كلاهما على
 الرجوع الى بلده بنية الرجوع . والقروب فى أفته على استئناف الطلوع
 وكان السلطان عند اتصال أخيه سليمان بجانبه . واستظهاره بكنائبه .

علم ان بوزابه وعباسا يفترقان . وانهما يمدان بائهما يودان . فرحل بالمسكر الى مدينة سجاس مع جاولى على عزيزة الاسراع والاتباع . والسلطان وخواسه على حالة من الارتياح والارتياح . فقال لجاولى « انقض انت وراء بوزابه فالمسكر والشوكة معه . والرأى مسيرى الى الرأى لالتقى عباسا واقمه » فضى جاولى الى همدان وعمد مسعود نحو الرأى . فحصل من وردها بالرائى وغنى بالسعادة عن استعمال المشرقى والسهمى . وقبض سليمان شاه اخاه وحبيه فى قلعة سرجهان . وتلقى ماصعب بالاحتمال والاحتماء فهان

ولما علم بوزابه ان جاولى جاء . ولّى وخلى همدان وترك أثقاله وخزائنه بها وسار فسار جاولى وراءه جريدة . وقطع حتى وصل الى القرب مراحل بميدة . فلما دنا منه ابدي البقاء عليه . واسدى الحسنى اليه . وقال « اتخذ اليوم عنده يدا . لينجذنى عند الحاجة غداً . فهذا السلطان غير . وثوق بمواثيقه ولا . وفق فى تسليله وتفويقه » وذكر غدره باخيه سليمان شاه فكتب الى بوزابه وهو على حد الهزيمة كتابا مضنونه « انى مصدقك ومصدقك . ووافقك لا مفارقك . وخاطب حبك . وطالب ودك . وقد صرت من حزبك . وما سرت لحربك . »

وفاعتمد بوزابه على قوله واعتد بطوله . وملاً ايدى الرسل بالايادى ارسالاً . وقال حسنا وحسن مقالا . وأعاد ما كتب بما كتب الاعادى . وذكر « انى اجبت الداعى وليت المنادى . ولم يبق الآن الا التماهد على الجدة . والتساعده على المهدة . وعلامة صدقك فى صداقتك انى خلفت خزاتى ثلاثين وقرا من المال الصامت بهمدان فى دار الاثير أبى عيسى فان رأيت ان تأخذها فخذها . وان سمحت بآفاذها فآفأها . اتعلم انى مستوثق منك بشفيق

مسترفق لشقيق « فعاد جاولى الى همدان وتسلم من الاثير ابى عيسى المال . وسير على جماله تلك الاحمال . وندب معها مائة فارس من عسكره الى اصفهان وكتب الى الامير غلبك واليهما أن يقيم لحفظها الى فرسانه الفرسات . فلما وصلت خزانة بوزابه اليه عقد على الود الخنصر . وزكى فى الوفاء والوفاق منه المنصر . وتماقدا على المعاهدة . وتماهدا على المعاودة . وابن بوزابه يأتى بالملك محمد بن محمود متى أراد . وان يجملاهما الجمع والاحتشاد . وعاد كل واحد منهما الى مركزه . واحتفى على السلطان بتغزوه . وتأكدت بين جاولى وبين السلدان الوحشة . ودبت الى أعضاء المملكة بسبب فتور اعضاها الرعشة . واعتلت القناذ . وانحلت المعاهد . ولما تمادي الامر . تبدى السر ووقع الشر . فانفذ جاولى الامير تبار الى بوزابه بفارس يستنجزه الوعد . ويستنجع منه القصد . وأقام بميانج ومعه جميع أكابر الامراء والرسل نترى منهم الى الامير تبار لاستحثاث بوزابه بالاستدعاء

وأقام جاولى مدة ينتظر . وفى تدير الملك يفكر . فكان من قضاء الله ما لم يكن فى حسابه . ودنا الاجل الذى فى كتابه . وكان نخر الدين بن طغايبرك لما عرف توجه الامير تبار الى فارس لاستنهاض بوزابه شخص اليه بنفسه من جانب السلطان ليصده عن الورد . ويرده عن الصدود . وتمادى على جاولى المقام له بظاهر ميانج واجتمعت عليه المساكر العظام . وازدحف الافيف والتف الزحام . وكان فى اثني عشر ألف دارع وكانت معه عساكر ارانية وأرمينية نفيم على زنجان . وحتم على نزم همدان . وكان يدايده . زمام الزمان . وهو أصم عن حديث الحدثان . وكان قد اقتصد . لئير مرض عرض . ثم تصرف على عادته بيده فبسط وقبض . ونزع فى قس فتألم عرقه

فتألم عرقه وتورم . ودجا أفقه وأظلم . وكان سرّيان الورم من شرياته .
وصعد فيه الدم بعد جريانه . وتجاوز من عرقه الى حلته وصدره .
وانتقل الى بطن الثرى من ظهره . وكانت وفاته بزنجان في جمادى
الاولى سنة ٥٤١ هـ وفي ذلك يقول زين الدين المظفر بن سيدى الزنجاني
من قصيدة

عشرون الف مهند قد أصلت فلت مضاربها نكايه مبضع
وقيل ان في الليلة التي توفى فيها جاولى جنّدار قتل زنكي بن آق سنقر
بالشام . وكان كلاهما قطباً يدور عليه فلك الاسلام
قال : والصحيح ان زنكي بن آق سنقر قتل في شهر ربيع الآخر من
السنة على قلعة جمبر قبل . وت جاولى بإيام . ولكن تداني موتها . وتنادى
فوتها . ومن قبلها كانت وفاة سعد الدولة يرتقش ووفاة قزل أمير آخر
وكان قد قتل من قبل ناصر الدين قتلغ ابه البازدارى فتقاربت منايام .
وتبدلت تقوّد بنسايام . وصاروا أسمارا . وعادوا اخبارا . ولما اخترم جاولى
انحلت تلك المواقّد . واختلت تلك القواعد . وتفرق ذلك الجمع . وتشوش
ذلك الوضع . وعاد كل طائر الى وكره . وكل صاح الى سكره . وآمن
السلطان من أمّله . وأقبل اليه من قبله . وعاد الامير تبار الى السلطان ابو زابه
متوسّطاً . ولتمكينه مشرطاً . وكان ذلك برأى الامير الحاجب الكبير نغر الدين
عبد الرحمن بن طغايك وعملت سعادة السلطان عمله . وقدر الله له ما لم يجر
بخطره أمّله

قال : وحيث أجرينا ذكر زنكي بن آق سنقر ومثله بالشام في التاريخ

الذى توفى فيه جاولى جاندار بزنجان فانا نذكر جملة من أوردته الى ان قضى
الله عليه بمقدوره

ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده

قال : كان جباراً عسوقاً . بنكباء النكبات عسوقاً . نمرى الخلق .
أسدى الحق . لا ينكر العنت . ولا يعرف العرف . قد استولى على الشام
من سنة ٥٢٢ الى ان قتل في سنة ٥٤١ وهو مرهوب لسطوه . مخفوف لجفوه .
مادعات . حنف عداة ورعاة . لكنما ختم الله له في آخر عمره بالسعادة
وبالشهادة . ووقفه للجهاد الذى هو أفضل أركان العبادة . وهو الذى فتح الرها
عنوة . واحتل بها من السعادة ذروة . وذلك يوم السبت السادس والعشرين
من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ فتسنى بفتح الرها للمسلمين . جوس بلاد
جوسلين . وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد زنكي نور الدين وصارت
عقود الفرنج من ذلك الحين تنسخ . وأمورها تنسخ . ومعاقبها تفرع .
وعقائلها تفرع . ثم ان زنكي بعد فتح الرها نزل على حصن البيرة وهى على
الفرات . وهو مشحون بالفرنج المتاة . فجاء الخبر بان نائبه بالموصل وهو نصير
الدين جنر قتل . فترك الحصار وارتحل .

ذكر مقتل جعفر نائب زنكي بالموصل

قال : كان مع زنكي ملكان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه أحدهما يسمى الب أرسلان وهو في مقتل من معاقل سنجار . والآخر يسمى فرخ خشاه ويعرف بالملك الخفاجي وهو بالموصل . وكان هذا الملك مسلماً إلى الأمير ديبس بن صدقة فانتزعه منه زنكي في حرب . وأُتزل من أكرامه في منزل رجب . وكانت الخاتون السكمانية زوجة زنكي تربيته وتربيته . وتجرى به في حلبة تجريبه وتجريبه . حتى بلغ وأدرك . وساكن فطنته تحرك . وفهده المرأة غير مرة وأهدته . وعاهدته على الوفاق وعلى الوفاء عهدته . وتأسد الشبل وضاق به عرينه . وشيخ عرينه . وكان نصير الدين جعفر نائب زنكي بالموصل للدماء سفاكا . وبالفوس فتاكاً . يأخذ البرى بالسقيم . ويلحق الولود بالقيم . وقيل إنه لما أحكم سور الموصل . واحترز بالخفظة . منه على المخرج والمدخل . وأعجبه كمال أحكامه . وملاك أحكامه . ناداه مجنون نداء عاقل وقال (هل تقدر أن تبني على الموصل سوراً يسد طريق القضاء النازل) فدار المنجنون بتصديق ما قال المجنون فإنه لما أحس من الملك نحس الملك صار يقبض عنانه . ويبسط فيه لسانه . ويقول (إن عقل والاعقلته وان تقل طبعه والاعتقلته) فسمع الملك ما راعه . وأسرعه في نفسه وما أذاعه . فتقدر ودبر . وفكر ومكر . وجمع إليه من حوله . وقال لهم فكنتوا قوله . واتفقوا على أنه إذا جاء إلى سلام خاتون أو سلامه . أحيط به من خلقه ومن قدامه . فإذا أصابوا منه المقتل . ملكوا الموصل .

فركب نصير الدين بكرة على عادته . وهو يزعم ان ادارة الفلك بارادته .
واخترق المدينة ووصل الى الدار التي فيها الملك للتسليم فلكت حشاشته
حاشية الملك . وقطعت سلك حياته في طريق الدهليز المنسلك . ومزقوه
بسيوفهم ومزقوه . وضربوه بسكاكينهم وبضموه . ونادوا بشعار الملك
واركبه . وذلك في أواخر سنة ٥٣٩ هـ وتشوش البلد وخاف أهله المأقبة .
وحذروا من زكي سطواته المأقبة . فخرج القاضي تاج الدين يحيى بن عبد
الله الشهرزورى وجاء الى الملك وهناك . وسجل له الصعب مما جناه . وقال
له « نحن قدامك . وقد صرنا بمالكك » وخدامك . فسر في المدينة واسلكها .
وادخل القلعة واملكها » فركن الى قوله . وسكن بحوله . واحدق به الجند
كانهم في خدمته . وصوبوا له سداد عزيمته . حتى صعد الى القلعة فأجلسوه
في المركز . وأحاطوا به احاطة الدائرة بالمركز . والتفتوا بماليك من حواليه
وأفردوه واحتاطوا عليه . ولم ير له بعد ذلك أثر . ولم يسمع له خبر . ولا شك
انه بعد ما احتيل عليه اغتيل . وبعد ما استنزل أنزل

وولى زكي الموصل بعد جفر زين الدين على بن بكتكين المعروف بعلی
كوجك فنظم السلك ونهج المسلك . وتلافى واستدرك . ووصل زكي بعد
ذلك الى الموصل فاستعفى أموال جفر واستخرج ذخائره . واستغظف أوله
وآخره . وصادر أهله واقاربه . وأحل بنوابه نوابه . وسلبهم القوة والقوت .
ونوع عليهم جورهم المقتوت . ثم عطف زكي على الملك الآخر الب ارسلان
فاستخرجه من معقله . وعنى بتفاصيل امره وجملة . وضرب له نوبية ونوبا .
ورتب له في حالتي جلوسه وركوبه رتبا . واغرى بتولى اكرامه وتوخي .
وغرضه خفاء ماجرى من هلاك اخيه . وقصد حصار قلعة جبر وصاحبها

عز الدين على بن مالك بن سالم بن مالك ونازلها . وقابلها وقتلتها . وأحاط بسورها
 المصوم احاطة السوار بالمصم . وربض على ربضها في مجثم الخيم . ولج في
 الحصار وهو مستظهر بالانصار . مستنصر بالاستظهار . ومتكثر بالاستعداد
 ممتد بالاستكثار . منور بالدهر . مسرور بالقهر . يظن ان القضاء بحكمه .
 وان القدر خصم خصمه . وأهل الحصن قد اشفوا منه على الدامخ الدامر .
 وقد بلوا من وبل وباله بالهامل الهامر . فأقام القرح من حيث لم يحتسبوا .
 ووافاهم القرح من حيث لم يكتسبوا

وذلك ان زنكيا كان اذا نام ينام حول سريره عدة من خدامه .
 يشفقون عليه في حالتي يقظته ومنامه . يذودون عنه ذود الآساد في ملامحه
 ويوزونونه زور الخيال في احلامه . وم من الصباح الروق . في حسن الصباح
 لدى الشروق . وهو يحبهم ويحببهم . ولكنه مع الوفاء منهم ينفوهم . وم ابناء
 الفحول القروم . من الترك والارمن والروم . وكان من دأبه انه اذا قم على
 كبير ارداد واقعاء . واستبقى ولده عنده وخصاه . واذا استحسن غلاما
 استدام مروديته بالخصى والسُل . وفاجأه ووجأه بقطع النسل . فهم على
 انهم من ذوى الاختصاص . يتهزون فيه فرصة الاقتصاص . فنام تلك الليلة
 اليهم مستنجا . وللوثوق بهم مستديما . وهو صريع الراح . نزيل الاقداح
 فقلبه لغاسه وملكه رقاده . وحوله بماليكه مُرَّده ومرَّاده . فاقبته وم قد
 شرعوا في اللعب . وأخذوا في الشرب والطرب . فزبرم وزجرم . ومنمه
 السكر من الكلام حين أبصرم . فحرك رأسه يتوعدم . وهينم بلسانه
 يتهددم . ولم يذر ان تحريكه للرأس سبب قطمه . وان نزوله على القلعة بالنازلة
 خاتمة قلعه . فتولى كبيرم الامر والباقون ساكنون . وتحرك ورققاؤه

ساكنون . وكان اسمه يرتقى نجف اليه . وبرك عليه . وفرشه على فراشه
وغشيه في غشاشه . وذبحه في نومه . ولم يفتنه ذنب قومه . وخرج ومعه
خاتمه . وهو لا يرتاب به لانه خاص زنى وخادمه . وركب فرص النوبة
موها انه في مهم . وقد نذب لكشف . لم . وأهل القلعة في أضيق شدة
وأشد ضيق . وكلهم لباس المطيف بهم غير مطيق . حتى أنهم الخادم فتحدث
بما احدث . فأشاعوا قتل زنى من القلعة . وارتاع الناس لما هالهم من
الروعة . وركبوا ولبسوا السلاح . وركبوا تلك الليلة لاسرهم الى الصباح .
وزحف بعضهم الى خيمة جمال الدين محمد بن علي بن ابي منصور فرمى بالنشاب
وحصل من امره في الاضطراب . فقصده من حماه من الامراء .
وشاركة في تصويب الاراء . واتفقوا على ان يبادر نور الدين محمود بن
زنى الى الشام . للحوطة على ثور الاسلام . فسار معه أولياؤه . وكبراء
الشام وأسرأؤه . وكبيرم صلاح الدين محمد الينبائى وسار معه أسد الدين
شيركوه . وانحازت اليه الاعيان والوجوه . فملك حلب . وبلغ المراد وغلب .
وافترض الفتوحات الابكار . واستخلص من الكفار الديار

وأما الوزير جمال الدين محمد بن علي بن ابي منصور فانه لما بعد عنه
من كان يحذره . وعرف الامر بمن كان ينكره . ضم العسكر واستمال
الملك الب ارسلان وأطمعه في المملكة . وحثه على الحركة . وكاتب زين الدين
على كوجك بالموصل على ان يستدعى سيف الدين غازيا اكبر أولاد زنى
وكان لا يفارق خدمة السلطان . مسعود بأمر والده . امنا به من غوائل القصد
ومكايده . فكتبوا اليه بالواقعة . وشاروا عليه بالمسارعة . فاتفق وصول
الخبر اليه بشهرزور . وقد انفصل عن السلطان بدستور . فأغذ السير

واستعجل الخبر وسبق الى الموصل قبل وصول الجماعة . ولما عرف جمال الدين بوصوله سبق أيضا الى الموصل وبقى الملك منفردا فاستوحش . وتشور في رأيه وتشوش . وركب صوب الجزيرة مفارقا . والى حلبة النجاة مسابقا فسيروا وراءه من وثق بتوفير أمانته أمانه . وخيلوا له ان قد عاد انقوم غلمانه . وان غازيا اذا كنت معه اخذ البلاد باسمك . وجعل الممالك برسلك . وما زالوا يحدثونه بالخنز والخل . الى قلت القتل . فانه عاد معهم ودخل الموصل في استقبال ونشار . واعظام واكبار . حتى دخل الدار . وخال الاستقرار . فما أجلسوه . حتى اختلسوه . وما رسموه . حتى رسموه . وكتبوا أمره . وختوا عمره . وجرى بين جمال الدين الوزير وبين زين الدين على كوجك وسيف الدين غازي التماقد . على التماضد . والتماهد . على التساعد . وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولى . وكان باسترعاء . ما أولاه الله من نعمه أولى . وانه عاش بندااء الجود . وعشا الى نادية الوفود . وعادت به الموصل قبلة الاقبال . وكعبة الآمال . فانارت مطالع سموه . وسارت في الآفاق صنائع جوده . وعمر الحرمين الشريفين وشمل بالبر أهلها . وجمع بالامن شملها .



— ذكر حال جمال الدين الجواد أبي جعفر محمد بن علي —

هو ابن أبي منصور

قال رحمه الله : كان والده من أصفهان الكامل علي وهو حاجب الوزير
شمس الملك بن نظام الملك وكان أبوه أبو منصور فهادا في عهد السلطان
ملكشاه بن الب ارسلان وابنه الكامل نجيب . أديب لبيب . وزادت أيامه
في السمو . وأيامته في النبو . حتى تنافس في استخدامه الملوك والوزراء
واستضاءت برأيه في الحوادث الاراء . وكان قد زوج بنتا له ببعض أولاده
أخوال المبرز فاشتغل لذلك للعزير رحمه الله علي ولده جمال الدين أبي
جعفر محمد وخرجه في الادب . ودرجه في الرب . فاول مارتبه في ديوان
المرض السلطاني المهودى محلياً . فبرز في تلك الحلبة سابقاً ومجلياً . وغلب
في تحليته ذكر الابلج . فتمته الاتراك بالابلج . واستقام في نجابته علي
المنهج . واتفق انه لما تولى زنكي بن آق سنقر الشام تزوج بامرأة الامير
الاسفهلار كُندُ غنى وولدها خاصبك بن كند غنى من أمراء الدولة
وأبناء الملكة . وهو يسير معها فرتبه الوزير جمال الدين لخاصبك وزيراً
فسار في الصبغة وكان مقبل الوجاهة . مقبول القكاهة . شهي الهشاشة . بهي
البشاشة . فتوفرت مني زنكي علي منادمته . وقصر صباهه ومساءه علي مساهمته .
وعول عليه في آجر عمره في اشراف ديوانه . وزاد المال وزان الحال بتكينه
ومكانه . فلم يظهر من جمال الدين في زمان زنكي جوده . ولا عرف له . وجود

فانه كان يقتنع بأقواته . و تزجية أوقاته . ويرفع جميع ما يحصل له الى خزانه
 زنيكي استبقاء لجاهه . واستلاء به على اشيائه . فكفنه زنيكي من أصحاب
 ديوانه . ففهم من استغفر باسائه ومنهم من انشع باسائه . ولما قتل زنيكي
 صار للدولة الآتاكية ملاذا . ولليت الاقستري . ماذا . واستوزره الامير
 غازي بن زنيكي وآزره على كوجبك على وزارته . وحلف له على مظاهرتة
 ومضافرتة . فأجبرى بحر السباح . ونادى حتى على القلاح . فصاحت بافضاله
 ألتاظ الفصاح . وأتوا اليه من كل فج عميق . وقصد من كل بلد سحيق .
 وقصد العظماء . ومدحه الشعراء . ومن وفد اليه ومدحه أبو التوارس
 سعد بن محمد بن الصفي المعروف بحيص بيص . قال : وأنشدني لنفسه من
 قصيدة أولها

يال الصوارم والرياح الذئبل نصراً ومن أنجده تالم يخذل
 لو شت ما ومشية بمشية جاد الزمان وبالعلي لم يخل
 أنا فارس اليومين يوم مقالة ووغى أصول بعاري وبمقولي
 ومنها يصف بناءه لسور المدينة وعمارة قبر

وتمر عين محمد بمحمد محي دريسى عليه والمنزل
 بهار مرقدته وحافظ دينه ومعين أمته بجود مسبل
 خرق يباط قيعه وردائه بباب زخار وهضبة يذبل

قال : وكنت أنا في ذلك العهد ببنداد متفقاً واتفق حضوري بالموصل

في ذي القعدة سنة ٤٤٧ هـ فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جنتين .
 وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسئلتين . ومما مدحته به من قصيدة أولها
 وذلك من أول نظمي

أظنهم وقد عزوا ارتحالا شوأنا جبالا لا جبالا
 سروا والصبح مبيض المواشي فلما حال عهد الوصل حالا
 أخلائي وهل في الناس خل به أخل من الأشجان بالا
 لئن لم أشف صدري من حسودي ولم أذق المدى داء عضالا
 فلا أدركت من أدبي مرانا ولا صادفت من حسبي منالا
 ولا وخذت اليكم بي جمال ولا واليت مولانا الجمالا
 وقائلة أفي الدنيا كريم سواء فقلت لا وأبي الملا
 قال : ولم يقنع بما جاد به لوفود . حتى زم الى البلاد وكائب الجود .
 فجعل لكل بلدة من بلاد الاسلام من واهبه راتباً . وأصبح جوده في الآفاق
 الى المقيمين - اثرأ وللطالبيين مطالباً .

عاد الحديث الى ذكر ما جرى للسلطان مسعود

ابن محمد بن ملكشاه بعد موت جاولي في سنة ٥٤١ هـ

قال رحمه الله : ولما توفي جاولي جانداز طمع الامير الحاجب الكبير
 نغر الدين عبد الرحمن بن طغايك في تولي بلاد ارانية وأرمينية وعرف انه
 لا يتمشى له ذلك مع تسلط خاصبك بن بلنكري فتوسل في استمالة الامير
 بوزابه صاحب فارس الى السلطان ليتم له مراده بتوسطه وأرسل الي الامير
 الحاجب تبار وهو عند الامير بوزابه ان هذا أوان قدومه . وزمان هجومه .

فقدم المعسكر السلطاني في عسكر خنم . ومقدم نخم . واتصل به الأمير عباس صاحب الري في عدة وعديد . وبأس شديد . واتفق هؤلاء الثلاثة ابن طغيارك وبوزابه وعباس على تدير الدولة وتقرير قوانينها . وترتيب دواوينها . وكف عادية المتسلطين عنها . وتوفير حظوظهم بالاستقلال بها . فأحوجت السلطان الضرورة الى النزول على حكمهم . ورأى السلامة في سلمهم . وأقسم على رضائهم ورضى بقسمهم . فأول ما فعلوا انهم عزلوا وزيره . ونقلوا الى الوزير الذي ولوه تديره .

ذكر وزارة تاج الدين ابن دارست فارسى

قال : كان ابن دارست وزير بوزابه صاحب فارس فرتبته في وزارة السلطان ليصدر الامور على مراده . ويورد على وفق ايراده . وكان هذا الوزير رفيع القدر . وسيع الصدر . محبا للخير مبغضاً للشر فافضل امرآينهم عليه . ولا احوال حالاً يتوجه لاجلها الالائمة عليه . ونائبه أمين الدين أبو الحسن الكازروني ذو الدين المتين . والحلم الرزين . والاستهتار باعمال الشر . والاشتهار بافعال الخير . وتولى ديوان الررض والد الوزير عضد الدين وهو جميل بمجل لمذهبه . مهذب مذهب لمنصبه . وأقروا ولاية آذربيجان وارانية جميعها على بن طغيارك عبد الرحمن . وقرروا ابعاد خاصيك بن بلنكرى عن السلطان . فسار في خدمة ابن طغيارك أميراً . وصحبه في مضمار الخلاء ولم يخلص في صحبته ضميراً .

وتقرر ان يكون احد الثلاثة بالنوبة ملازما لخدمة السلطان حتى يسلم لهم جانبه .
وتؤمن نوابه . وانفصل الامير بوزابه الى بلاد فارس ورحل السلطان الى
بنداد ومعه الامير عباس صاحب الري في شركة مائنة . وهيئة رائمة

قال : ولما قدموا ببنداد في خريف هذه السنة خرجت مع الفقهاء لتلقيهم
والناس مشتعلون على تخوفهم منهم وتوقيهم . فلما حلوا ببنداد نزلوا دورها
وسكنوا للتخريب معهورها . وألهبوا الكروب . وأرهبوا القلوب . وكانت
هذه عادتهم اذا وصلوا . وعاديتهم اذا نزلوا . فتمكن الارك لا يتركون
ممكنا من الجمل . وعذرم ان الظلم من المدل . ولكن الوزير نزل في دار
الوزارة بالاجمة . متوخياث المكرمة . وأمر بتجديد عمارة المدرسة التاجية
التي بناها خاله الوزير تاج الملك أبو التناثم بن دارست ببنداد وأوطنها شيخنا
شرف الدين يوسف الدمشقي فاحيي دريسها بدروسه . واشرق افقها بنجوم
العلم وشموسه . ورتب الوزير في داره مجالس للختات . وحضور أئمة الفرق
وفقائها للمناظرات . ولم يعارض السلطان في شيء من أوامره وأمره .
وابتسمت الدولة بأسفاره وسفوره . لكنه مع تقاصر مدته ما أسر ولا أحلى .
ولا شغل ولا اخل . ولا عزل ولا ولي . كل ذلك طلبا للسلامة . واستقاء
لماء الاسنةامة . وعلم بوخم العاقبة . وألم المعاقبة . فلا جرم نوفرت الدواعي
على حبه . وفرت الموادي من حربه وحزبه

قال : وفي هذه السنة قدم الامير العالم قطب الدين أبو منصور المظفر
ابن اردشير العبادي الواعظ فاعجز بالفصاحة وأعجب بشرق بأنوار البلاغة
وغرب . وأنا اذكر وقد حضرت مجلسه وقد وضع له منبر على شاطئ
دجلة والسلطان مطلق عليه من أعلى مكان والامير عباس صاحب الري جالس

في شفاعته بدجلة بحيث يسمه . والمبادئ يفتن الناس بما يديه من سحره
ويبدعه . وحضرت مدة مقامى ببنداد جميع مجالسه أكتفها من لفظه .
وأقبل عليه الامام المقتنى وقبلة . ورفقه وبجمله . وأمره بالجلوس في جامع
القصر في موضع يقرب من منظرة . ليجلس حيث لا يراه وهو بحضرته .
وانبث بدائنه وبدائمه . واشترقت بنجح مطالبه مطالمة .

ذكر ما جرى من الحوادث التي انحلت بها تلك العقود

و اختلت تلك العقود

قال رحمه الله : وصل الخبر بقتل الامير عبد الرحمن بن طغيارك بأراية
وكان من قدر الله سبحانه انه استصحب معه خاصبك بلنكري ليبيده عن
الخدمة السلطانية غير مكترث به وكان مع خاصبك امر من السلطان سرأفي
الفتك به ان خلت عرصة . أو أمكنت فرصة . فركب ابن طغيارك يوماً
لنجهز المساكر الى غزاة الكرج ووقف منفرداً في ذلك المرج . وهو
يسير أميراً آميراً . ولا يمكن من المقام كبيراً ولا صغيراً . وابن بلنكري
واقف لا يريم . وهو لبرق مايشيه من عارض النعمديشيم . ومعه الامير
زنكي الجاندار فتقدم وأقدم وضرب رأس ابن طغيارك بسوط حديد شدخه
وفشخه . واستصرخ بأعوانه فقدم مصرخه . وضرب بعد ذلك بالسيوف .
وتفرقت عنه جموع تلك الصنفوف . وتقلب ابن بلنكري على اراية فأحسن

الى الدين ساعده . وعقد حبي الحب لهم حين عاقده . وامتد الى أردبيل محاصرا وبها الاءير آق ارسلان وأخرجه منها بالامان . ثم اشتغل بمحاصرة مراغة لينال منها ما راغ . وحصرها طويلا ولم يجد فيها المساغ . ولما نهي الى السلطان ببغداد خبر قتل ابن شاهيارك أخضر الاءير عباسا في داره ليخلو به ويستشيره فلما خلا به أمر بضرب رقبتة . ورعى جثته . وذلك بكرة خميس من ذى القعدة سنة ٨٤١هـ فركب عسكر عباس يقدهم الاءير آق سنقر القيروز كوهي وشقوا مدينة بغداد وساروا . ونهض الاءيرباش لنهب دار الوزير وثاروا . فأركب السلطان جماعة منعوا من الوصول الى داره . وبقي وقرا مؤفرا على حرمة وقراره ثم أذن له في الانصراف الى فارس مصحوبا بالصيانة مصوناً بالعجبة . مراتب الاحوال حالى الرتبة . فجاء اليه وودع ودعا . ورعى له السلطان حق مارعى وتلا (وأن ايس للانسان الا ماسى)



ذكر وزارة شمس الدين بن النجيب الاصم الدرگزى



قال : وحفظ السلطان حرمة الوزير تاج الدين فلم يتم شمس الدين الوزير بوزارته . حتى انصرف الوزير بجاهه وماله وحرمته . وحشمته ونعمته . ولم ير وزير للسلاجية صرف ولم ينكب في نفسه أو في ماله سواء ولانه كان يرجونه استماله الامير بوزابه وتحصيل رضاه . فانه لم يشك في حركته . والابتلاء بمركته . فضمن له تاج الدين بن دارست ان يكفيه أمره

ويكف شره . وكان هذا من دهائه لينجو من الداهية . ويستفيد الاحكام
 اقواعده الواهية . فرحل فرحاً لسلامة . ظاعناً من وطنه الى دار المقامة .
 فاستقل بالوزارة حيث سد شمس الدين أبو النجيب وكان من قبل يخدم ابن
 بلنكرى فلما سار أقام يخدم الامير الخاحب تار . مستديماً لود مخدومه
 الانتظار . فرغب السلطان فيه لاجل اختصاصه بخاصبك ولم يكن فيه من
 أدوات الوزارة الا كونه لا تقوم الدركزنى نسيا . فجاز من منصبه نصيبا .
 وكان بزماته شبيهاً . وفي مكانه نيبا . لا شأ بالقوم . ووافقاً لاسوم . يطلب
 مرافقتهم في مرافقتهم . والتخلق بخلائقهم . والاطان لاه باللامى . متناه
 في النماى . لا يسأل عما يفعل ولا يفعل . لا يسأل . ولا يقبل ما يقال
 ولا يقول . لا يقبل . وعن السلطان ان يحرك ساكن الموصل بأبداء
 عزمه اليها . واظهار عوجه عليها فبادر متولوها بحمول . وتحف
 وهدايا وخيول . فقبلها منهم . ورضى عنهم . وأقام ببغداد باقى تلك
 الشتوة فلما رحل ضيف الشتاء حل السلطان حبة مقامه . وأمر خبر خروج
 بوزابه صاحب فارس ما أحلاه من أحلامه . تخفقت القلوب والبنود . وقلقت
 الجنوب والجنود . ثم اغذ السلطان مسعود الى همدان سيره ليسبقه اليها
 قبل اطلاله عليها . فانها مقام ملكه . ونظام سلكه . وطير الكتب الى خاصبك
 ابن بلنكرى وهو على حصار مراغة ليقدّم تلك الماكر . ويقدم اقدم
 الليث الحادر

وأما بوزابه فانه لما نى اليه عباس وعبد الرحمن قامت قيامته . وغامت
 غمامته . وكدر عيشه . وكثر طيشه . وجاش جاشه وحيشه . ونهد بالملكين
 محمد وملكشاه ابنى محمود وأقبل بهما كالنيرين . من جبرهما فى فلكين . فلما

قرب من اصفهان تلقاه صدر الدين ابن الخجندی وفتح له أبوابها . وحمل على الاصحاب له أصحابها . فدخل دار مملكتها . ومقر سلطنتها . وأجلس الملكين على السرير الاب ارسلاني . والتخت الحسرواني . ثم خرج بهما على سمت همدان وهو لا يشك انه اذا بلغ غلب . واذا بسلب سلب . فوصل الى مرج قراتكين وهي من همدان على مرحلة واتصل به ابن عباس صاحب الري فلما عرف السلطان مسعود قربه . حزب حزبه . وقوى قلبه . وطير الى ابن بنكري كتبه . وضيق في التأخير عذره ووسع عتبه . فوصل وقد حم اللقاء . وحق البلاء . فقوى السلطان وسلطت قوته . واحتب بالشدة واشتدت حبوته . ولما تقارب الفريقان . بانا اليهما يعبيان . وبحرهما يرب . وجرهما يشب . وريحهما تهب . فلما بدا الصباح خلف من العجاج الليل ليل . وانجر على الجرة من مجرى المجرين ذيل . وطما بما سل من الجفون سيل . وطلع في كل أفق من لمع اليماني سهيل . والتقى الصفان . وتلاطم البحران . وصال المديد على المديد . وصل الحديد في الحديد . وكادت الكسرة تصح على مسعود . وبقي قلبه ثابتاً بين طارد وطارود . وبوزابه قد تهور وتهجم وحمل على القاب ليقبله بمحلمته . ويميز تفصيله بمحلمته . فكبا به القرس قرس . واختلسه القدر فقدر عليه واختلس . وحمل الى السلطان أسيراً . فغاطبه وعابه كثيراً . فلم يَبْسُ بنت شفة وأراد السلطان البقاء عليه لشهامته . فأبى ابن بلنكري الافش هامة . فأمر السلطان بالاضراب عن رقبته . وضرب رقبته . وأمر بحمل رأسه الي المراق . وأن يعطاف به في جميع الآفاق . وانجلى الفبار عن ابن عباس قتيلا . وانهزم عسكر فارس والمكان موليان لايوليان . وموليان لاييان . وجلس مسعود للفناء وخمس خاصبك بالاصطناع

والاصطفاة . وعظه على الامراء . وأمره على الدعاة . وذلك في سنة ٥٤٢ هـ

— — — — —

— ذكر ماجرى باصفهان من الفتنة بعد مصرع بوزابه —

— — — — —

قال رحمه الله : كان نجم الدين رشيد النياثي والي اصفهان من قبل السلطان وهو متعصب على الشافعية فلما تم من صدر الدين محمد بن عبد الامير الحنبدى الى بوزابه المبل . بادر بالارسال الى اصفهان للايقاع بمن خرج على السلطان وعلم ابن الحنبدى فخرج منها وزحف العوام الى المدرسة فهبوها وأحرقوا دار كتبها وتشتت بنو الحنبدى فقصده صدر الدين محمد وأخوه جمال الدين محمود الموصل . وأوردوها جمال الدين الوزير من انعامه واكرامه المنهل المنهل . ونفى جمال الدين الى الحج . وأقام صدر الدين وبمجر جود الوزير له . تلاطم الحج . ثم انصرف عنه مملو الحقايب . محبوباً بالمواهب . وعمل في جمال الدين اياتاً من جعلها

جئت الى بابك فردا وقد خرجت من نيماء في قافلة

ووصل الى اصفهان فتوفراها على خدمته . واقترضوا اقامة حرمة وأما جمال الدين اخوه فأتى لما عدت الى بغداد لقيته وقد عاد من الحج في صفر سنة ٥٤٣ هـ . وكان قد عزم والدى على الدود الى اصفهان فصحبناه وجمعتا الطريق ووجدناه نعم الرفيق . ثم تفارقنا وسار هو مع قافلة حمدان . وسرنا مع قافلة اصفهان . ثم وصل الخبر بان السلطان رضى عنه وعن أخيه وخلع عليهما . وأعاد الرثاء اليهما . ثم وصلا . وعلى اصفاف ما كان لهما من الحشمة حصلاً .

— ذكر بعض الحوادث —

قال : في سنة ٥٤١ هـ حج ابن جبير وزير الخليفة المقتنى فرتب صاحب
الخزن قوام الدين بن صدقة وزيراً . وكان بينه أتيلاً أثيراً . ورتب في الخزن
عوضه زعيم الدين يحيى بن جعفر ورتب بعد ذلك يحيى بن محمد بن هبيرة
صاحب الديوان . وفي سنة ٥٤٣ هـ مات قاضي القضاة بندگان يوم النحر وهو نحر
الدين علي بن الحسين الزينبي . ورتب بعد ذلك عوضه عماد الدين بن الداهماني
قال : وأما السلطان مسعود فإنه ارسل الى ابن أخيه الملك محمد بن محمود
بعد قتل بوزابه فاستدعاه . ومنّ عليه ومناه . وزوجه بنته . وعهد اليه في
الولاية وولاه عمده . ثم ملكه خوزستان ولما امن ابن بلنكري من الجوانب
حمد الى الامير الحاجب تار وقبضه وأوثقه . وأنفذه الى قلعة سرجهان واعتقله
بها ثم خنقه . وصفا له الجو فباض وصفر . وصفا عليه الضوء فاجتلى الظفر
قال : وفي شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ وصلت شعبة من أكابر الامراء
ومعهم الملك محمد الى بندگان محاصرين . وعلى خذلان السلطان مسعود
لشقوتهم متناصرين . منهم شمس الدين ايلدكز والامير قيصير وملك العرب
علي بن ديبس وغيرهم . فحضروها وحصروها . فخرج أهل بندگان لردهم
فأخرجوا عنهم . حتى اصحروا فكروا عليهم كرة ارضتهم . وما ابقت عليهم بل
أفنتهم . وكانت بالقرب منهم حفرة الفساليين . وتناير الآجريين . وأتاتين
الجصاصين . فنانجا الامن آوى اليها . وقتلوا زهاء خمسمائة نفس وجلّ زُرّة
بندگان بأهاها . وأعضها مآدهاها من شغلها . ثم طلبوا من الديوان الوزير

ثلاثين ألف دينار ليرحلوا . وفصلوا الامر على المبلغ لينفصلوا . فاستشار الخليفة الوزير وأرباب المناصب في انه هل يبذل لهم الذهب . وهل يحتمل للراحة منهم التعب . فما فيهم الا من عجل بالمذل . للتأني في البذل . فاخرجت المين . فأشار ابن هبيرة وهو يومئذ صاحب الديوان بضد ما أشاروا . وصار من الراى الى غير ما صاروا . وقال للامام « هؤلاء خرجوا عليك وعلى السلطان . وجاهر وكما بالمعصيان . فاجعل بالله الاستجارة . وقدم منه الاستخارة . وأنفق ما عزمت على بذله لهم . في عسكريا ومهم . ويدفع شرهم . فأنك إن دفعتهم بالمعطاء لم تسلم من عتب السلطان مسعود . وإن هزمتهم بالقتال قلت له انى قلت جنود عصيانك من أهل طاعتك بجنود . وأنت لاتحمد على ماتحمل . ولا تشكر على ماتعمل »

فقبل الخليفة رأيه ولم ير خلافة . وجمع حينئذ وجند . وحشرو وحشد . واستخدم من البطالين ابطالاً من المقاتلة المقاتلة المبطلين . وفرق المال ومال اليه الفريق . وأنفق فنفق في سوق تفويقه التوفيق . وصار من ذلك اليوم للخليفة جند . مهيب . ونار لها في أفئدة العدى لهيب . فردّ هؤلاء الارباء بالحد الجديد . والجد الجديد . وقال « انى أرى المشورة الهييرة أرياً مشوراً . وصوب صوابه لري الأي مشكورا » . فجاء به وزر عليه جيب الوزارة . ولم يزل عنده مودود الشارة . مقبول الاشارة . وذلك يوم الارباء الرابع أو رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٥٤٤ . فشرع في نصر أمر الشرع . رحيب الصدر والباع والذرع . وأكرم الفضلاء . وفضل الكرماء . وعاش في وزارتي القتني والمستجد ست عشرة سنة وشهرين . فمير العين . أيد الدين

واغذ الى خراسان التأويب والاساد . ورجع السلطان واستصحب خاصه
والوزير الاصم معه الى بغداد . وأقام تلك الشتوة بها في رفاعة وفراغ . وصباح
صباح ومساء . ساغ . وكان مع سنجر كبراء أمرائه . مثل المؤيد يرتش
هريرة والفلك على البحري وسنقر الزيزي وغيرهم من عظماء عسكره
وخواص مشرته

هو ذكر حوادث في تلك السنين

— ٥٥٤ —

قال رحمه الله : وفي السادس من شهر ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ نزل ملك
الامان بجميع عظيم من الفرنج على دمشق وحاصرها وأشرف المسلمون فيها
على اليأس ثم منعه الله تعالى ورحلوا عنها بعد أربعة أيام خائبين هائبين .
خامسين خاسرين . وفي أوائل جمادي الاولى من سنة ٥٤٤ هـ توفى الامير
غازي بن زنكي صاحب الموصل وتولى أخوه قطب الدين مودود . وجمال
الدين الجواد وزير على حاله وزين الدين على ككوجك . تولى العسكر
ورجاله . وتوفى الحافظ متولي مصر في خامس جمادي الاولى من هذه
السنة . وتولى بعده ولده الظاهر . وفي موسم سنة ٥٤٤ هـ وقعت زعب ومن
تابعها من العرب على قافلة الحج عند قفولها من مكة الى المدينة فاهلكت
الناس . وأحلت بهم البؤس والبأس . وعظم مصاب المسلمين في الآفاق .
ونجا من الآلاف آحاد بآخر الارماق . وفي الحادى والعشرين من صفر
سنة ٥٤٤ هـ كسر نور الدين محمود بن زنكي على انب من الشام ابرنس انطاكية

وقتل وحز راسه . وشذب تلك النصره للإسلام قواعده وأساسه . وفي سنة ٤٤٥ هـ أسر التركمان جوسلين وسلموه الى نور الدين ونزل الملك محمود ابن قلعج ارسلان على تل باشر وهي مع جوسلين ونزل نور الدين بعد أسر جوسلين على قلعة عزاز وفتحها بالامان . وفي يوم الخميس الخامس والشرين من شهر ربيع الاول سنة ٤٤٦ هـ تسلم الامير حسان المنبجي تل باشر بالامان . وفي سنة ٤٤٦ هـ اغار عز الدين على بن مالك صاحب قلعة جمبر على أطراف الرقة ففرزعو اليه وأدركوه وقتلوه . وجلس مكانه في القلعة شهاب الدين مالك ولد عز الدين .



سبحر ذكر ما تجدد من الملك ملكشاه بن محمود

وفوارة السلطان مسعود



قال : اغار في ربيع الاول سنة ٤٤٥ هـ ملكشاه بن محمود على أصفهان وساق بعض مواشيها . وصار يفادياها بالاخافة ويماشيا . وكان فيها نجم الدين رشيد واليا . فأنقض السلطان اليها شرف الدين كردبازو وضم اليه جماعة من الامراء . فلما وصلوا الى أصفهان راسلوا الملك ملكشاه وتوجهوا له ما استحسنه . وتجهزوا اليه بما سكنه . وتحمل له رشيد بمال حمله وسيره اليه ورحله . ونزلت السكنينة وسكنت التنازلة . وأسبل الامن وأمنت السابلة . وشتى السلطان مسعود سنة ٤٤٥ هـ ببنداد غائضا مع لداته في لذاته قانصاً من البيش فرصاته . ثم رحل عنها رجيل مودع فلم يصد بعدها الى

العراق وترافق السلطان وخاصبك ولم يتفارقا . وتوافدا على الترافد وتوافدا
وكان خاصبك فرحا باختصاصه . ومنذ كان ماخلى صاحبه من حبه
واخلاصه . فوصلا الى همدان واتقضت سنة ٥٤٦ صافية عن القذى . كافية
للأذى . ماضية مع الفنى . مضية السناء . ولم يلبث ان ينتسب بسنها كالسبع
عضوض . وان كل ما يمر به اليوم الزمان غداً منقوض . وان الحياة مخنومة
وان الوفاة محتومة . وان عمران العمر مهديم . وان سر القضاء مكتوم .
فلم يزل مسعود مسعوداً حتى عاجله القدر . وما أجله الاجل . وأصابته علة
النشيان والقيء فأسلست حتى أسلست نشره الى العلى . وشبسه الى النى .
وجمد فى آخر جمادى الآخرة ذوبه . ونجد ضراجه وألق صوبه . وكان
مسعود ضخيم النسبة . جم الصنعة . لكنه يصطنع الاراذل . ويرفع
الاسافل . وكان كثير الاتكال . على استرار الاقبال . قليل الاحتفال .
بمكابد الرجال . دائم الاغضاء عن ذميم القفال . لا يضر لمدو سخية . ولا
يقبل فى ولى نمية . واتفق قبل وفاته ان اخاه سليمان شاه كان بقلة قزوين
مستقلا . وكان عليه بالحوط . مثلاً . فواطأه . مستحفظها . وفق الحادى على
الخروج بعد موت أخيه لطلب السلطنة . واتصاله بذوى الايدى المتمكنة .
وكان الملك المنكشاه بن محمود . قد اتصل بعمه مسعود اليه لاجيا . ولآلائه
راجيا . وقد أجل اليه . واشتمل عليه . وهو حاضر حين حضره الحين .
وغارت وغاصت العين والمين . ولا بد ان يقطع بين المتواصلين البين .
ودفن بهمدان فى مدرسة بناها جمال الدين اقبال الخادم الجاندار

ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود

٢٠٨

قال : لما توفي عمه اجتمع المسكر على نصبه . وغد حبي الاعتقاد
 لحيه . واجلسوه على السرير وأطاعه الامراء واثمروا بطاعته . وتجنوا بيومه
 وسعدوا بطلاته . وتفرّد ابن بلنكري على عادته وساعدة سعادته . بالامر
 والنهي والحل والمقد . والقصر والمد . والقبول والرد . والميل الى جمع المال .
 وجباية الاعمال . والحاق ذوي الاثراء بذوي الاقتال . واشتغل ملكشاه
 بالانهماك في التعصف . والانهماك بالذرف . وفوض الامور كلها الى ابن
 بلنكري . وكان من فلك ملكها في أوج المشتري . واعتاق بنصبه . ووثق
 بنصبه . وما درى انه يخسر من ربحه . ويظلم يومه بطلوع صبحه . فان
 ابن بلنكري طرب فبطر . وخطر بضيره ان يضمر الخطر . وجمع الامراء
 وكبيرهم الحسن الجاندار وقال لهم « هذا سلطان لا يفلح . ولا ملك لا يصلح .
 فانه غرّ ذو غرور . وغمرّ جاهل بالامور . قد شغلته الخمر عن الامر .
 وأغناه الحشف عن الثمر . وأنا أرى من الصواب ان نخليه . ولست دعي أخاه
 محمداً ونويه » فلم الامراء ان خاصبك كالباحث عن حقه بطلقه . والجالب
 النكر الى عرفه . وكانوا قد كرهوا استيلاءه . وسئوا استعلاءه . فوافقوه
 على الرأي الرائب . وعدوه من المواهب . وقالوا لعل الملك اذا تولاه حازم
 جازم . وعاقل بمصالحه عالم . اتقى له من هذا المادي . وشقى بصدام غايل
 الملك الصادي . فقالوا لخاصبك « عجل هذا الامر قبل ان يظعن به فتأيس

من نبح . طلبه . « قبض ابن بلنكرى . لكشاه فى دار الحسن الجاندار وهو
 فى ضيافته . فقراء بآفته . واعتقله بمرج همدان وكان قد أنفذ الى الملك محمد بن
 محمود حمال الدين ايلقشت بن قايمار الحرامى ونفذ ابن بلنكرى لاستحلافه
 الامير مشيد الدين بن شاهملك ومعه وزيره الكمال ابو شجاع الزنجاني
 المروفي بالتعجيلي فخانوه فى الرسالة . وحسنوا لسلطان محمد ضد ما اراده
 ابن بلنكرى من الحالة . وقرروا . معه قتله يوم الوصول . وقالوا له لا تقبل
 غير هذا الرأى لتحظى بالقبول . وعادوا وقالوا لابن بلنكرى « انا قد حلفناه
 واستوثقنا منه بالايمان . وأكدنا أقسام القسم بحيث يكون حثه ارتداداً
 عن الايمان » فوثق بامانتهم وأمن لاثوثوق بهم وأرسل واسترسل . وعجل
 واستعجل . وأمام لكشاه فانه تخلص من اعتقاله . وخرج نجمة من بيت وباله .
 وكانهم توانوا فى حفظه . ووكلوه الى حظه . وكما أغفلوا الاحسان اليه . أحسنوا
 بالغفلة عنه . ولم يكن لهم عنده ثار فيحملهم على الانتقام منه . وصرخوا
 بهربه . ولم يرضوا بطلبه . ولم يلبث فى سلطنته الا شهرين أو ثلاثة ثم
 تقلبت به الاحوال الى ان استقر بخوزستان . ملكا . وفى سلك سالك نبح
 السلامة . تسلكا



ذكر جلوس السلطان غياث الدنيا والدين

أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن الملكشاه

(في أواخر سنة ٥٤٧ هـ)

—•••••—

قال : وقدم السلطان محمد همدان في عدة يسيرة . وعدة غير كثيرة . فلقاه خاصبك بلقائه . مستبشراً . وبوفائه مستظهِراً . وبصفائه وده . وقتاً . وبصفاته مجده . ومنا . والى دينه راكناً . والى يمينه ساكناً . وحمل اليه ما تجمل به من آلات الملك وأدواته . ونجيات المال ومدخراته . وخيمه وسراقاته . والحيل الدراب . والعروض والنياب . فعاقت بالنفوس نفائس أعلاقه . وسكن المسكين الى وفاء السلطان ووفائه . وخرج له من قشره . وأرج منه بنشره . ولقيه السلطان بوجه له باشر . ولسان لجمده ناشر . لكن ضميره للشر مضمير . وفكره للفتك به مفكر . ثم انه في اليوم الثالث من قدومه جلس في أعلى القصر واستدعى ابن بلنكري لمسارته في التفويض ومفاوضته في السر . فجاءه معه الامير زنكي الجاندار والامير كسطنان المعروف بشملة . فلما حصلوا على سلم القصر عرف شملة العملة . ورأى أمارات لاتوافق المراد . فعاد وجذب ذيل ابن بلنكري ليعود فعااد . ونزل وقدره ب . فركب وهرب . وأما ابن بلنكري وزنكي فانهما صعدا فأمر فخر رأس ابن بلنكري ورمى بجثته الى الميدان . وضربت أيضاً رقبة زنكي . الجاندار وكان كبير الشأن . وارتاعت القلوب وارتابت النفوس . وذرفت الميون وأطرقت الرؤوس

ومما يمتد به المستبصر ويستبصر به المعتبر ان خاصبك خلف أموالا
 لاتأكلها النيران . ولا تمحوها الحسبان . ومن جملة ما وجد له الف ثوب وسبع
 مائة ثوب أطلس عتابي فكيف غيره من الالوان . وطلب له كفن في ذلك
 اليوم فلم يوجد . وبقي على حاله ولم يلحد . وما ألقى عليه رداء . ولم يبذل له
 فداء . حتى جبي له من سوق المسكر الكفن والقطن . وتها لمن تولى أمره
 حسبة لله النسل والدفن . فبا بعداً للدنيا ما كدر صفاءها . وأغدر وفاءها .
 تخيف من آمنها . وترج من سكنها . وتقتل من أحيائها . ولا ترحى من رعاها .
 وأما السلطان محمد فانه ظن بعد قتله أن الموانع قد ارتفعت . والمنافع
 قد اتسعت . وأن الامراء النافرين منه بسببه يجتمعون . وعلى نعره يجتمعون
 والى جنبه يفزعون . وكان وزيره في خوزستان الوزير جلال الدين بن
 القوام أبي القسم الدر كزنجي وقد أبقاه على وزارته . وجرى ما جرى بمشورته
 وإشارته . فأشار عليه بأن يسير رأس خاصبك الى الاميرين الكبيرين شمس
 الدين اتابك ايلدكز ونصرة الدين خاصبك بن أقي سنقر صاحب مراغة .
 وظن انه يجبهما اتلافه . ولا يسهما عصيان السلطان وخلانه . فلما وصل
 اليهما الرأس هالتهما حالته . وأعيتهما في هذه المشرة أقاته . وقالا ولقد أقدم
 على فتك عظيم بعظيم . ولقد الام الكريم بظفر لئيم . أما كان استوثق منه
 باليمين . أما استمسك من وعده بالجلل المتين . وإذا كان هذا الملك الاكرم
 ابن الملوك الاكرمين مجترأ على مثل هذه الجرائم . ومستصراً لآمال هذه
 العظام . فقد عجز العزاء . وخاب الرجاء . وجل المعاب وعظم البلاء . فإلا
 عنه . ونالا بالالوم منه . وأرسلا اليه انك أخطأت . وزعمت انك أصبت .
 وما يثق قلب اليك . وان وثقتا فانك باليمين التي حلفت بها له تخلف . ولشمل

الوعد الذي أخلفته . معه تُخْلِفُ ، قايس لنا بك المام . ولالك معنا كلام

— — — — —

سجّر ذكر . أجرى للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجلسه سجّر

على سرير السلطنة

— — — — —

قال رحمه الله : كان لما خرج من مجلسه بقزوين . ووجد التمكن
والتمكن . خرج به مظفر الدين الب ارغو بن يرتقش البازدار الى زنجان .
وكاتب فيه الاميرين شمس الدين ايلدكز ونصرة الدين صاحب مراغة وهما
في أسرهم . مترويان فلما نفرا من محمد وتذمّا وتذمرا سارا بمساكرهما الى
زنجان طالبين لخدمة السلطان سليمان وحملاه الى همدان . وأجفل السلطانان
محمد في شردمة يسيرة الى أصفهان . فاستقر سليمان على سرير الملك وكان
معه ياتسكين خوارزمشاه وأخوه يوسف وأختها زوجة السلطان سليمان وهي
لامره . متولية . وعليه مسئولية . وكان سليمان وزيراً شريفاً خبيراً . اذا سكر
وقع صريخاً . ونام أسبوعاً . كلما رفع رأسه لاذ بالمقار . ثم لاث خماراً خمار .
وكان يقلى لانه لا يفي . ويشق عليهم انهم لا يسمدون به وهو يشقي .
وكذلك وزيره نغر الدين أبو طاهر ابن الوزير المعين أبي نصر أحمد بن
الفضل بن محمود القاشاني لا يصحو ساعة . ولا يمحو عنه شناعة . وهو أشبه
بسلطانه . وكلاهما اليق بزمانه . فضجر الامراء الاكابر من المقام . وشرعوا في
الانفصال والانقسام . وعاد شمس الدين ايلدكز الى آذربيجان لقصد أرائة
وانزعاجها من يد روادى ابن عم ابن بلنكرى . وعزم نصرة الدين

آف سنقر على المود الى ولايته ثم ان الامراء الباقين بعد رواح
شمس الدين ايلدكز قرروا مع نصره الدين . وانتقلوا الى مرج قراتكين
وخلوا السلطان مع خواصه بقصر همذان واجتمعت اراؤهم على قبض الوزير
وأرادوا اتباع ذلك بقبض خوارزم شاه يالتكين . والسلطان سليمان كان
حيث قد نكح زوجة أخيه بنت ملك الكرج ودخل بها وهو في عرس
وانس بغاءت اليه أخت خوارزم شاه زوجته وقالت له « ان لم تأخذ لنفسك
أخذت نفسك . وطال حبسك . ومضى غداً يومك . ورجع في التطبيق
عليك أمسك » فهرب ليلاً معها ومع أخويها وترك خاتون الابحازية وقد بنى
عليها وأصبح الامراء وقد فقدوه . ونشدوه وما وجدوه . فتوات المساکر
الى ولاياتها . وغابت تلك الاسود الى غاباتها

﴿ ذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن مكشاه ﴾

﴿ الى مقر ملكه بهمدان بعد غيبة سليمان ﴾



قال : لما وصل السلطان محمد الى أصفهان . منحازا عن عمه سليمان .
كاتب الجوانب . وراقب الاجانب . واتصل به الامير ايتاج صاحب الرى
فقويت يده وعرف ان المساکر التربة لا تقيم مع عمه . وانهم اذا انفصلوا
عنه كان عزمه ملياً بهزمه . فوصلته البشرى بان عمه جام في بحر الابل ساجاً
وساح لمرض القلاء بالافلات ماسحاً . فسر بما وعى . وسار وسعى .

وتلقاه أمراء الدولة مهتين . وبجدة جده مهتين . وعاد الى قصره . وعادة نصره . وذلك في سنة ٥٤٨

فذكر ما اعتمده الامام المقتدى لامر الله بعد موت السلطان ﴿

﴿ مسعود محمد بن المكشاه ﴿

قال رحمه الله: كانت السدة الشريفة الامامية قد بنيت بحجور الاعاجم . ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن العاجم . وكان أهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده . وتمردم عليه بأن يحصل مرادم لامراده ولم تزل بغداد مظلمة . مشحونة منهم بالشحن الظلمة . ولهم من الديوان العزيز مطالب لا يفي بها خواصه . ومنازم المصلحة منهم يتصر منها خلاصه . والحرم من جنائياتهم خائف . والشرف لمهابتهم عائف . وشريعة الشريعة مكذورة . والدماء والفروج مستباحة مهدرة . والخليفة ينفى وينضب . ويعتب ولا يعتب ويقتدر عليه ولا يقدر . ويُعذر به وهو على المهد لا يقدر . فلما توفي السلطان مسعود قال ولا صبر على الضيم . بعد اليوم . ولا قوام مع هول هؤلاء القوم . وآزره وزيره عون الدين بن هبيرة وأعاناه . وثبت جنانه . وكان مسعود البلالى الخادم والى بغداد فقامت عليه قيادة . وتمذرت عليه الافاقة . فرحل الى الحلة . ومضى متحذرا في تدبير الامور المضطحة . وأقام يعشد ويحشر . ويطوي وينشر . وكان بالحلة السلار الكردي من اكابر امراء السلطان فلم يكثرث بالخادم واسترسل اليه . وقصده

يسلم عليه . فاخذ الحادم وقتله وغرقه في الثرات . وجمع الساكر وأقطع تلك الولايات . وفرق على فريقه الاقطاعات . فسار اليه ابن هيرة وهزمه وكسره ولحق البلالي بهمدان مستصرخا . وغدا عقد جمعه . بنسفا . وملك الخليفة المراق من أقصى الكوفة الى حلوان . ومن حد تكريت الى عبادان . واقطع واسط واعمالها . والبصرة وانهارها . ومعاظها وولاياتها . والحلة والكوفة ونهر الملك ونهر عيسى ودجيل والرافدان . وطريق خراسان الى نواحي حلوان . واقطع الوزير عون الدين ابن هيرة جميع ما كان لوزير السلطان وأرباب مناصبه في جميع هذه البلاد . وأعانه على الاستعداد واضاف الاعداء بتغنيف الاعداد . ونعته بتاج الملوك . فلك الجيوش .

وكان الامام لما استخلف استخاف على انه لا يثري مملوكا تركيا . وكان يقتى مدة خلافته إماره نيا أو روميا . ولم يكن له من الاتراك الا تركش ملكه قبل الامامة فولاه الامارة على الامراء . واختص من مماليك الروم والارمن مدة من النجباء . سماهم الخلية . وولاهم الرتب الملية . وأحكم أسوار بغداد وحفر خندقها ورتب الولاة في الولايات وبث الميون وأصحاب الاخبار . وبث الجواسيس الى جميع الامصار . واشتغل السلاطين بعضهم ببعض في تلك السنين . وأعطى الله الخليفة التأييد والتحكين . وكانت الخليفة قد مير قطب الدين المبادى في سنة ٥٤٦ هـ أو ٥٤٧ هـ رسولا الى محمد بن محمود بنخوزستان فتوفي هناك . وختت به النصاحة الوعظية واظلمت مطالع العلم المضيئة . ولما عاد السلطان بعد هرب عمه سليمان الى همدان راسل الخليفة وخطبه في الخطبة له فما اجابه . وتجنبي عليه بقتل ابن بلنكري بوعابه . وآيسه

من ملك بغداد وخيب رجاءه . فحينئذ اجتمع عند السلطان الامراء الذين
 حلت اقطاعهم ببغداد وقتلوا « ارزاقنا قد اُقطعت . واعراقنا قد قُلعت .
 ودورنا قد اُنزلت وولاتنا عزلت . ولا بد من مداواة هذا الداء قبل اعضاله .
 وتداركه قبل استفحاله » وكان السلطان محمد يرجع الى عقل ودين ، وحلم
 ركين . ورأى رزين . فقال « لاتمجلوا فان مخالفة الخليفة شؤم » . وواليه
 محمود ومماديه مذموم . وأنا استتبع ان أستفتح سلطنتي بماداته . ونية
 منواته » فقالوا له « نحن نمضى ونقضى هذا الشئ . ونحفظ عنك هذا
 الثقل . ونلقى بجمعنا الجع . ونحصد بسيفنا الزرع » فقال لهم « كان رأيي
 ما ذكرته . وعرفتكم ما أنكرته . والآن فافعلوا ما رأيتموه . واعملوا ما نويتوه »
 فودعوه وركبوا . وجاء اليهم من واقفهم وذهبوا . وتجمعوا في جحافل حافلة .
 وعساكر في ذلاذل السوانج رافلة ، وساقوا بين ايديهم التركان بيوتهم
 ومواشيهم . وأهاليهم وحواشيهم . وكان حصن تكريت قد بقى في يدمسعود
 البلالى وبه نائبه أسبه وحصره الخليفة مرارا فتنع ولم يفتح . فالتقه المتصعبة .
 وفي هذه القلعة . المكان من السلجقية معتقلان وهما ملكشاه بن سلاجق بن
 محمد بن ملكشاه وارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فقالوا لمسعود
 البلالى « أحضر لنا الملك ارسلان بن طغرل ابن عم السلطان . ليشق بحضوره
 جوع الاجناد وحشود التركان » فاقطع عليهم بدره . ورفع جتره . ثم
 وصلوا الى نواحي العراق

ولما عرف الامام ذلك أمر فاصحرت أسده الحوادر من عريتها .
 وتبدلت خيش الوشيج بن خيسها . وبرز في مظلته . كأنه البدر في هالته .
 ونور النبوة يشرق من جبينه . والقضيب النبوى يورق بالانصر في يمينه .

والبردة الموروثة فوق رداءه . والقدر بالقدرة على اعدائه . لمجي نداءه .
فسار في موكبه الشريف وعلى مقدمته وزيره عون الدين بن هبيرة في أسود
استلأمت من الدروع بأهب أسود . وفي سحائب قساطل . من المناصل
والصواهل بوارق ورواعد . وفي الميمنة والميسرة اسراء ومقدمون من
عظماء المسكر كناصر الدين منكوبرس وأمير واسط مظفر الدين قتلغ برس
وكلاهما من المسترشدية . وحامياً الخوذة المقتنية . وغفر الدين قويدان ومنكابه
المباسي وبهاء الدين صندل والاسراء المصطفون المصطنون . والحماة الكماة
المدرعون القمنون . وخيم الخليفة على مرحلتين من بغداد في موضع يعرف
بجَمَزَا وأقام دون شهر ينتظر منهم البداية . ويستبعد من غوايتهم الهداية
ولما تراحم المجران . وتراحم الجمران . تجمراً المدى بينهم وبينهم على
الاقتحام . وحسروا عن أقدام الاقدام . وقالوا لوان للقوم بناتاقة . ماتحملاوا
من توسيع مدة الاقامة اضاعة . فقد عزت الاقوات وعدم اللطف . ووجد
التلف . وجعلوا ان الامام . تتبع حكم الشرع . في قتال أهل البغي عند صياهم
بالدفع . فركبوا وما رقبوا . وبرزوا وجلبوا . فركب امير المؤمنين في
مهاجريه وأنصاره . ووقف في القلب منهم بين اسماعه وأبصاره . وقدم وزيره
ابن هبيرة امامه . وسير معه اعلامه . وأمر الاسراء ان يكونوا معه قدامه .
فاقرت ليالي الرايات السود بوجوه رافعيها البيض . واشرقت ايامن الايام
الامامية بنوره المستفيض . وشرع برق الحديد اللامع على حواشي بوارق
البوارق في الوميض . واولئك قد ساقوا دواب التركمان ومواشيها وأغنماها .
وقدموها بين يدي صفوفها قدامها . وكانت آلافا كثيرة الاعداد . كثيفة
الدواد . ومن ورائها الوقاة الكماة . ذوو الحمية الحماة . وقد اخذت هذه

المواشي طول الارض وعرضها . ومنمت بتراسها تقويض صفوفها ونقضها
 فنزل الامير نغر الدين قويدان قائد الجنود وقبل الارض للخليفة وطلب
 بلاد الحلة . واقتدى به ناصر الدين منكوبرس في طلب البصرة . فأنتم بهما
 عليهما . فتأهبا للقاء . وتلها على الهيجاء . وحمل الوزير ومن معه فلم يجدوا
 في تلك النقاد للآساد طريقاً . وصادفوا في ذلك القضاء الواسع للانعام
 المحشورة اليه مضيقاً . وكان ترشك مملوك الخليفة للمخالفين مخالفاً . وفي
 المينة واقفاً . فحلت ممنتهم على ميسرة الخليفة وفيها مهمل ابن أبي
 عسكر والاصبراد فهلمت نسجها . وحلحلت برجها . وعادت صفوة
 صفوف الاكراد الكداراً . وأجفلوا كالظلمان هزيمة وفراراً . ودخل ترشك
 بين اطناب السراوق الشريفة فطعن برمح ظهير الدين بن الققيه المرتب
 في الخزن فقتله وركضت ممنتهم خلف المهزمين فلم يرجوا . ومرهوا
 وراءهم ومرجوا . وأما المينة الميمونة الامامية فانها حلت وفيها ناصر الدين
 منكوبرس ونغر الدين قويدان ونفذت الى القوم وقوضت ماقابله من البنيان
 المرصوص . وحكت بنصر الحق المنصوص عليه على الباطل المنقوص . فلم
 ير غير رأس سائر ورأس طائر . وروح يتشظى . وصارم يتلظى . وتبدد شل
 آمال الاعادي وتفرقوا عابدين . وأخلفهم الشيطان ما كان منام من مواعيد
 وطاردوا على خيولهم كأنما استمارت من قوائها قوادم . وتركوا بتلك المفاني
 من أغنام التركمان مغنم . وخبت البشرى الى بغداد بالنصر . بمقب ارجاف
 الاجلاف المهزمين بالكسر

ووقف بعد الهزيمة مسمود البلالي في قلبه ثابتاً قلبه . راجياً ان يثوب
 اليه حزبه . فهب اليه ابن هيرة فبره . وبرى أجزاء صفه وجز بره . وانتهز

الفرصة الأمير سنقر المنداني فاقمرد بالملك ارسلان بن طغرل وسار به
وأخفى مسيره في مضائق كل وادى ومساربه. حتى وصل به الى شمس
الدين ايلدكز زوج أمه وكأما أنزل به الثنى بعد عده . وأما الخليفة فانه
سجد لله شكراً . وأنشراح بالنصر صدراً . ودخل الى بغداد منصور الاواء .
مصحوباً باملاك السماء . ولما تمت على أولئك القوم في أملمهم الحبية . تملكهم من
جانب أمير المؤمنين الهبية . وتكصوا على أعقابهم عاثرين بذيل الحجل . عابرين
على سبيل الرجل . فلما رجوا الى السلطان محمد بن محمود ندمهم . وعاتبهم على
الملك الذي نذ منهم . وقال « كسرتما . وسكمتما نفوسكم . وأهلكتم البركان »
وعرضتم لاسبي الذراري منهم والنسوان . ثم أخرجتم الملك ارسلان وغلتم
عن حفظه . وهو الآن عند ايلدكز وستبصرون ما يفضى اليه الامر . ولا
بد ان يتوجه الي من جانبه الشر . وقد صار الخليفة خصماً فلا يخلص به هذا
ورد دولتنا معه من الشوب . ولا يقبل على قبول التوبة ولا يرتضى صوابا
ارضاء هذا الصوب » وكان كما حسب فان الخليفة لم يفر للسلجقية بعدها
ذنباً . ولا يفرغ لهم من جهته قبلاً . وكانت الوقعة بيجمزا في أواخر سنة ٥٤٩ هـ



﴿ وذكر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد ﴾

﴿ وقبول الخليفة له وتجهيز الجيش معه وذلك في سنة ٥٥٠ هـ ﴾



قال رحمه الله : كان سليمان قد تخلى عن الملك وأخلى سريرته . ووافق
ادبارة تديره . يدور في البلاد ويسل بالدوائر . وينجد مع المنجد ويفور مع
الناثر . لا يستقر به قرار . ولا تؤويه دار . ولا يجيره جار . فلم ير لاسره وأمنه
حاميا غير حمي أمير المؤمنين . فقصده ان يعلق من عصمته الحبل المتين . قال
وكنث حيثئذ ببغداد فوصل الخبر بان سليمان قد دنا ودان فقابلوا بوفور
القبول وفوده . وأكرموا وروده . ولو وفوه حق السلطنة لئلقاه الوزير ومعه
قاضى القضاة والنقيان . وأجلاء الخدم كما جرت عادة السلطان . لكنهم
اقتصروا في تلقيه على موكب شريف يقدمه عز الدين محمد
ابن الوزير ومعه مخلص الدين ابن الكيا المراسى وخادمان ووقف
الموقف خارج البلد حتى قرب ثم لقيه ابن الوزير وخطبه بكل
مأطربه وأعجبه . وقال : « أمير المؤمنين صلوات الله عليه يسلم عليك
ويهدي تحية اليك » وترجم ابن الكيا المراسى له هذا السلام بالفارسية .
فنزّل سليمان عن فرسه وقبل الارض ثم ركب ودخل البلد وخرق الاسواق
من باب سور الحلبة . الى أن جاوز فرضة لرحبة . وحين وصل الى باب النوبية
أنزلوه وألزموه بتبيل الثبة وقد أكرموه . وهناك حجر اذا وصل الرسل
ومقدمو الحاج نزلوا عنده ولثموه وعظموه . وما قبل تلك الثبة قبل سليمان

سلطان سلجق . ولا ملك ديلمى . وكان منهم شقى وسعيد
ثم أركبوه وخرقوا به السوق حتى عبروا به باب سور السلطان وأنزلوه
بدار السلطنة ووظفوا له الرواتب ورتبوا له الوظائف وشرفوه وسوروه
وطوقوه وخطبوا له على المنابر فى الجمع والجوامع . وخصوه بالموراف والصنائع
النصائح . لكنهم لم ينعتوه الا بالمعظم ولم يسموه بالسلطنة ولم يسموه . وكانوا
يقتصرون به على المعظم وذلك غاية أن يظلموه . لكنه كان فى قد عقله من
غفلته . وعى لهجة من غى جهلته . وفى كسرة من سكرته . وفى ذلة من لذته .
فما زال مدة مقامه مستحلا لمحاميه شهواته . مستحلياً مذاق اللغو فى لهواته .
مترنماً بنغماته . متبهاً بمخرافاته . والخليفة مع ذلك فى ولائه متقدم ولوائه عاقد .
متيقظ لتدبير مصالحه وهو عنها راقد . وقد اوعز الى عساكره بالتأهب
للمسير فى خدمته . واعادته الى عادته فى سلطنته . واستوزر له شرف الدين
الحراساني وكان رجلاً كبيراً يرجع الى سودد وكرم محند . وكان قد وصل الى
بنداد فى عهد السلطان سنجر رسولا وأعاد البردة والقضيب النبويين معه الى
دار الخلافة وكانا قد أخذوا فى النوبة المسترشدية

وأقام شرف الدين هذا فى الظل الامامى وهو مخصوص بالاحترام فرأى .
المقتضى ان يجعله وزير سليمان . وسيره الى آذربيجان . وجهز معه عساكر وافية
العدد . وافرة المئدة . فمضوا به الى أراية ثقة بآتابك ايلدكز فما رفع بهم رأساً .
ولا قراهم ايناساً . ووصل السلطان محمد بن محمود وجرى المصاف . ووقع بين
الفریقين الانصاف . ثم انهزم سليمان مولياً . وعن عسكر الخليفة متخلياً . فمادت
العساكر الى بنداد عادمة للظفر . نادمة على السفر . ورجع سليمان عائداً الى
بنداد فى طريق الدربند القرابلى فصبحه زين الدين على كوجك من الموصل .

وقبضه في المضيق وحمله الى قلعة الموصل . واعتقله وأراحه من التعب . وابعاه
ما كان يؤثره من الالم . وكان ذلك في شعبان سنة ٥٥١



﴿ ذكر اتصال الملك جفري شاه بن محمود بأخيه السلطان محمد ﴾



قال رحمه الله : كان الملك جفري شاه مع آتاك بايز في آذربيجان .
فشغل خواطر الاميرين المذكورين وارسلان آبه صاحبي آذربيجان عند اتصالهما
بالسلطان سليمان . بعد انهزام محمد الى اصفهان . فلما عاد محمد الى السلطنة .
شرف الدين كردبازو لاصلاحهم والصلح بينهم . فوصل والحرب قائمة على
ساقها . اخذة من الارواح باطواقها . فأصلح ذات البين . وعاد قرير العين
وقد تسلم جفري شاه . وملاً بحمده ومدحه القلوب والافواه . وجمع شمل
السلطان بأخيه وعاد آتاك بايز الى ولايته . وكانت رعيته آمنين في كف عنايته .
واقسم شمس الدين المذكور ونصرة الدين ارسلان آبه بلاد آذربيجان وأفرجا
عن أردبيل للامير آغوش . وأعادوا من رسوم العدل النقوش . واجتمع
السلطان محمد بأخيه جفري . والاخوة تحمله على الشفقة والملك به ينرى .
قال : وكنت في ذلك العهد سنة ٥٤٩ بهمنان وقد عدت من الحج
صحة جمال الدين محمود بن عبد اللطيف الخجندی فشاهدت السلطان قد أنس
بأخيه وسر به . وامتزج به في مطعمه ومشربه . ولاطقه بعطفه . وعطف عليه
بلطفه . ثم امر باعتقاله ووكّل به الامير عز الدين ستماز بن قايمار الحرامى

يرصده ليلا ونهارا . ويرعاه سرا وجهارا . وما زال الامر على ذلك حتى
فارقنا المسكر . فما أدري اين أقبل به القضاء بعد ما أدبر . ومن حين نفل
ماسمع له خبر . ولا رثى له اثر . فكأنما سل طين السلاطين من جفن الجناه
وجبات جبلتهم على الاغفال والاعتفاء . فالرحم عندهم مقطوعة . والرحمة
ممنوعة . والزة في خدمتهم بالنل شفوعة . والاعتذار بهم غرر . وصفوم
كدر . يقسمون ويحشون . ويرمون وينكثون

— ذكر حوادث جرت في تلك السنين —

قال : في سنة ٤٤٨ هـ استولى النزع على السلطان سنجر وكانت حادثة هائلة
وسندكر أيام سنجر عند وفاته . وفي هذه السنة استولى الفرنج على عسقلان
وفي هذه السنة قتل المادل ابن السلاسل سلطان مصر قتله ابن امرأته .
وفي هذه السنة توفي ابن منير الشاعر بحلب في جمادى الآخرة . وتوفي
ابن القيسراني الشاعر بدمشق في الحادى والعشرين من شعبان . وتوفي ابو
الفتوح بن الصلاح الفيلسوف البغدادي بدمشق في الخامس والعشرين منه
وفي سنة ٤٤٩ هـ توفي عمر تاش صاحب ماردين في أول المحرم . وفتح نور الدين
محمود بن زنكي دمشق يوم الاحد ثالث صفر سنة ٤٤٩ هـ . وقتل الظاهر متولي
مصر ليلة الخميس لانسلاخ صفر

قال : وفي هذه السنة توفيت حليمة السلطان محمد بن محمود بنت السلطان

• سمود نجاس للعزاء • وامترى در البكاء • وكنت حاضراً في زمرة العلماء •
 ووصل الى خدمته آتاك ايلدكز في صاكر آذربيجان والايرشير بن آق
 سنقر بعسكر أخيه وأقاما عنده على همدان ثم استأذنوا في المود وعادوا •
 وزادهم السلطان حرمة وقوة فزادوا • ووصل رسول ملك كرمان فاكرم •
 وأحضر حملاً فقدم • وسير جمال الدين ابن الحنبدى مع الرسول رسولاً الى
 كرمان • ليخطب بات الملك للسلطان •

قال : فعدت معه الى اصفهان فسامنى السفر معه في تلك السفارة •
 فرأيت الريح فيه عين الحسارة • فتأخرت وتقدم • واجمعت فأقدم •
 وأقت فظمن • وأسبغت فاحزن • فأتى عند مسيره الى كرمان سرت
 على طريق خوزستان الى بندگان وجئت الى عسكر • كرم في شوال
 سنة ٥٤٩ • والملك ملكشاه بن محمود مالكا • وقد امن به ممالكها
 ومسالكا • ولقيت رئيس الدين محمد بن القاضى أبى بكر الارجاني وهو في
 نيابة القضاء • وفور الحرمة في العلماء • فذكر لي ان والده توفى سنة ٥٤٤
 وأعطاني مسودات من أشعار والده • فتزهدت في رياض فوائده • ثم
 ارتحلت الى بندگان بعد وصول الخبر بنصرة الخليفة في حرب بجزا وظفروه •
 وكنت مع والدى فخرته البشرى على سفره

قال : وشى السلطان محمد بن محمود في هذه السنة بساوه واستعجز
 جلال الدين بن القوام وزيره • واستعصر تديره • واستقصى من فارس تاج
 الدين الدارستى ليستوزره فوصل تاج الدين الى اصفهان وأقام مدة فبرد أمره
 وخمد جره • واستبطل السلطان سيره • واستوزر غيره •



خذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدرگزني

— — — — —

قال : قيل للسلطان انه وزير عمك . وظهير عزك . وقد سبقت له خدم
وثبت له في القدم قدم . فنصبه في النصب . ورتبه في أعلى الرتب . واستند
وتصدر . وأورد وأصدر . وخاطب الامراء الذين استأثروا بالبلاد ان ينزل
كل منهم عن شيء مما في يده ليكثر الخواص السلطانية . واستضاف بلاداً
عامرة الى النواحي الديوانية . فتوفر الاستظهار وظهر التوفير . وأثمر الرجاء
ورجي التميم . وقال للسلطان قد اتسقت الاحوال . واتسعت الاموال .
وقد فرغ البال لشغل بغداد فاسترجع حقك المنصوب . ولا تترك نجاحك
المطلوب . فانها دار ملكك . ومقرأيك وجدك . وأنت اذا مضيت
بنفسك فما يقف قدامك أحد ولا يكون معك لاحد يد فلما خضر الربيع
مائتته . ووفر فائده . وأحسن عائدته . عاد السلطان الى همدان وذلك في
سنة ٥٥٠ هـ ورحل على سمت بغداد ورحل عدة مراحل . ونزل في قصدها
منازل . ثم بدا له فعاد لان الامراء الذين سبقت منهم المواعدة على المعاودة
اخذوا العدا . ولم يطاوعه المسكر على مفارقة البيوت والاقطاعات . عند
ادراك الثلاث . فانصرف راجعاً وتوجه الى آذربيجان . وتم المصاف الذي
نصر فيه على عمه سليمان . ثم عاد الى مقر ملكه وفي قلبه من أمر بغداد هم شاغل .
في صميم روحه واغل . وعلم ان الجند لا يفارق بلاده في الصيف . فانه لا يجمع بين
حر بغداد وحر الصيف . فواعدهم الى الخريف . وأمنهم من الفرار الخفيف .
واشتغل بالاستعداد والاستعداد . والاجتهاد في الاحتشاد . وتجهيز الكتب

الى مجزى الكتائب . وتبريز المضارب وتميز الطلائع والمقائب . فارتحل لما
انقضى المصيف . وأقبل الحريف .



ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمده ~~بها~~

﴿ أمير المؤمنين المقتنى لامر الله من حسن الصبر المقرب ﴾

﴿ حميد الظفر والنصر ﴾



قال رحمه الله وصل الخبر الى بغداد في ذي القعدة سنة ٥٥١ بأن
السلطان محمد قد قرب في عسكر هائل . وعمرهم صائل . وهو
بمنزل « قصر قضاة » فصدق اهتمام الخليفة بالاحتراز والاحتراس .
واجد لباس الجدد للباس . وبالع في تحصيل المدد . وتحصين البلد .
وأدار بالمنجنيقات سورا على السور . وملأ أبراجه بالحجارة المساعير .
وخرج الوزير ابن هبيرة وخيم تحت التاج الشريف عند المشنة على شاطئ
دجلة بحيث يطل الخليفة من المشنة على خيمة وزيره . ويقرب الاستئجار في
دقيق الامر وجليله وقليله وكثيره . وفتح باب الكرم المرتجى المرتج . وثبت
قلب الاسلام الحافق المرتج . وأعد المدد الخاصة والحرجية . واستخدم
المنجنيقية والجرجية . وكان من حزم الخليفة انه مذ توفى السلطان مسعود
ونفى مسعود الخادم البلالى من بغداد أو عن باعداد الذخائر وادخار المدد
والاستظهار بشغل صناع السلاح وكانت حجارة المنجنيق معوزة . فأحضر
منها في السفن ألوانا صارت محرزة . وأمر ببناء المراكب المقاتلة والسفن

فرعن في دجلة راسيات كالر عن . وعبر محمد شاه دجلة الى الجانب الغربي من
أعلى بنداذا على بعد منها بمجموعه . وراع كل قلب بصدوعه . وكان قد واعد زين
الدين على كوجك فوصل بمسكر الموصل يوم الميعاد في وفور من المدد
والاعداد . وأطلوا من الجانب الغربي على بنداذا وكدروا المشارب . ووفروا
المصائب . ثم بكروا وأشرفوا . وبالقوا في العدو وأسرفوا . ووقفوا بأزاء
التاج الشريف وشرعوا في السبع . جارين على سوء الطبع . ونبتت من
معايس قسيهم غروب النبع . وجرحوا من النظارة جماعة أحسنوا بهم
الظنون . وأهنا منهم المنون . وقابلوا القرض بالرفض . وقاتلوا الله تعالى
بقتال خليفته في الارض . ونزلوا على بعد من بنداذا حتى تألفت الوهيم .
والتف لقيهم . وسيروا الى الحلة والكوفة وواسط والبصرة ولادة ومقطعين .
وشحناء وتصرفين . وفي كل يوم يسير الخليفة في دجلة مصراكب . مملوءة
بمقارب . فيها المجانيق الخفاف . والمرادات اللطاف . والرماة الكمامة . والجرحية
الكفافة . فيحاذون المسكر الحمدي في دجلة ويرهونهم . ويشوونهم ويعصونهم
حتى رأى السلطان محمد التنقل الى حوالى سور بنداذا فجاء ونزل على الصراة بدار
يرتقى الزكوى وعبر أمراء الكبار الى الجانب الشرقي مثل آتابك نياز وعز الدين
ستماز . ومن يجرى مجراهما من ذوى الاعتزاز وبقي على كوجك بالمسكر الموصل
في الجانب الغربي والسلطان معه وهو يعبر في دجلة الى دار السلطنة في جانب
بنداذا كل وقت ويمود . والبيض قد هجرتها العمود . والمقول قد انحلت منها
المقود . وتبرز خيل بنداذا في كل يوم منها من يأتي سور السلطان والظفرية
ويقفون خلف الباشورة المبنية . للحملة على من يكون منهم في الجاليسية فهم
يخرجون . ويخرجون ويخرجون . فيأمر لهم الخليفة بالطاء . على قدر البلاء .

وكان اكل جراحة على مقدارها عطاء . ولكل عمل مبرور جزاءه . فتوفرت
دواى الموم على التهافت فى نار الحرب تهافت الفراش فى النار . للفوز عند
العود بالدين والدينار . فقامت الحرب على بنداذا بالمساء والصباح . والندو
والرواح . وطالت مدة الحصار . ولم يؤثر فى الاسعار . وما عز غير اللحم . ولا عز
الملح . والامل مقترب النجى . وخسران الخصم دليل الربح . وكانوا قد نصبوا
من الجانب الذى من دجلة على مسنة دار المييد وبقرى القرية منجنيقين
عظيمين وهما بنصب منجنيق آخر على الحان الذى بناء سرخك مقابل التاج .
ولو تم ذلك لأعضل داء الازعاج . فعين الخليفة ليلا رجالا أتوا بنيانه من
القواعد . وكان لوقوعه سحرا رجفات كأصوات الرواعد . وكانت السفن
المتردة فى دجلة برماة الجروخ والنشاب والقوارير المحرقة . والنفاطات
المزقة . قد آذتهم وآذتهم بعجزهم . وعزت بازهاقم . فأزهقت روح
عزم . وما كانت لهم مراكب الا عدة يسيرة يسخرون ملاحيا . ويخسرون
مالكها . ثم لا يشقون بالركوب معهم فيها حفاروا وخاروا . وتشاوروا
واستشاروا . فقال لهم بدر بن المظفر بن حماد صاحب الفراف . وكان قد
جاهر الخليفة بالخلاف . أناأ كفيكم بسفن مقاتلة . وأغنيكم بمراكب حاملة
وجوارى منشآت . وزوارق وشفارات . من بلد واسط والبطائح . من
الدانى والتازح . فحمدوه وشكروه ومضى وأقاموا ينتظرونه حتى وصل
بالسفن الخفاف والثقال . والملاحين والرجال . فامتنع عليهم عبورها فى
البلد اليهم ورتب الخليفة الرجال فى المراكب للقائهم . واحرقها بالنار وارداهم .
ولما شق عليهم ذلك ردوها الى نهر عيسى بعد ان مدوها الى القرات .
وأخرجوها فوق بنداذا فى الصراة . وتكاملت مدة شهرين فى ذلك . ثم

بدأوا بمقد جسر على دجلة فوق دار السلطان من تلك الزواريق . واتسعت طريقهم في العبور بالتغريب والتشريق . وضائقوا في الحصر من الجانبين . وشددوا في منع الميرة وقطع الاقوات بمجدع الاتوف وقطع اليدين . ووصل اليهم من الحلة اسراء بنى أسد ورجالها . وقتلوا أبطالها . وقالوا هذه بغداد من جانب دجلة ما عليها سور . وتوانىكم في هجمها قصور وخور . فسلموا اليها المراكب لهجمها . وما اسهل علينا ان نفتحها . واذن لم السلطان في الزحف فركبوا المراكب مستثمين مملين . وعبروا الى المدينة على الموت مقدمين . ولما وصلوا الى قرب السور خرجوا من السفن شاكين . فخرج اليهم من الباب من ممالك الخليفة من طاردم وجالدم . وم مع ذلك يمدون من الشاطئ . ويوسعون الى الموت خطوة المصيب غير الخاطئ . ثم يكثر عليهم رجال بغداد كثرة حصلوا منها تحت العسر . وفي قبض الاسر . ونظافروا الى السفن ففرق أكثرها . وانخسف بهم موقرها . وقبض الامير حسن المضطرب وأخوه ماضى وعدة وافرة من معروف بنى اسد . وعدم كثير ممن غرق أو قتل أو فقد . وأمر الخليفة تلك الليلة بصلب حسن وأخيه على دقل زورق . واصبح الباقيون على السور مايين معلوب مشنق . ومقتول معلق . ففتح الله خليفته من المهابة لاوليائه . والمهابة لاعدائه . كل باب مطلق . وسقط في أيديهم . بعد ما بسط من تعليمهم . ولما طال الحصار . وتمادى الانتصار . خاف الخليفة التلاء . ففتح الاهرار . واقتصر للاجناد في الاعطيات . على تفريق القصور فيهم والثلاث . وأخذوها واحتاجوا الى أثمانها في النفقات . فمروها في الاسواق وباعوها بالدينار . فحمد بذلك استعمار نارا الاسمار . وما زاد سعر في الاقوات

ولا غلام مملوم في وقت من الاوقات

وفي صفر سنة ٥٥٧ هـ وصلت قافلة الحج فوجدوا دار الخليفة محصورة .
والهم من الخارجين على خلاف تمطيتها مقصورة . ونزلوا في المعسكر
السلطاني ثم تفرقوا الى بلادهم . ورحلوا طالبي أغوارهم وأنجادهم . ومن كان
من بغداد تحيل في الدخول الى منزله . والوصول الى منله . وبنفداد
حيث خلق من التجار يريدون بل يؤثرون مرافقة الحاج . ويقولون متى
أخذوا البلد نهبوا بضائنا . واستخرجوا ودائنا . فخصروا التاج وأكثروا
الضجاج . وحاولوا من ضيقهم الافراج . فقال لهم الوزير أمير المؤمنين
يقول لكم أنتم في حرم احساني . وفي ضمان أمانى . ولكم بى اسوة وهذه
النوبة . مالكم بانوبة . وأموالكم في البلد مصونة . وبأسباب الرعاية منامضونة .
واذا خرجتم وضعتوها على طرق الطوارق . وتعرضت لكم دون السمر عوائد
الحدثنان في البوائق . فاصبروا فان الصبر محمود الدواقب . والله لنا كفيل بفعل
ناب النوائب . فضجوا حتى أضجروا . وزجروا فاضجروا . فوكلوا الى أرلهم
الفائلة . وآراهم الحائلة . فاستبقوا الباب . وما استبقوا الالباب . فخرجوا وأحرزوا
تلك البضائع في الدار السلطانية . ولم يقدموا مع تلك القتن على السفارة
الهندانية . فما مضت عليهم الا أيام قلائل . حتى غالتهم غوائل . فنهبوا وسلبوا
وأصبجوا فقراء . وهذه سنة الله في الاغنياء . اذ كانوا أغنياء . وسندكر سبب
ذلك ان شاء الله . قال وأما العسكر النازل فان السلطان رأى مراسلة الخليفة
بالاستعطاف والاستمطاء . والاستغفار والاستغفاء . وكان في صحبته من العلماء
صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الحنبدى وشمس الدين أحمد شاذى النزوى
فأرسل كلا منها على حدة فلم يمكنا من الوصول . وقيل لا مطمع في نجمع

السؤال بالرسول . فانكم لو أردتم الاجمال . لقدتم الارسال . والآن ان
استرجعتم . ورجعتم ورأى الورى . منكم الندم على ما فعلتم . فهناك نسمع
الرسائل . وتقبل الوسائل . ففقط القوم من قبول الرسالة وشرعوا في
الشر وعادوا الى المدوان ولجوا في المصيان والطيان . وتخريب العمران .
وانخرقت مهابتهم عند أهل بغداد . فطلبوا بكل نوع عليهم الاستحواذ . فصاروا
يكبسونهم في الضياع . ويفافسونهم ^(١) بالقراع . ويقطعون الطرق على علاقتهم .
ويوجدون السبل الي تكثير غنائمهم . وكانت الاكلاك واصلة من الموصل
اليهم بالميرة . والاقوات الكثيرة . فتلقوها في دجلة فأخذوها . وعبروها
عليهم وعجزوا ان ينقذوها . وامتنع أهل الموصل بعد ذلك عن تسير
الاكلاك فما أنفذوها . وكان وزير الخليفة منذ وصل محمد للمحاصرة
واصل مكاتبة آتابك شمس الدين ايلدكز وحشه على الحركة مع أحد
الملكين ملكشاه أو ارسلان شاه الى همدان فوصلهم الخبر بأن ملكشاه
هجم على البلاد . واستولى على الطراف والتلاد . واقتطع الاقطاعات
وحوي الغلات . ورفع الارتفاعات . فقت ذلك في عضد المسكر وتضعضع
ببائهم بهذا الخبر . وحمي أيضاً عليهم الحر . واشتعل البر والبحر . فاجتمع
عند السلطان الحواجكية والامراء . والامائل والكبراء . وكان الوزير شمس
الدين ابو النجيب الاصم الدرگزني والمستوفى رضى الدين أبو سعيد الخوافي
ونائب الاستفتاء كمال الدين ابو الريان ومن الامراء آتابك أياز وعز الدين
سماز وشرف الدين كردبازو ومسعود البلالى وظاهرهم على الراى زين الدين
علي كوجك الموصلى وقالوا نمبر باجمنا الى الجانب الشرق ونصدقهم القتال .

(١) غافسه أي فاجأه وأخذه على غرة اه محيط للثيروذابادي

ونديم عليهم النزال . فان تيسر الفتح . فقد سفر النجح . وان تمذر وتمسر تفرقنا
على . واعدة المعاودة . من قابل . وحصلنا من ادراك الطوائل على طائل . ثم
عمدوا الى الجسر الذى لهم فاحكموه . وتجاسروا على الحكم الذى اعتمدوه .
واصبح المسكر فى يوم الاربعاء من شهر ربيع الاول وقد اخذ عدته . ولبس
شكته . وركب خيله . وسحب من السوانج على السوابق ذيله . وشرعوا فى
المبور على الجسر مزدحمين . وعلى الثور بالمنية مفتحين . واتفق فى ذلك اليوم
هبوب ريح عاصف . وتموج بحر من الهواء قاصف . وتلاطفت الامواج .
وتزاحت الافواج . وتقل الجسر وانقطع . وهم المسكر ان يرجع . فلم يجد
طريقاً للرجوع . وخاف من على الجسر من الوقوع . فعدوا ايديهم الى
الدبابيس . فاضطربوا واضطروا الى التنكيس والتعكيس . ولم يشعر من ورائهم
بالامر ولم يطلدوا على انكسار الجسر وانخرعوا لما هالهم . وحسبوا ان خطبا
غالهم . فهاموا وما فهموا . وهموا بما وهموا . وركب السلطان عند اشتباه
الخطاب . واتجاه الحبط . وشط نازلا ونزل الى الشط . قليل لزين الدين
على كوجك ان السلطان قد ركب . وان المسكر قد اضطرب . وانه قد
عبر الى الدار . وحصل على الاستشمار . فركب أيضاً فى المسكر الموصلى
على سبيل الاستظهار . ولما شاهد اهل بغداد اختلافهم واختلالهم .
واختلاطهم واختباطهم . فتحوا أبواب البلد . وهتفوا بآرباب الجلد . ونادوا
بشمار أمير المؤمنين ونصره . وزحف العالم فى بره وبحره . وجذفت السفن
الخفاف بمن خف من الرجال . وهجم الحق على الباطل بالابطال . والقوم
مشغولون بانفسهم . حاثرون لما عراهم من تمكسهم . ومن حصل منهم فى
الجانب الشرقى . لا طريق له الى الجانب الغربى . فتمحهم البغداديون على الدار

السلطانية وأجلوهم عنها . وأبدوهم . منها . ودخلوها ونهبوا ما فيها . من الأموال
المودعة . والانتقال الجمجمة . وعاثوا في بضائع التجار وودائع السفر . ولما لم يبق في
الدار شيء . فملت أبوابها . وقطعت أسبابها . وانصرف القوم هائنين . خائنين
سادمين . نادمين . وشغلوا عن أمثالهم . وشغلوا بأشغالهم . ووقفوا على
صهوات الخيل . إلى دخول الليل . ثم سرروا وأدبلوا . وعرجوا إلى تلك المسالك
ولم يُعرجوا . وساروا بالجانب الغربي . من عساكر همدان وأذربيجان . مع عسكر
الموصل للضرورة . ودفنوا إلى ما لم يقدروه ولم يخطر لهم من الأخطار المقدورة .
وأصبحت بندگان وقد أتاها الله بالفرج . وقرن بهاءها بالهيج . وأحكم حكم نصرها
من العاطفة بالحجج . وأنجى أهلها في سفينة السكينة من طوفان الفتن المتلاطمة
الاجيج . وغيض الماء وقضى الأمر . ونصر الحق وحق النصر . وكف المقتنى
عن اقتناء المنكفين . وستر على المستترين منهم في الحال والمخفين . وانتشرت
عساكر أمير المؤمنين في البلاد . واستبشرت بالنصر المعتاد . وعرفت الأعاجم
أنه لا مطمع بعدها في بندگان . قال : وكنت حينئذ ببندان . وجبرت قصائد في
ثناء الامام واستخدمني الوزير عون الدين تلك السنة في النيابة عنه بواسطة
فئقاني من المدرسة إلى الممل . وعطاني عن الاشتغال بالعلم وظن أنه
حلاني بشغله . من الممل .



ذكر وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد

داود بن ميكائيل بن سلجق وشرح نبذ من

(أحواله من ابتداء عمره الى خاتمة أمره)

—•••••—

قال رحمه الله : توفي سنجر يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الاول سنة ٥٥٧ بعد خلاصه من أيدي الفز وكان مولده بظاهر سنجار يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ٤٧١ وولاه أخوه بركيارق بلاد خراسان سنة ٤٩٠

—•••••—

ذكر السبب في ذلك

—•••••—

قال : كاتب بلاد خراسان في أيام ملكشاه ساكنة الممالك آمنة المسالك مشحونة الاطراف بالشحن مسكونة الاكناف بالسكن ووطنه الديار بالابرار دارة المواطن بالبار ونظام الملك بنظام الملك مستتب مستدق ونائله لذوى الفضل مستكف ولذوى الجهل مستكف وما بخراسان رأسان وما تسلط بها سلطانان فلما استشهد النظام وأباح حي ملك ملكشاه الحمام انفسخت تلك المقود وانفسخت تلك اليهود واستشرى الشر واستشرى الضر واستولى كل صغير على كبير وكل مأور على أمير وكان

للسلطان . لكشاه أخ يقال له ارسلان ارغون وكان قطعاً يبلغ سبعة آلاف
 دينار في نواحي همدان وساوّه قفيل له الي كم تزم مرارة العطالة والقناعة .
 وتهجر حلية الملك والحلاوة . وحركوا ساكنه . وبغثوه على شغل أخى عنه
 مساكنه . فنزل عن قراء القرار . وركب مطا المعار . واشتد بطل الطالب .
 وشد لبب الخبيب . وجاء الي نيسابور فما تمكن منها . ودفعه أهلها عنها .
 فصعد مرو مرو . وقال أملكها ولا غرو . فاقعد لاسره الاير قوذن
 شحتها . وجعات تحت مكنته أمكنتها . فقوى ارسلان ارغون بقوده . فانه
 وجد الجواد وعدم الكوذن . واستولي على بلخ وترمد وصنطه خراسان .
 وحيزت بلدانه البلدان . وكتب الي ابن أخيه السلطان بركيارق د انى قد ملكت
 موضع جفرى بك داود جتنى . بجدى وجدى . وقد رضيت به رضا
 قانع . وأنا فيما سواه غير طامع ولا منازع . وأنا باذل لما تطالبون . وحامل
 لما فيه ترغبون . فرأى بركيارق انه بالدارق فى شغل شاغل . وهم زائد غير
 زائل . فأمسك عنه . وأظهر انه قبل منه . ثم بدا له وآثر قتاله وكان عنده
 عمه الآخر بورى برس بن الب ارسلان فأهضه لقتال أخيه وضم اليه مسعود
 ابن ماجر وأخير آخر التوتاش . واجتمعت عليه عساكر خراسان فطار . ن
 النشاط وطاش . وحث الزم البطاش . فلما مسعود فان التوتاش توم . نه
 بما قبل له . قننك به وبولده . وصار الامر كله فى يده . ووزر للملك بورى
 برس عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك فوضع ورفع . وفرق وجمع .
 وخرق ورقع . وضيق وأوسع . وصاف بورى برس أخاه ارسلان ارغون
 وصدمه . وحط عليه وحطمه . وهز طوده وهزمه . فعاد ارسلان ارغون
 الي بلخ مكسوراً مخسوراً . وأقام بورى برس بمكانه منفسوراً مسروراً . ثم

أرسل ارغون إلى الأطراف والأوساط وحشد وحشر ونهض إلى
 صرو وفرض مروها . وحط ذروتها . وفتحها عنوة وهدم سورها . وقتل
 جمهورها . وبرز بوري برس من هراة لقصد لقاءه . وحفظ البلاد من
 بلاته . فزحف العسكر إلى العسكر . وطن الذباب في المغفر . وضيق الثعاب
 في لبة الفضنفر . وجنى ثمر النصر من ورق الحديد الأخضر . وطارت فراخ
 الجباب إلى أوكار القل . وأدمت لواحف السهام من الحدود . وامن القبل
 وبرز البوار لبوري برس وكسر . وأدرك وأسر . وحمل إلى أخيه ارسلان
 ارغون فما رق له ولا رفق . فاعتقله في ترمذ ثم خنقه . وأخذ وزيره عماد الملك
 ابن نظام الملك وصادره على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله . ولم يترك سواه إلا عمله
 لا جرم أخذه الله وأقدر عليه قدره . وسلط على صفوه كدره . فانه عاد إلى
 صرو وظن انه ملك . وان خصمه هلك . فقال له منجبه « أرى عليك تعاماً .
 وأنت لا تملك لما قدر دفاً . والحزم تمركز وتمحرسك إلى أن تؤمن المخافة .
 ولا تخشى الآفة » فاحتجب عن أصحابه . واغلق رتاج ابوابه . ولم يدع إلا
 مملوكاً صغيراً كان به يأنس فانتظره . وانكر تأخره . فلما حضر عاتبه كيف
 ابطأ . وعاقبه حيث اخطأ . فضربه السلام بسكين منه وصرعه . فقضى
 موضعه . فلما قيل للملوك لم فلت ما فلتته . وتلام قذته . قال « اردت ان
 اريح الخلق من ظلمه . وكان هذا بقضاء الله وسابقاً في علمه » وقتل ارسلان
 ارغون في سنة ٤٩٠ وسنة ٢٦ سنة

وكان السلطان بركيارق لما عرف استيلاء عمه على خراسان قلدها اخاه
 ابا الحارث سنجر . ورتب معه العسكر . فوصل الخبر بمقتل عمه فكفى قتاله .
 واستصوب انفاذ أخيه وارساله . وسار ومعه سنجر فلما وصل إلى داهستان

وصله الخبر ان اصحاب عمه قد اجلسوا مكانه ولدا صغيرا له . فلما علموا بمقدم
سنجر نهضوا بالصبي وهو ابن سبع سنين وطلبوا من السلطان بركيارق لما
عرفوا قربهم منهم له الامان . واظهروا له الاذعان . واحضروه عنده فأكروا .
واحترمه وقدمه . وكان وصول الصبي في خمسة عشر الف فارس وقد
استصنوه . ونهبوا خزائنه وافقروه . واقطعه السلطان بركيارق في نواحي
الري وهمدان . ودخل بركيارق الى خراسان . وبلغ الى ترمذ واستولى على
جميع بلاد خراسان ونفذ في سرقة دياره . وولاه اخا سليمان تكين ثم لم يكد
تكن بدمه . ثم اقرها على هارون تكين وحده . وأطاعه ابراهيم صاحب
غزنة . وأعطاه الله في البسيطة المكتنة . وبقى سنجر معه لا متوليا متخليا .
ولا موليا متخليا . بل عليه اسم الولاية . وعقد الراى والراية . حتى سمع
السلطان بركيارق عن المراق بما تم من التتوف . وما وهى به من
عقد الوثوق .

ومضى . ويزيد الملك بن نظام الملك الى جنزة . لبعث السلطان محمد بن ملكشاه
على طلب المملكة . وحشه على الحركة . فسار محمد الى الري وبركيارق بها . فلما
وصل محمد اليها فارقها . وأخذت امه زبيدة خاتون نجسها السلطان محمد وخنقها .
ومضى بركيارق الى بغداد على طريق خوزستان وواسط واتصل به سيف
الدولة صدقة بن منصور . وعاد الى بلده بوفر ووفور . وحباء وحبور . وعاد
اليه كوهرايين وكر بوقا فخرج على طريق شهر زور واجتمع عليه من التركمان
خلق كثير وحارب أخاه محمدا بموضع يقال له كور شنبه فانهزم . وانقل حده
وانظم . وسار في خمسين فارسا الى أسفرائين ثم تم الى نيسابور . واستنجد
الامراء واستجده الامور . وقبض على وجوه البلد وأمائله . وأخفى على أعيانه

وأفاضله . ومات غر الاسلام أبو القاسم بن الامام أبي المعالي الجويني في اعتقاله . وكان السلطان سنجر حينئذ يبلغ مع رجاله . ومعه الامير كندكز وأرغش وكان قد استولى على معظم بلاد خراسان رجل يقل له حبشي بن التوتناق . وقد شق العصا بالمصيان والشقاق . وهو مقيم بالدامغان . وتمت استيلائه أكثر بلاد خراسان وطبرستان . وجرجان . و٩٠٠ قفلة كركوه . وقد تعارق منه المكروه . فنهض سنجر في أرغش وكندكز الى قتاله . وهو في عشرين ألفاً من رجاله . ومعه خمسة آلاف فارس من الباطنية أصحاب اسمعيل الحلكي صاحب طبرستان . وقويت قلوب السنجرية بوصول السلطان بركيارق فاقده . واقدام الليوث . واستهلوا استهلال النيوث . وصدموا الاطواد بالاطواد . وأنكحوا الهام بنات الاغداد . وكانت الكرة عليهم ثم صارت لهم . واستحلوا قتالهم وقتلهم . ووقع حبشي في الهزيمة الى بعض القرى فاخذوا ثمن . وحمل الى الاميرين أرغش وكندكز فاعتقلوا . وبذل عن نفسه مائة الف دينار فلم يقبلوا . وقتلوا .

وعاد السلطان بركيارق الى العراق واتصل به جاولي سقاووا وايتكين النظامي واصهبند صباوه ثم جاء الامير اياز في خمسة آلاف فارس مدرع متنع . وقصد همدان وهو في خمسة عشر ألفاً وأخوه السلطان محمد بها في سبعة آلاف فاصطدما والقتيا . واحتدما واصطليا . وتجت الوقفة عن هزيمة السلطان محمد . وأفلت منها بجمع مشرد . وأسر مؤيد الملك وقتله بركيارق بيده تشفيا منه بقتله . لما سبق اليه من سيئات فعله . وانتزع السلطان محمد الى جرجان واتصل الخبر باخيه سنجر فأنعم له واهتم . وساء ماتم . وأفضاليه مالا كثيراً من نيسابور . ثم سار لالقياء ولقيبه بجرجان وصحبه الى بغداد .

وجملا دار الخلافة المأذ والمأذ . وجلس الامام المستظهر لهما . وأفيضت الخلع
عليهما . وعقد الخليفة لهما الاواء بيده . واستقام كلاهما من الملك على جده .
ورحل سنجر على سمت خراسان عائداً . وتأهب محمد لقتال بركيارق عامداً .
وتصافا بقرب رود راور ثم افترقا من غير قتال . واتفقا بمسد ذلك على صلح
وإصلاح حال . ثم انفسخ بينهما عقد السلم . وجرى كلاهما من قصد أخيه
على الرسم . ووقعت بينهما بالرى وقعة أخرى . واتصلت بين العسكرين رسل
المنيا تترى . وحوصر السلطان محمد باصفهان فراسله الملك . ودود بن اسمعيل
ابن ياقوتى بن ميكائيل يمه بالاتصال به . واسمافه في تصرفه بمطالبه . فخرج
السلطان محمد من الحصار . وخى صوب أرائية واخترم مودود قبل اجتماعه
به . وقوى محمد بعسكره . فسار بركيارق لحر به والنقيا على باب خوى فى جمادى .
الآخرة سنة ٤٩٦ . وانهمزم محمد الى بلد آنى . ثم توسط بين الاخوين الاقاصى
والاداني . وقسم الملك بينهما قسمين واستقر ان يكون للسلطان محمد ماوراء
النهر الابيض المعروف باسم فيدروذ مع الموصل والشام . وعاد الملك بهذه القسمة
الى النظام . وخطب بركيارق ببغداد واصفهان وجميع العراق . وسار الاقطار
والآفاق . فلما سكن الى قدرته حركة القدر . ودنا من ورد عمره الصدر .
وتوفى بدروجزد فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٩٨



— عود الى حديث سنجر —

قال واستد امره بخراسان وقويت سلطنته . وتسلمت قوته . فقدر
 قدر خان صاحب ماوراء النهر . انه انت عبر الى بلاد خراسان . لمكها بيد
 القهر . وطمع في سنجر لصغر سنه . ودار تسويل هذا السؤال في ظنه .
 وكان الامير كندكز يكاتبه . وعلى التأخر يكاتبه . فبهر النهر في مائة الف
 يضيئون القضاء الواسع . ويحققون القضاء الواقع . وهو لقصد سنجر . مصمم
 وللقائه مقدر . فانفق ان قدر خان خرج عن عسكره متجرداً . وبخواصه
 متفرداً . وبعد عن غيمه في ثلثمائة فارس متصيدين . فعرف سنجر الفرصة فيه
 فأدركها وانتهزها . واعتد انفراده غنيمه فملكها واحرزها . وانرض اليه
 يرغش اسفهنلار عسكره في عدة متخبة فتصيده من منعيده . ووقع
 في يده وقد سقط في يده . وسهل على سنجر . من امره ما عده عسيراً .
 وحمل قدر خان وأخضر بين يديه أسيراً . ثم أمر به فضرب عنقه وتفرق
 جمسه . وانطفأ شمع . وعاد السلطان سنجر الى مقره . وطلع فيلقه
 بقلقه . وذلك في حياة أخيه بركيارق قبيل أيام وفاته . وساعده السعد
 من جميع جهاته

ثم استمرت سعادته وسعدت أموره . وأثارت ممالكه وطلع نوره .
 وقصده به راه شاه . من أولاد السلطان محمود بن سبكتكين اليه لاجيا .
 ولانجاده راجيا . ولشقيقه المستقر على سرير ملك غزنة مشافقا . مداجيا .
 فرعى وفادته . ورأى افادته . وآثر ايثاره في اجارته واجابته . واختار اختياره

في اغاثته واعاثته . فجعل غزنة منزاه وبلغ الخبر الى السلطان محمد فلم يحمله
وكتب اليه ان « هذا بيت كبير فلا تقصده » فرد نصيح الاخ . واستمد
لاصراخ المستصرخ . وذلك في سنة ٥١٠ . وخرج صاحب غزنة وجرد ذبوله .
وأجري سيوله . وصف خيوله . وزف فيوله . وجاء سنجر والجنتر على
رأسه خافق . والنصر ليمينه مصافق . وكان لصاحب غزنة خدمون فيلاد قد
صفها بين يدي صفوفه . وألقاها قدام الوفه . وعليها الكمامة الحماة . وذووالحجة
الرمائة . وكادت تصح على سنجر الكسرة فان الخيول نفرت من القبول .
حين أقبلت كالسيول . فترجل الامير أبو الفضل صاحب سجستان . وتهور في
الاقدام . ودخل بين قوائم التيل الاعظم فشق بمنجبره بطنه فصاح التيل
وولى ظهره . واتبعت القيلة اثره . فانهزم المسكر الذرنوى . وانتصر الحرب
السنجرى . واحتوي على أموال غزنة وخزائنها . وحصل على ظواهرها
وبواطنها . وكان ملك آل محمود من اول عهده بكر الميفتض . وختم لميفض
حتى اتى سنجر وكسر سكره . وهتك ستره

فلما استنقى أهوال غزنة وفرغ خزائنها المدلوة . ونفض كنوزها
المحشوة . نصب بهرام شاه على سريرها وأمره . وقد خزبها بتعديرها وشفل
ذته بما يؤديه اليه كل سنة من قرار . وهو مائتان وخمسون الف دينار .
وكتب الى أخيه السلطان محمد بشرى الفتح . ويسرى النجى . فوجم لذلك
وكان في مرضه الذى شله . وسقمه الذى نهكه وانحله . وتوفى بعد ذلك
بسنة وقوى سنجر . واجتمع عليه المسكر . وقصد بعد ذلك بسنتين سمرقند .
واجنى جناها الجند . وذلك بعد تطويل حصر . وتضييق عصر . وكان صاحبها
احمد خان . الكبير الشأن . الاثير السلطان . وهو الذى كان له اثني عشر الف

مملوك تركي وكان لا يترك غز والترك يتوغل في بلادهم مسيرة شهرين ، وينتهي ظافر اليد قرير العين . ثم أصابته حلة الفالج . وأعيى طبه على العلاج . وبقي سنجر ستة اشهر يحاصره . ويضايقه ويصايره . الى ان اخرج اليه احمد خان . في حفنة يحملها الفلّان . فاجلس بين يديه ساعة . وهو لا يجحد للكلام استطاعة . ولما به سائل . وشدقه مائل . ثم حمل الى دار الحرم للقرابة التي بينه وبين ترکان خاتون زوجة سنجر . وولى نصر خان مكانه . وأحیی به سلطانه . ثم قدر صاحب غزنة الملك بهرامشاه بعهد سنجر ونكل عن ضمانه . فعزم على التوجه الى غزنة ثانيا . ولاعنة جيوشه وجنوده اليها ثانيا . ونهض اليها ولما بلغ الى بستان عسر عليه الوصول . وحالت الحول . وتمسدت العلوفا . وكان التبن اعز من التبر . والشدة جاوزت حد الصبر . فما اكثرت بذلك وتهور وأقدم فبهربرامشاه رعبة . وابعد الى لهاوور قرية . ووصل سنجر الى غزنة مغبراً . ولكأش الدوائر عليها مديراً . وسلبت أموال وأرماق ونهبت محال واسواق . ولما انحسر الشتاء ورتب امور غزنة عاد الى خراسان ولما توفي اخوه . السلطان محمد بالمرقا في سنة ٥١١ هـ وتولى ابنه محمود السلطنة وحدثت تلك الحوادث احتاج سنجر الى الامام بالمرقا فجرت الوقعة التي قدمنا ذكرها . واوضحنا عرفها ونكرها . وما عاد سنجر الا وقد خطب له بالمرقين والشام والموصل وديار بكر وديار ربيعة والحرمين . وضربت الدنانير باسمه في الخاقين . ويلقب بالسلطان الاعظم معز الدنيا والدين . وولى ابن اخيه محمود بن محمد عهده بالمرقا ونمته بمفئذ الدنيا والدين . وقد ذكر وصول سنجر الى المراق في أيام محمود نوبتين . وفي عهد طغرل وفي عهد مسعود دفعتين . لكنه في زمان مسعود لم يتجاوز الري

﴿ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان ﴾

قال رحمه الله : كان من كتباه المخصوصين به في سفره العميد أبو الفتح ابن أبي الليث وصل معه الى بغداد في ثامن شوال سنة ٤٨٩ . ومع سنجر أتاكه كج كلاًه وذلك في عهد أخيه بركيارق وابتداء خلافة الامام المستظهر واستوزر عند مضيه الى خراسان نحر الملك المظفر بن نظام الملك وكان . بر المبرة . سري الاسرة . منصور الصعبة . مصحوب النصره . ورزق التأيد . والتمكين . ومشى الامور عشر سنين . وقتل يوم عاشوراء من سنة ٥٠٠ . واستوزر بعده ولده صدر الدين محمد بن نحر الملك فكفى المهم . وشقى الملم . ونظام المنشور . وضم المنشور . وقتل ببلخ غداة الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٥١١

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قال : كان لاسلطان سنجر مملوك يقال له قاغاز قد استحسنة واستخصه واشتره بحبه واستخلصه وقد أصبح به صبياً . وشغفه حباً . وتسحب على السلطان بدلاله وادلاله . وما صار يالي لعمله باشتغال باله به بشغل باله . وكان هذا المملوك يعرف بكج كلاًه . اى مائل القلنسوة . وكان الوزير ابدآ نهام . ويرده الى نهام . وقال له يوما « ان عقلت والا دبرت في تسويتك وقومت ميل قلنسيتك » فقال له غير . ككثرث بوعيده . وقابل تهديده

تهديده «اما ان تسوى قلنسوتي وإما ان أسوى عمامتك» فاتفق ان السلطان كان في ضيافة الوزير واصطبح واغتبق عنده ثلث ليال . فلما كان في اليوم الثالث والسلطان في سورة راحه . وسكر اصطباحه . وقد ذهب ذهنه . وضمنت قوة تمييزه . وعينه في عين الملوكة وبده في يده وقد ملكه بتمزته وتميزه . فغافله ونزع خاتمه . وسأره امره وكأته . وقام ومضى وهو حاقده والوزير في حجرته راقده . وقال « استأذنوا لي عليه فقد جئت من عند السلطان بهم اليه » ولج حتى ولج . وكل من كان حاضرا بدخوله خرج . فلما استنخل المجلس . واصنى الوزير له واستأنس . حز رأسه وعلقه من يده ودخل على السلطان ووضع بين يديه فصحا ستجروها له ماجرى من اجترائه واجتراحه . وأخافه ماتم من اقتحامه واتقاه . واستدعى الامير قاجا . وهو أوضح اصحابه في الرأس منهاجا . وقال له سرا « انظر الي ما صنعه هذا المؤاجر بوزيري . وقد نقص على سروري وسريري . فاخرجه من عندي على وجهه سحبا . وقطعه اربا اربا » فقال له « هذا أمر فطيع . وصنع شنيع . وحفظ الناموس يوجب ان لا يعرف احد من رعية بلدانك . ان مثل هذا الامر يتم في سلطانك . بنير استئذائك . فاظهر انه جرى باذنك . وصن جاهك واحذر من وهناك . واركب الآن الي دارك . وارجع الي قرارك » فقبل النصيحة . وكم النصيحة . ثم أمر بمد مدة بقتل ذلك الملوكة اسوأ قتلة . ومثل به أقبح مثله

واستوزر بعده ابن أخي نظام الملك وهو شهاب الاسلام . عبد الدوام . ابن الفقيه عبدالله بن علي بن اسحاق وكان ذا فضل وافضل . وقبول واقبال . وبأس ونوال . متبحراً في علم الشرع . متكلماً في الاصل والفرع . وصارت

للفقهاء في زمانه سوق . وظهرت بهم حقائق وحقوق . ولم يزل مقصدا
للفضلاء ومفضلا على التصاد . سيدد الامر أمرا بالساد . وتحلى الملك
بجلاء . وتحلى بسناء . الى ان توفى بسرّخس يوم الخميس السابع عشر من
المحرم سنة ٥١٥

وتولى الوزارة بعده أبو طاهر سمد بن علي ابن عيسى القمي وكان
وجيه القدر . نبيه الذكر . وكانت وفاته يوم الاربعاء الخامس والعشرين من
المحرم سنة ٥١٦

وتقلد الوزارة بعده الكاشغري وحرف عنها في صفر سنة ٥١٨ وتقلد
الوزارة بعده معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود
وقد تقدم ذكر فضله . وشكر نبه . ولقد كان أعجب الاجواد . وأجود
الامجاد . وهو الذي حسب أيام عمره . ورد كل مظلة جرت علي ذكره .
واستدعاه السلطان سنجر لافتقار ملكه اليه وعول في وزارته عليه . وفنكت
به الباطنية يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من صفر سنة ٥٢١

وقلد الوزارة بعده نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي
وكان أوزر الفضلاء . وأفضل الوزراء . ولم يزل للأفاضل جامعا . وللاراذل
قامعا . وقصده أهل الفضل . وآوام بالاحسان الوافر الى وارث الفضل .
وخدمه العلماء بمصنفاتهم . وخصوه بمصنفاتهم (وصنف له عمر بن سهلان
كتاب البصائر النصرية . وهو الكتاب الذي لم يصنف مثله في فنه . ولم
يسبق الى احسانه فيه وحسنه) قال : وأنشدني باصفهان شيخنا جمال الدين
عبد الرحيم بن الاخوة الشيباني البندادي من مدائحه فيه عند سفره الى
خراسان . واجتدائه منه الاحسان . قوله من قصيدة مدحه بها بنيسابور

ليلة عيد الفطر سنة ٥٢٥

خَلَّ الظَّلَامُ لَا يُدِي الضُّمُرُ الْقَوْدِ يَهْتِكُنْ مَا نَبِثَ مِنْ أَثْوَابِهِ السُّودِ
الَّيْلُ وَالنَّجِيَّاتُ الضُّمُرُ أَخْلَقُ بِنِ إِذَا تَصَارِيفُ أَزْمَانِي حَنَّتْ عَوْدِي
ومنها

وَلِلْقَوَائِبِ مَنِي هَبَّةٌ وَسَمَتْ يَهِنٌ مَا أَزَوَّرَ مِنْ هَامِ الصَّنَادِيدِ
قَرِيعُ الظُّبَى بِالظُّبَى أَشْهَى لِسَامِعِي مِنْ مُسَمِّعِ خَنَثِ الْأَعْطَافِ غَرِيدِ
وَالْأَعْجَبَانِ وَأَحْوَالُ الْوَرَى عَجَبٌ غُمُرٌ مَعْنِي وَحُرٌّ غَيْرُ مَكْدُودِ
وَمَنْشَيْنَ عَلَى الْأَكْوَارِ وَنَحْمُهُمْ سَكْرُ الْكَرَى لَا مَجَاجَاتُ السَّنَادِيدِ
إِذَا أَدْمَأَتْ بِهِمْ أَرْضُ نَبْتِ بِهِمْ حَاجٌ تَلَاعِبُ بِالسَّهْرِ يَةِ الْقَوْدِ
شَامُوا بِرُوقِ النَّفْيِ وَأَشْبَهَتْهُمْ تَطَلَّعْ نَحْوُ لَا بَأْسَ وَلَا جُودِ
حَتَّى أَطْبَاكُمُ وَقَدْ كَلَّتْ عَزَائِمُهُمْ نَدَى الْوَزِيرِ نَصِيرِ الدِّينِ مَحْمُودِ
لَيْنِ السَّجَايَا وَفِي أَثْلِهَا شَرَسُ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ يَكْتَنَانِ فِي عَوْدِ
وَالْمَرْءِ وَالسَّيْفِ مَلَمْ يَبْدِأُ أَرَأَى حَى كَيْتِ وَهَلْ كَفَمُودِ
فَذَاكَ وَالْأَفَقِ مَنِيرِ هَيَادِ بِهِ أَرَوِي لِمَافِيكَ مِنْ وَطْفِ الْمَرَاعِيدِ
كَمَا يَرَاكَ وَالْهَيْجَاءُ كَلَامَةٌ يَنْفَى عَنِ السَّهْرِ يَاتِ الْأَمَالِيدِ
إِذَا أَعْلَى صَهْوَةِ الْقِرَاسِ ضَاكِمَةٌ آتَارُكَ الْبَيْضِ فِي آثَارِهِ السُّودِ
فَدَمٌ بِمَا يَكْمُدُ الْأَعْدَاءُ مَقْتَبَطًا يَفْغَى بِكَ السَّعْدُ مِنْ عِيدِ إِلَى عِيدِ

قال: وصرف عن الوزارة في سنة ٥٢٦ عند وصول سنجر الى العراق
بعد وفاة ابن اخيه السلطان محمود بن محمد وترتيب السلطنة لاخيه طغرل بن
محمد مكانه . وكان القوام ابو القاسم الدرگزني مستولياً على الدولة وسأل

السلطان سنجر أن تكون وزارته باسمه . وتجري رسومها برسمه . ويكون هو بالعراق لشغل طنبرل متديراً . وعلى توفر ماله وجامعه متوفرًا . ويستنيب في الحضرة السنجرية من يكفل بأسورها ويكفي . ويكلف بمصالحها ويشفي . فاجيب سؤله وأصيب سؤله . وعزل العالم وولي جهوله . وصرف ذلك الباضل بهذا الناقص . . وراج الغشوش بكساد الخالص . وتقلد نيابة الوزارة عن الدرگزني ظهير الدين عبد العزيز الحامدي . وكان عبد العزيز هذا يسكن اليه سنجر لامانته وديانته . وهو الممول عليه في خزائنه . وهو يناظر الوزراء في قرب مكانه . وكانت . وانما فوض اليه الدرگزني نيابته لانه علم ان الأمر بغيره لا يتمشى . وان ثوب الملك بدون طرازة لا يتوشى . ولما صلب الدرگزني وضربت رقبته بالعراق . تقلد الوزارة السنجرية ناصر الدين ظاهر بن شغر . الملك بن نظام الملك في جمادى الاولى سنة ٥٢٨ . واستمرت وزارته الى آخر المهدي . وكان في تقوم مائتاً واد واصلاح مافسد باذلاً للجهد . وتوفي بعد مجيء الغز في ذي الحجة سنة ٥٤٨



ذكر جماعة من خواص سنجر وممالكهم ثم سلام

ووضعهم بعد ان اعلام

—•••••—

قال رحمه الله : كان من عادة سنجر ان يشتري غلاما اختاره ثم يتعشقه
ويشتهر بحبه . ويستتر يقربه . ويبذل له ماله وروحه . ويجعل منه غبوة
وصبوحه . ويملكه حكمه . ويوليه سلطانه . فاذا نسخ الايل نهاره . وسيج
البنفسج جلناره . سلاه وقلاه . وتخلي عنه وخلاه . وانتهي في مقتله الى ان
لا يرضى بهجره بعد وصله . ورأى الراحة منه في قتله . ومن جملة
أولئك مملوك كان لصير في اسمه سنقر . فشقه سنجر قبل رؤيته فاشتراه
بالف ومائتي دينار ركنية . بعد تشريف المالكه وعطية سلية . وحكي عن
ظاهر الدين عبد الميز خانزاه انه قال استدعاني سنجر يوما وقال اني آمرك
بما هو اوفق خدمتك . وأوثق لحرمانك . فانرض فيه بئائك . وأت فيه
الممكن يوائك . فأجبت بالسمع والطاعة . وبذل الوسع والاستطاعة . فقال
« هذا مملوكي سنقر الخاص قرة عيني وثمرة فؤادي . وربحانة روحي ونتيجة
مرادي . وهذه خزائني تحت ختاك . ومالي بحكمك . وحول غزنة
وخوارزم قد وصات فاقبضها . وبذل المالك قد عرضت فاسترضها .
وهذه خدمتي التي آمرك بها في حق لا ترفضها واقترضها . ولا تستأذني في
شيء ولا تستأمر . وقدم هذا المهم واستخر الله فيه ولا تستأخر . اريد ان تضرب
له سرايق كسرايق . وتجري له سوابق كسوابق . وتشتري له ألف مملوك

يمشون في ركابه . ويمشون الى جنبه . وتحمل اقطاع من رأيت حل اقطاعه
وتقدم عليه . وتأخذ بلد من شئت وتفوضه اليه . وتجمل له خزانة كخزاتي
بالمال مملوءة . وباجناس الصياغات الذهبية والفضية مجلوة . وتجمل له ديوانا
بجملا بامثال الكتاب . وأفاضل النواب . بحيث يكون بعد اسبوعين
صاحب عشرة آلاف فارس . قال فاستمهلته ثلاثة أشهر فإمهل . وأمر
بترك الريث واستجبل . فما زلت به حتى فسح لي في مهلة شهر ونصف
وشرعت في الامر وأنفقت على ما قدره في عشرين يوما سبعمائة ألف دينار
ركنية . وذلك سوى ما نقلته اليه من الخزانة من الآلات الحسوية . والاثاب
المدنية . وذلك سوى الاقطاعات . والولايات . والتقريرات . ثم أخبرته . ولم
يمض الشهر بانه قد استمر الامر فركب السلطان سنجر فرأى العساكر صفوا .
والخيل صفونا . حول سراق سنقر الخاص فرأى رواء ظاهرا . وبها باهرا .
قال : فماتقنى وشكرني . ونوته بي وذكرني . وفوض الي امر خزانته .
وأمرني بتحصيل مطالبه . ووصى كلا منا بصاحبه . قال : فلم يمض سنتان حتى
اشتعلت نار خده في الدخان فشنف . وأنف . وعاف . وعزف . وسنقر يزيد
في التسحب عليه والتبسط . ويستديم مع عادة التسلل عنه عادية التسلط .
وزاد في غيظ الامراء . واستحقار العظماء . واستصغار الكبراء . وهو
لا يبالي بسنجر اذا توعدده . ولا يلتفت اليه اذا تهدهده . فاستدعى السلطان
يوما جميع أمراءه الي حجرة مفردة . مفردين . ومن جميع أصحابهم سوى
سلاحى واحد مجردين . وقال لهم واذا دخل سنقر الخاص اليكم ضموا فيه
بأجلكم السكاكين فبادروا الي ماأمروا به وامثلوا . ووثبوا اليه وثلوا . وعاد
ذائب الضياء ديجورا . وذلك البهاء هباء . تنثورا

قال : ومنهم قائماز كج كلاه قاتل وزيره . وقد آل تظليه الى تصنييره .
ومن جملة من حباه بحبه . واختصه بقربه . الامير المقرب الاجل اختيار الدين
جوهر التاجي وكان مملوك أمه ومن خواص خدمها وكانت توفيت أم سنجر
في شوال سنة ٥١٧ هـ فانتقل هذا الخادم الى خدمة سريره . ثم غاب حبه على
ضميره . فغلب بذلك على تديره . ورقاه الى ذروة لم يتسنهها أحد قبله .
وأسماء الى رتبة لم تر فيها عين مثله . وبلغ عسكره ثلاثين ألفاً ثم مل السلطان
طول مدته . ودبر في أخلاق جدته . وضاق مجال احتياله . ففس الباطنية
لاختياله . ونغى الى جوهر تعرض جوهره لان يصير عرضاً . وعلم ان عرض
السلطان ان يصير لسهم الخلف عرضاً . فاخفى التي علمها . وأسرها في نفسه
وكنها . فقال السلطان له يوما (يا جوهر اني أخشى عليك هؤلاء الملاحين
فتحرز منهم وتحفظ . وتحزم لامرك وتيقظ) فقال له (لو أمنتني من
نفسك ما خفت أحداً . وما أردت في دفع غائلة القوم مدداً) فاحتدل
السلطان مقالاه . ورأى احتماله . وركب جوهر ضحوة من داره . وخرج
خروج القمر من سراره . وفي ركابه الف سيف مسلول . فلما نزل في
دهليز دار السلطان وكجانه حواليه . وحمانه من ورائه وبين يديه . قفز
اليه نفر من الباطنية . وضربوه بالسكاكين وأزاروه قادم المنية . ولما
ارتفع الصباح قال سنجر وهو في دار حره (هذا جوهر قد قتل) فلم ان
ذلك باذنه صل

قال : وكان عاقلا متأبياً . أربياً متهدياً . ومن نكته المستحسنة ان السلطان
كان أمره ببناء قبة عالية في مرو ويكون فيها ضريحه . وينضد عليها صفيحه .
فوصل الى مرو ورآها غير مفروغ منها فقال (يا جوهر متى تتم هذه القبة)

فقال (لا أتمها الله) فابكى الجماعة بما ذكره . واطفء موقعه قوله عند السلطان وعذره .

ذكر علو همة السلطان سنجر وكرمه .

واسهام أصحابه وأسراؤه من نعمه .

قال : كان حليما حيا مليا . بالعرف وفيا . كبير النفس اريحيا . معسديا لامرؤف . مسديا لامرؤف . مفرقا بالاقلام ماجعه بالسيوف . ذكر عنه انه اصطبغ خمسة أيام متواليات ذهب بها في الجود كل مذهب . وأتى على معظم ما في الخزان من عرض وذهب . فبلغ ما أعطاه من العين سبعمائة ألف دينار أحمر . وجاء ما وهبه من الخيل والخلق أكثر . وعوتب على اسرافه فقال « اما رأيتموني افتح أقبيا يشتمل على اضعاف ما وهبته من المال . واهبه بكلمة واحدة لمن أراه قبل السؤال . فهذا بالاضافة الى ذلك الكثير قليل . وما للدلام الى في نهج هذه السيل سيل . »

ذكر عن ظهير الدين عبد العزيز صاحب خزانته انه قال أحببت أن يشاهد السلطان سنجر ما شتمت عليه خزانته . لتظهر كفاية متوليها وأمانته . فقلت له أخذه لك بالف ثوب أطلس حتى تبصره . وتستمرض صامته وناطقه فسكت وظننت انه رضى بما ذكرته . فجئت الى الخزانة وأبرزت ما فيها واظهرته . وكان فيها ما لم يجتمع قط في خزانة سلطان قبله من طرائف يزد وجودها . وجواهر تجل عهدها . وصررا كياس قد ملأت الالهضاء تقودها . واعلاق

لا يعرف لها قيمة . وصناديق لآلئ كلها يقيمة . فلما نضدته وأبرزته .
ولمقت كل جنس ونوعته ويزته . جئت وقلت له : اما تبصر مالك . وتشاهد
حالك . وتشكر الله الذى خصك به وانالك » فقال « يقبح بمنى ان يقال عنه
انه مال الى المال . او نظر اليه او اخطره بالبال ففرق ما جعلته من الثياب
الطلس على الامراء . واعرض عليهم ما فى الخزانة من تلك الاشياء . وقل
لهم يقول لكم سنجر قد ادخرت هذا لكم . وجمته لافرقه فى قمع عدوكم
وجمع شملكم » قال : ففعلت ذلك ففرحوا واشتبشروا . وحمدوا وشكروا .
وكان سنجر لا يدخل خزانته ولا يمرها نظره . ولا يوجد بخاطره منها خطرة .
وكان لكرمه يحسن الظن بنوابه . ويسلم حكم القلم الى كتابه . مفضلا على
اصحابه . ويقول « ان الدنيا فانية فندعهم يرتمون معنا . ويسمهم من النعم ما
وسعنا » وكانت جواهره فى طبول مغمومة بخته . مخفوفة باسمه . فاذا اراد
منها شيئا استحضرها . وفض خواتيم اقفالها وأخذ منها . ثم أعادها بختها الى
حاملها .



ذكر سبب اختلال ملكه واختلال سلوكه



قال : لما امتدت مدة حياته وأمدت بالطول مادة عمره . تسلط
الامراء على سلطان أمره . وتسحبوا على قدره . وحقر الصغير حق الكبير .
وتأخر الكبير لتقدم الصغير . واستخف الوقور ووقر الخفيف . وصرف
القوي وصرف الضيف . ووقع التحايد بينهم والتحاقد . وارتفع وانحل

التساعد والتماقد . وكان أكابر الدولة في ذلك العهد سنقر العزيزي وبرنقش هريوه وقزل وازرابهم وأقدم منهم قاج وعلى الجتري وقد اختلفت آراؤهم وآرابهم وركب كل منهم ام رأسه . وعضل الاضرار باضراسه . فأول خطأ أصاب سنجر كسر الكافر الخطائي له ولمسكره . ورد صفو ملكه الى كدره

ذكر السبب في ذلك وانكسار سنجر في حربه مع الخطائية

قال : كانت خيول قرأتى في نواحي سمرقند . وقد وفرت لدواهم وانتشرت مواشيهم . وانتشئت غواشيهم وحواشيهم . وخيفت مضرتهم . وخشيت معرفتهم . فأشار الامراء على السلطان سنجر بأن يتوجه لدفعهم . ويتنبه لردعهم . والقوم مستمرون على الصلاح لو خلوا . مستمرون من الفلاح على ما اليه دلوا . فضوا اليهم وضائقوم في مراعيهم . وقايلضوم عن محاسنهم بمساويهم . وأسرفوا في سرقة نسايتهم وذرايرهم . فأنفذوا الى السلطان سنجر وبذلوا له الخدمة بخمسة آلاف جمل وخمسة آلاف فرس وخمسين ألف رأس غنم . ليتسكروا منه باقوى ذمم . وأوفى عصم . وليامتوا على أهاليهم ونسايتهم وذرايرهم . فلما لم يقبل خدمتهم . ولم تحصل عصمتهم . حملهم الحمية على الاحتباء بالتحمل . وآل بكبارهم الترحم والحنو على صغارهم الى الترحل . ودخلوا الى بلاد الترك قاصدين حضرة اوزخان صاحب خطأ وختن ونما . ولم يكن في الكفار الخطائية أوسع منه ملكا . وأنظم سلكا . وأوفر عددا . وأكثر عددا . وكان أمره

ينفذ الى حدود الصين فلما وصلت القرلقية اليهم اقلقتهم . وشوقتهم الى الملك
 وشوقتهم . وأطعمت الكفر في الايمان . واستصرخت على أهل العدل باهل
 العدوان . وقالوا له « ان الممالك بخراسان وما وراء النهر مشجرة . وان السعادة
 من سلاطينها منتشرة . وان سنجر قد تخالف عسكره . وكشف معروفه منكروه »
 فوسع الخطائي خطي وسعه . ودبت عقارب كتابه للسب الدين ولسعه .
 وأقبل في سبعمائة الف مقاتل ووصل في قطع من ليل الكفر المعتكر . ووقع
 من سيل البؤس المنعذر . والسلطان سنجر في سبعين الف فارس . لكن التوفيق
 عليه ساخط . والتأييد من حزبه ساقط . فشهد المشركون وحملوا بكراديسهم .
 واستشهد المسلمون وحملوا الى فراديسهم . وبقي سنجر في عدد قليل . وهدد
 كليل . فقال له الامير أبو الفضل صاحب سجستان « قد أهدقت بنا العساكر
 ودارت علينا الدوائر . فأنج بنفسك لافك مكانك تحت الجتر » فوقف ووقع
 في الاسر . واسرت خاتون زوجة السلطان وبقيت في الاسار . الى أن فديت
 بخمسمائة الف دينار .

واسر الامير قماج وبلي بكل عسف . ولقي كل عسف . حتى فدي بمائة
 الف دينار . واما الامير أبو الفضل فانه علم الكافر استيلاء اولاده على بلاده .
 والاحتواء على طرافه وتلاده فحقق اقتراحه . واطلق سراحه . وقال « مثل هذا
 البطل الهمام . والشجاع المقدم . يجب الابقاء عليه . والاحسان اليه » وهذه الواقعة
 كانت في سنة ٥٣٢

قال : واستولى هذا الخطائي على بلاد ما وراء النهر . وحصل المسلمون معه
 تحت القهر . واستشهد على يده الامام حسام الدين بن البرهان بن مازة رضي
 الله عنه بخاراً . ولقد كان في علم الشرع لا يبارى ولا يجارى . وهلاك اوزخان

وتوات اخته بعده . وتولى تخته وبخته . واستمرت مملكة الخطائية في ما وراء
النهر . الى هذا العصر . والولاة مسلمون من قبل ولاية الكفر . قال القنبح بن
علي بن محمد البنداري الاصفهاني مختصر الكتاب : وتماادت . منهم في تلك
البلاد . واستيلاءهم بها على العباد . الى أن قبض الله تعالى استيلاءهم على يد
السلطان السعيد علاء الدنيا والدين محمد خوارزمشاه بن السلطان تكش بن
ايل ارسلان بن اتسز بن محمد فانه جرد عزيمته لقطع شأفتهم وقلع ارومتهم
واعتقى بشن الفارات عليهم . وتوالى الركضات اليهم . حتى اخرجهم من بلاد
ما وراء النهر . وصب عليهم سياط القسر والقهر . ثم توغل ديارهم . وجاس بلادهم
حتى قلمهم اجمعين . ولم يبق من الخطائية نافخ ضربة في الارضين . وذلك بعد
سنة ٦٠٠

ثم اخذ في قهر جنس آخر من كفار الترك ومم التارية وممالكهم تنتهي
الي آخر بلاد الصين . فلم يزل عليهم ظافر الجند . ونصور الجند . متوغلا مسيرة
خمسة اشهر من خوارزم الى بلادهم . باسقاط يد السبي والهب في ذرايرهم
ونسائهم . وطرافهم وتلادهم . الى ان اجتمعوا واحتشدوا وخرجوا فاحجم عنهم
السلطان فأخذوا بجميع بلاد ما وراء النهر . ثم دخلوا الى بلاد خراسان فخرّبوا
ارباعها . وأخذوا قلاعها وسبوا نساءها . وقتلوا رجالها . وانتهبوا ذخائرها واماؤها .
والحجاز السلطان عنهم الي بلاد الجبل فتنبعوا اثره الي حدود اصفهان . واخذوا
الري وقزوین وهمدان . وقتلوا جميع من كان في هذه البلاد . وما تأمخها من
الاغوار والانهاد . وكان ابتداء دخولهم الى بلاد خراسان في اوائل سنة ٦١٧ .
وجرى منهم على المسلمين من القتل والاسر والقهر ما لم يمهد مثله ولم يرد ذكره
ابد الدهر . وطالت . منهم في بلاد الاسلام واقاموا فيها على وتيرة واحدة

لا يفيتون من سفك الدماء وشن النارات ثلث سنين الى ان خر جوا من طريق
آذربيجان مخربين للبلاد . سافكين دماء البباد . وتوغلوا منها الى بلاد اللان .
وهنا الى ارض قفجاق ثم عادوا من تلك الطريق الى بلادهم . والله تعالى يكفي
المسلمين شر معادهم . ولا يمكن استيفاء شرح معرفتهم . وذكر ما جرى
على الاسلام من مضرتهم . الا في مجلدات طوال لكننا المنابذ كرها
ههنا على اجمال . والحمد لله على كل حال .
عاد الحديث

ذكر انتعاش سنجر بعد ان عثر وانتقاه وانجباره

بعد ان شيك وانكسر

قال : وكان عند اتجاء سنجر لجهاد الكافر وقتاله . انتهز خوارزمشاه
أتسز بن محمد بن نوشتكين فرصة اشتغاله . فر الى مرو ودخلها عنوة وقتل
وجوه أهلها . وحرق بالجور مجاوري حزنها وسهلها . وجلس على سرير سنجر
ومد الطغراء ووقع ونهى وأمر . وتقل من الخزانة السنجرية صناديق جواهره
ولما عاد السلطان عن وجهته عرف خوارزمشاه ان القدر غير مظاهره فرجع
الى خوارزم . واستوبل ذلك الزم . ووصل سنجر الى دار ملكه فاستجد
الجد وجمع الجنود ونهد الى خوارزم ووصل الى قلعة هزارسف فحصرها .
ورمى بالحجر حجرها . وكان له خندق عريض عميق فجعله همه . وكان الماء
قد حلما به فطمه . وقسم السور على أسرائه فحسروا لثامه . وحققوا انشلاؤه .

وفتحت القلعة عنوة . وأضحت لما يرام فتحة من القلاع أسوة . وذلك بعد
 ان قتل عليها وفيها ألوف . وجذعت أنوف . وتعرفت نوب ونابت صروف
 ثم وقع الصلح . واسفر بعد تلك الظلة الصبح . ورد خوارزم شاه على سنجر
 صناديق جواهره التي أخذها من الخزانة بمر و بختها . وحقق سلامة نفسه
 بحق سلبها . وركب ووقف بأزاء سنجر من شرق جيحون . وقد سير
 في البر والبحر عسكره المبرور وفلكه المشحون . ونزل بحيث يرى وقبل
 الأرض . وتقبل القرص . وعاد سنجر الى خراسان وهو عنه راض
 والقدر بنصره قاض . ولم يزل أمره يمشى . وبرد ملكه بالحسن يتوشى .
 الى أن أراد الله شت الشمل . وبت الجبل . فلب العز . وسلط
 الفز . وتحملت عقود الدولة . وتغلبت حدود الصولة . واتقنى الدهر .
 وقضى الامر

ذكر نوبة النز وذلك في سنة ٥٤٨ هـ

قال رحمه الله : النزم من التركمان طائفة . للضم عاقبة . وكانت في اهتمام
 الامير قاج . وهي تحمل اليه ما عليها من الحراج . وأميرها قرقود ووطوطي
 بك يخدمان الحضرة . ويحضران الخدمة . وما زالت شوافعهم مقبولة .
 وذرائعهم موصولة . حتى تمنى عليهم الامير قاج ذباً تنصلوا منه فلم يقبل .
 وتحيلوا في تحليل عمد سخطه فلم يحلل . وأرضوه بكل طريق وطريق فلم
 (٣٣ - آل ساجوق)

يرض وضيق عليهم من واسع البسيطة الطول والمرض . واضطرم الى
 . غرته . ودفعهم الى الشر لدفع معرفته . فاوحشوه وناوشوه . وهارشوه
 وهاوشوه . ولم يتركوا في جلاده جلداً . وقتلوا له في تلك الواقعة ولداً .
 فازدادت ضراوته . وثار ناره . والتهب ناره . وأبرق وأرعد . وأرغى وأزبد
 وغض غضبه من حلمه . وسد جهله سبيل علمه . وحضر صلحاء القوم في
 اصلاحه . وانهوا في البذل الى غاية اقتراحه . وبذلوا له احضار قتلة ولده .
 وايقاعهم في يده . فابى الا قتلهم وقتلهم . وقلمهم واستنصلهم . وماج قجاج
 في بحره الزاخر . وصرف الى قصدم أعنة الساكر . فركبو اليه
 وأكربوه . والتهبوا به وألمبوه . وهزموه وهشوه . فجاء الى سنجر وهو
 قلق حلق . وكأنه بالنبيذ مخنق . وقال له « قد اختل الملك . وانحل
 السلك . فان قدمت عنهم أقاموك . وان لم ترمهم ولم ترمهم راموك وراءك .
 فانهض اليهم بجنودك . ورد نحوهم بسعودك » فلم ير أحد من أولئك
 الامراء اشارة أحد لذلك الامر . وما شادوا بالشر . وقالوا السنجر « ان
 هذا قاجا قد شاخ . وباخ . وخشى وخاب . وأخطأ الصواب . فان أنجده
 خذلت . وان هويت هواه لذعت وعدلت » فأنف قجاج وشنف وعنف
 ولم يزل بسنجر حتى صنى صفوه . ونحا نحوه . وأمر أمراءه بالتأهب . وأضرى
 ضره بالتهلب . وسار في جمع كالخضم زاخر . وسواد كليل الحب بلا آخر .
 فلما عرف الغز انهم غزوا . والى الشر عزوا . وصلوا وتوصلوا . وقالوا نخدم
 السلطان بخمسين الف رأس . من جمال وأفراس . وبمائتي الف دينار ركنية .
 وبمائتي الف رأس غنم تركية . ونحضر قتلة ولد قجاج . ونلتزم كل سنة
 بخرج وخراج . وخشعوا ولانوا . وخضعوا واستكانوا . فأغلق سنجر باب

القبول في وجوه هؤلاء الوجوه . وأبى أن يهادمهم بنير المكروه . فتوغلوا
وتوغلوا . وتمزلوا واستقتلوا . ولجأوا إلى أرض لا يسلك إليها إلا في واد
لا يمتنع حرسه أكثر من مائة فارس وأعدوا في الطرقات الطوقان . على رسم
قال التريخان ونشروا المصاحف يطلبون أمان أهل الإيمان . ثم اشتدوا
وشدوا . وأعدوا واستمدوا . وجعلوا الخركاهات كالأسوار محذقة . ونيران
التصال من ورائها لحدق محرقة . وصبروا حتى لا يسهم المسكر . وفي قلبه
سنجر . وامتلاً الوادي بسيل الحيل . واجتأب النهار لباس الليل . وكانت في
المقدمة أسراء خاروا وخاءوا . وهموا بما وهموا وهابوا . واغتم التزاض فاهم :
وركبوا اكتافهم . يقتلون ويأسرون . ويصدون ويكسرون . وعز الخلف
من المضيق . وفرشت جث القتل على الطريق . وقتلوا الأمير قاجا وولده
وأثوا على المسكر وأفتوا عدده وعدده . وخلصوا إلى السلطان سنجر . وفي
خف من خواصه . وجواده قد بخل بخلاصه . فأحدقوا به أحداق
الاهذاب بالحدقة . وحصل في وسط تلك الحلقة المحذقة . وبقي كالركز
في الدائرة . ووقع في الأيدي الجائرة . ونزل أميرهم وقبل الأرض وأمسك
ببناده عنانه . وأطلق بدعائه لسانه . وقال : إن قومك فتحوا بالاذية . ولم
يحسنوا رعاية الرعية . ونحن خولك حولك . تقول بقبولك ونسمع قولك .
وأفردوه عن أصحابه . وعوضوه عن عز جماعه بذل أصحابه . ومكث معهم
ثلاث سنين كالأسير . وقد أَرْضَوْهُ من طعامه وشرابه باليسير . لكنهم يجلسونه
على السرير . ويقفون مائتين بخدمته سوي قرغود وطوطى بك الأمير
وانشروا في البلاد انتشار الجراد . ودب دبابهم بالفساد . وأذهبوا الأموال
والنفوس . وأعدموا النعم وأوجدوا البؤس . وخربوا مدينة نيسابور وقتلوا

أهلها تحت المذاب . وسفكوا دماء العلماء والائمة في المحراب . وكانوا
يستصحبون سنجر معهم . وهو لا يقدر ان يردعهم . وربما خشن عليهم في
القول ونهام ونهرم . وسبهم وسبهم . وهم لا يجيئون اذ انجهم بالمكروه واسمهم
ولما ليس الباقون من عسكر سنجر من خلاصه . ورأوا مضيقاً عليه
في قفص اقتناصه . فرقوا وتفرقوا . وخفقوا وأخفقوا . فهرب منهم في
آخر عمره ووقع الى ترمذ . وأرهم حد العزم وشحن . فأصابه سهم الاجل
ونفذ . فاحضر عسكره سليمان شاه ابن أخيه محمد ليتولى مكانه . ويجد سلطانه
فلم يفلح ولم ينجح . ولم يصلح ولم يصلح . فبعد الى الري ومنها الى بغداد . ولم
يجد امره لانتفاذ النفاذ . واجمع العسكر على الاتفاق في تولية محمود خان ابن
اخت سنجر واقام بنيسابور متكننا . حسنا في هيئته محسنا . وذلك في ايام
السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه . فكتب له العهد من همدان
وولاه . ثم استولى الامير المؤيد آى ابيه بنيسابور وأخذ محمود خان
واعدمه . وتولى الامور وبقي الفز بمرور وبلغ وسائر البلاد ضالين عن نهج
الرشاد . عابدين للجور جائرين على المباد



سذكر الحوادث بالمراق بمد انفصال السلطان محمد بن محمود

عن بغداد بمد حصارها في سنة ٥٥٢ هـ

٥٥٢ هـ

قال رحمه الله : قد سبق شرح الحصار . وما قوى الله به أمير المؤمنين
المقتدى من الانتصاب والانتصار . وكان من أقوى الاسباب في دفعهم ان
الخليفة راسل آتابك شمس الدين ايلدكران ينهض بمسكركه الى همدان حتي
اذا عرف السلطان محمد ان سريره قد فرع . وان سروره قد رفع . ارتحل
عن بغداد فصار آتابك ايلدكر بالسلطان ملكشاه بن محمود الى همدان ودخلها
واستولى على ذخائر الملك بها ونقلها . وأجلس ملكشاه على السرير . وقام
بين يديه بالتدبير . فلما عرفت المساكر المنازلة لبغداد ان منازلها بهمدان
نزلت . وان ولايتها في ولاياتها عزلت . تشوشت خواطرها . واستوحشت
ضمايرها . واتفق عن بغداد انفلاتهم وانفلاهم . وقدر انفساهم وانفسالمهم
وعادوا الى همدان ولما أحس ملكشاه بقرب أخيه محمد انصرف وانحرف .
وقفاء آتابك ايلدكر وما توقف . وكان قد استوزر المظفر بن سيدي . من
زنجبان وكان كبير الاصل . كثير الفضل . وله نظم رائق . وشعر فائق . فن
ذلك قوله في شمس الدين أبي النجيب وزير السلطان محمد

أبا النجيب وما في الحق مَخْضَبَةٌ أَنْتَ مَثَلِي فَايْنُ الْعِلْمِ وَالْحِسْبُ
وَأَنْتَ أَنْتَ وَهَذَا الْوَفَرُ مَمْتَلٌ إِلَى سِوَاكَ وَهَذَا الْأَمْرُ مَنْقَلَبُ

وقوله

إِنِّي وَتِيحَانُ أَسْلَافِي وَتِلْكَ لَنَا أَيْةٌ بَرَّةٌ لَا تَمْتَرِي فِيهَا

لَا لَحْظُ الْمَلِكِ الطَّاعِي بِصَوْلَتِهِ شَرُّ رَأَوْا عَرَضَ عَنْ غَشِيَانِهِ تِيهَا
يَبْنِي الْوِزَارَةَ قَوْمٌ يَكْثُرُونَ بِهَا وَقَدْ تَصَاغَرَ قَدْرِي فِي تَوَلِيهَا
فَلَدَّتْهَا مَكْرَهًا وَالْقَوْمُ فِي قَلْق يَرَاوْغُونَ سُمُوءًا فِي مَرَاقِبِهَا
وَعَفَّتْهَا طَائِمًا وَالِدَوْلَةُ اضْطَرَبَتْ مِنْ بَعْدِ مَنْ هُوَ بَعْدَ اللَّهِ بِحِمِيهَا
وَرَدَّ نَفْسِي إِلَى التَّقْوَى تَيَقُّنُهَا أَنْ النَّقْيَ هُوَ مِنْ أَجْدَى مَرَامِيهَا
وَأَسْأَلُ الْحَقَّ بِالْحَسَنِ إِذَا انْقَلَبَتْ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهَا وَمَوْلِيهَا

قال : وبقي السلطان بعد ذلك سقيم الامل قسيم الالم . عديم الشبه في سيرته لكنه شبيه المدم . متوجع الجدم متعوج الرسم . ممضوض النشاط مقبوض الانبساط . وكان في عصره أكابر الدولة من الفحول . وذوى الهمم والعقول . عز الدين ستماز وناصر الدين آقش وأمين الدين أبو عبيد الله أمير الدولة ومن الخدم شرف الدين كردبازو ونجم الدين رشيد وهؤلاء مازالوا أكابر في الدول . مقدمين ذوي المديد والجيش والخيول . يلازمونه في السفر والحضر . ويثبتون معه في سبيل السلامة . وواذع أخاه ملكشاه وعقد له على خوزستان فاستمكن منها منهاجه . ولا تم بها ابتهاجه . لاستيلاء الأمير ايندغدى ابن كشتفان المعروف بشمله عليها وتغلبه وتبطل أمره بطلبه . فبقى في البلاد دائرا حائرا . صابرا بالبلاء والى الضيق صائرا . وأما السلطان محمد فانه مع تكسره . وامتزاج صحة مزاجه بسقمه . ووقوف رصد المنون على لقمه . رغب في التزوج بابتة ملك كرمان فخطبها مما هوفيه من خطبه . وبذل وحمل . واتحف واحتفل . ووردت الحاتون الكرمانية فزيت لتقدمها القصور ووفر لحضورها الجبور وهم اذا

بهذهان واستقبلها السلطان لمرضه في الحفة . وأحلها في كنفه . وتركها لا يقدر منها على منعة . ولا يطبق الالمام من روضها برتمة . فما اقتضت باقتضاها قدرته . ولا اقترت باقتراعها سرته . بل عجز عن البناء عليها . وقصرت يد صحبته عن الامتداد اليها . وبقيت في جنبه مخيمة . وفي حياته . تأيعة . وعرضت للوزير شمس الدين أبي النجيب هيضة غربت بها شمسه . وفاضت نفسه . وغاض بفيضه رمسه . وانقطع غده ونسي يومه أمسه . ولقد كان أقوم قومه سيرة . وأمثل امثاله وتيرة . وكان بالتواضع حاليا . ومن التكبر خاليا . وقلد السلطان وزارته ضياء الدين بن مجد الدين بن عوجة الاصفهاني فنقله الى الوزارة من منصب الطغراء . وزف عروس تلك المرتبة منه امثل الاكفاء . ولقد كان في السيادة عريفا . وبالرئاسة لييفا . لكنه جاءته الوزارة وهو مشارف الوجل . ومشار الاجل . فما قرب من الوسادة حتى قبر ووسد . وما قام خطه بقدره حتى قاومه القدر واقعد . فحزن السلطان . ووته . وحزبه فوته . وكان قد طالت له صحبته . وأدالت منه لذته صحبته . وهو يمدد بالوزارة ويمرضها المثل . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل . ومكث السلطان بعد ذلك لاحيا فيرجى ولا ميتا فيسعى ثم انه توفي يوم السبت لانسلاخ ذى القعدة سنة ٥٥٤هـ وكثر عليه الترحم . وزاد بمصابه التألم . فانه كان أوفر السلجقية حلما . وأوفرهم علما وأجهم للعدل . وأجهم للفضل واختلف من بدده الامراء فاجتمعت أراؤهم على استدعاء الامير ايناج صاحب الري . ونشروا من الامر المستور بما لانه ما كان في الطي . ثم تعارضت أراؤهم وتناقضت أهواؤهم فنهزم من مال الى ملكشاه أخيه المتوفى . ومنهم من رأى الارسال الى الملك ارسلان لمكان اتابك ايلدكز

زوج امه . ومنهم من أشار بتجليك سليمان عمه . وكان الامير ايناج يومئذ
أكثر جندا . وأكثف جمعا وأرهف حدا . ومال الى سليمان وقال هو
أسلم جانباً وأوطأه . وأثبت عن الاذية رأيا وابطأه . والخليفة كان قد ولاه
ووالى اليه الجليل وأولاه . فاذا أجلسناه قلم الخليفة بتريته . ورضى بتوليته
قال وكان سليمان بالموصل في اعتقال على كوجك فاتفق الامير ايناج
وناصر الدين آتش وشرف الدين كردبازو على ارسال الامير مظفر الدين الب
ارغون صاحب قزوین الى الموصل للوصول به . وكوتب صاحبها في طلبه .
وكان زين الدين على كوجك اطلقه عند علمه ب وفاة السلطان محمد وجهازه بعد
التوثقة منه بالايمان . فقدم واستقر بهمدان على سرير الملك ودخل في
طاعته سراة الترك وانتظم أمره . واضطرم جره . ووافقه غنائمه . ووفاه
مخالفوه . وأصبح بالامير ايناج حل الدولة وعقدوا . ويده حبلا . وبأيده
وصلها . وصار مظفر الدين الب ارغون بن يرتش صاحب قزوین . الامير
الحاجب الامين . وقد وزارته شهاب الدين محمود بن الثقة عبد العزيز
النيسابورى وكان وزير ايناج فنذت في الاقاليم اقلامه . ومضت بالاحكام
احكامه . وأعاد الى وجه الوزارة ماءها الذهب . وأوضح في انارة افاقها
المذاهب . ولما رأى انه ليس في الاكابر اعظم من اتابك شمس الدين
ايلدكز وان الملك ارسلان بن طغرل معه . وانه ربما قصد سليمان ليدفعه
سير اليه بولاية ارانية منشورا . ونظم وضم ما كان هناك منشورا . منشورا
وجمل ولاية العهد للملك ارسلان بعد سليمان . وتذل الصب وهان .
وحسبوا ان السلطان بعد غموضه ينه . ولكأش يريق . ومن سكره يفيق
فبقى على الشرب مكبا . وللمب محبا . وللمقل هاجرا . وللمع زاجرا . فلا

جرم حالت حاله وساء ماله . وسندكر ذلك بعد ذكر بعض الموادث في أيامه . ونصل افتتاحه بافتتاحه

ذكر وفاة الامام المقتنى لامر الله وجلوس ولده الامام محمد

المستنجد بالله أبي المغنفر يوسف امير المؤمنين

قال رحمه الله : كان الامام المقتنى لامر الله بعد الحصر آثر ان يخرج الى البلاد ليراه . ويشري بيركة حركته تراها . فاحضر طرفا الاخضره وما نظر كنفه الانضره . وكان في اقامته عسكريه طال ام قصر سفره الاخبار والاغنام والحواشي والملائق تفرق على عدد الناس والدواب . وعساكره مجرون . من جرياتهم . ونفاقهم واعطيتهم على المياز والمحابب فما ينفق لاحد فرس الا اخلفه عليه . ولا يلتبس صاحب مونة ولا مونة الا عجل بها اليه . واجناده يتمنون ان تعول اسفاره . ليدوم لصبح سماتهم ببطاياهم اسفاره . ووصل الى واسط في أواخر صفر سنة ٥٥٤ هـ وانا نائب الوزير ابن هبيرة بها وخرجت في أصحابي للتلقي . وكنت من زحمة اللقاء على غاية التوق . فبصرت بموكب الخليفة وقد أبطل في أفواجه . كأنه البحر في امواجه . فنزلت وتقدمت اليه . وقبلت الارض بين يديه . فوقف لاركب اشفاقا على من الزحمة . وكانت فطرته مجبولة على الرأفة والرحمة . وقال له مخلص الدين ابن الكيا الحراسي هذا الذي يقول في أمير المؤمنين من قصيدته كأنه يصف هذه الحالة

لما شغفت الزم وهو مؤيد بالخزم أسفر بالني منك السفر
وبرزت مثل الشمس تشرق للورى وسناك يحجب عنك ناظر من نظر
بمظلة سوداء تحمى هالة وجه الامام يضي فيها كالقدر
وقال الوزير هذا صاحبي وقد وليته . وأصبحت وأوليته . وبهيج بخدمتي
ونجح . وبذخ بنياتي ورجح . فوصى الامام وزيره بي . وأعجبه ستي
وأسلوبي . وسار على رسله ودخل الى دار الديوان . وجلس ساعة في
الايوان . ثم قام وجلس الوزير في الدست وكتب ووقع . وقال واسمع .
والناظر حينئذ في واسط الامير شمس الدين أبو الفضائل فأتى وهو من
أكابر الخدم الذين لهم المزايا والمزاين . ثم انتقل الخليفة الى سرادقه . والوزير
الي مضاربه . ونزل أرباب الدولة كل منهم على مراتبه
قال : وحضرت بميدان واسط والمقتنى رضى الله عنه حاضرا ومعه
أولاده ولي العهد المستجد يوسف وأبو علي وأبو أحمد وولده المستجد أبو
محمد وهو المستضي الذي تولى بعده ولعبوا بالكرة . ولم يلبث بواسط ثلثه
أيام حتى عاد الى بغداد سريعا وكان وصوله للانحدار الى الزراف فزاد الماء
زيادة منعت المبور فرجع على نية الرجوع . وعند عودته غرقت بغداد
وذلك في شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ وذلك لان الماء زاد في تلك السنة
على خلاف عادته وتهوره بتي التورج وتقور . وغلب وبلغ السور من صوب
الظفريه وتسور . وطاف بتلك النواحي طوفان نوح . وراح شبح كل بناء
بغير روح . وكان ذلك منظرا هائلا . وقدرا نازلا . وطارقا كثرت طرقة
وفقا عسر رثته . وركب الوزير وأرباب الدولة فصدوه وسدوه . وردعوه
وردوه . واتفق انه نقص ووقف . وغرق معظم ما من ذلك الماء العظيم

غرف . ولما انصرم الصيف وانكسر الحبر وصل المفتي الى واسط مرة أخرى وانحدر الى ناحية التراف وعزل عن ولايتها ظفرا خادمه وولاهها أبا جعفر بن البلدي وقبض على ابن اقلح وزير ظفر وعاقبه . والزمه بما استخرجه من دقات ابن حماد وطلابه . وكبا به الترس في بعض تلك الاوقات فوقع وتألم . واعتذر بصحته اليه القدر مما تجرم . وذلك في شهر رمضان من السنة

ولما دخلت سنة ٥٥٥ خرج الخليفة الى هيت وكان مقطعا نور الدولة ابن الامير العميد فغل عنه الاقطاع . وألزمه شحه المطاع . وأقبل من سفره سافر الاقبال . ظافر الآمال . فعااد حتى عاده سقم . والم به ألم . فتوفي في يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاول سنة ٥٥٥ وانتقل الى جوار الرب . طاهر الذليل نقي الجيب . أمين الغيب . برياً من العيب . ولما عرف ولده وولى عهده الامام المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ان والده قد وقع اليأس عنه أشفق من اتمام الامر لاخته ابي علي . وانه للمهد غير ولي . وهجم الدار . وقبض الكبار والصغار . وعقل واعتقل . ونقل وانتقل . وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده . واحتوى على طارفه وتالده . وقبض عدة من الامراء الخيلية بماليك الخليفة المفتي واعدمهم . وانتخب جماعة من مماليكه وأمرهم وقدمهم . وأخذ القاضي سديد الدين بن المرخم أخذاً شديداً . وردد المذاب عليه ترديداً . الى ان فاضت نفسه . وغاض به رمسه . وحبس المخلص ابن الكيا الهراسي مدة ايام خلافته . وحرمه حظ عاطفته ورافته وأقر عضد الدين ابن رئيس الرؤساء على استاذية الدار . ورفع قدره على الاقدار . وأقر عون الدين ابن هبيرة على وزارته . وبقي ماء الدولة به على

غزاراته . واستولى على دولته مملوكه قايماز . وعز بالاستظهار وظهر بالاعزاز

ذكر مراسلة الخليفة للسلطان

قال : وأرسل الخليفة الى السلطان سليمان . يسأله الطاعة والاذعان . ويطلب منه ان يخطب له في جميع البلاد . ويقوى رجاءه منه في نيل المراد . ويذكره باحسان الامام المقتنى اليه . وأفضاله عليه . فبادر السلطان الى اتمام الارض . وامثال القرض . وقبل كتابه وقبله . وكتب الي البلاد ليخطب له . وظن ان بغداد قد وصلت الى بنيته . وحصلت في قبضته . وانها في انتفاخه مضته فرتب القاضي نبيه الدين ابا هريرة الهندي رسولا . وكان مقبلا في ستمه وسهته مقبولا . وهو من أعيان المملكة وأماثلها . وعلماء الامة وأفاضلها . وندب معه الامير ابن طغايرك ليكون ببغداد والياً . ويبد ما رخص ونزل من قدم السلجقية غالياً عالياً . فعزم في عدة . وزعم انه على عدة . وسار القاضي والامير ومن مهمما مع رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظمي ذوالنطق واللسن والرأى الحسن . والعلم والقصاحة . والحلم والخصافة . فاستصحب القاضي والامير ووصل . على ظن انه بالمراد حصل . فلما قربا قربا . وبالرغائب ورغبا . واقامت الوظائف . ووضعت اللطائف . واقاما مدة للتقرب والترقب . ثم قاما للتعلم والتغلب . وقالوا انما حضرنا للتعرف والتصرف . لالتوقي والتوقف . فقال لهما الوزير ما بالكما . وما حالكما وبم ارسالكما . وفيهم سؤالكما فقالا ما جئنا لنذهب . وانما جئنا لتخاطب ونخطب . فقيل لهما ما أتما الا سفيرا اهتداء واهداء

وخفيरा ولاية وولا، والتمرض للخطبة تعرض للخطوب، ولا ترغبا في الخطبة
ان رغبنا في الولاء المخطوب، فقال رسولكم بها وعد فقيم اخلاف المدة .
واللاف الجدة، واثارة الثائرة الموجهة للوجهة . فقبل لهما ما كان لرسولنا ان
يقول ما لم نشر به . وفيهم رضانا عن مرسلكما ان شربه وسربه . وغدا يوافقكم
رسولنا على انه لم يقل ما قلناه . ولم يسعد ولم يحل فيما به عقدتماه . فافترقوا
للاجماع في غد والمعاودة لموعده .

فاتفق ان رسول الخليفة وهو الحاجب سونج النظامي في تلك الليلة توفي .
واخذ سراج حياته واطفى . وكنتم سره تحت التراب واخفى . وكان هذا من
اعجب الترائب . واغرب العجائب . حتى تحدث الناس بذلك الحادث . وانبشوا
لذكر ما تجد عليه من المباحث . وقيل انه خير بين ان يقتل صبوا . او يشرب
سما وما فيها حظ المختار . وقيل بل بقضاء من الله جار . وأجل . ووقت بمقدار .
فلم يجر بعد وفاته لتلك المواعدة معاودة ولا وافة . ووقعت من الرسولين
. منافرة ومنافاة . فاتفق ان القاضي أيا هريرة أحد الرسولين توفي بعد أسبوع
من وفاة سونج . ولم يكن دينه أيضا من القدر بمنج . فرجف الناس وأرجفوا .
وتحدثوا بما عرفوا وبما لم يعرفوا . واستشعر الرفيق الآخر وقال ما في
الاقامة خلاص . وأقلت راحلا وله خصاص . فانه غلب على ظنه انه ان أقام
قضى . ولحق بمن مضى . فتلاشت تلك الرسالة لعدم رسلا . ولروعة مثل
ذلك الحادث لم يرجعوا الى . ثلها . ووقعت في انفسهم . من بنداذ الهمية . ومن
حصولها الحية . فلم يقدم ملك اليها . ولم يقدم سلطان عليها

قال : وفي هذه السنة وهي سنة ٥٥٥ توفي ملكشاه بن محمود بن محمد
وذلك انه لما عرف ملكشاه ان عمه ملك . وان حساب الممالك به تفذلك .

وانه يتمود خلوته . ولا يخل عاده . ويريد هواه . ولا يهوى ارادته . نهض
 وافر المدد . وافى المدد . وجاء الي جي . بلالى . ووفر جود اهل اصفهان
 بحضوره . وأذعنوا لاوامره اذ عنوا بأهـ وره . واستبشروا وأنسوا ببشره .
 ونشروا الطيب وطابرا بنشره . وقالوا عاودتنا الالطاف الالهية . وعادت
 علينا الايام الملكشاهية . وأقام وسير الكتب الى الاطراف . بالاستمالة
 والاستمطاف . وخطب الموولها عن الخطب . وغفل عن اسراع الذوى
 الى عوده الرطب . وكان منرورا بالكباب مشبوب الفرار . مقدرا للامن
 آمنا من الاقدار . فلم ينقض عليه شهر حتى اشترانه قضي ومضي . وان برقه ويومه
 مضى . وذلك فى يوم الاثنين الحادى عشر من شهر ربيع الاول من غير مرض
 سبق ولا عرض عرض . بل كانت له منية قد استهوته واستفوته .
 وخبلت خلبه وسلبت ابيه . فصاريا كل من يدها ويشرب . ونجىء بحبها
 ويذهب . وقيل انها بقت . وتة فأت بقتة . وقيل بل اصابه سكتة . واتها
 قد رغبت حتى سقتة سما . وكان قدرا حتما . قد احاط الله به علما



﴿ ذكر ما آل اليه امر السلطان سليمان . وكيف جفاه زمانه وخان ﴾
 ﴿ وكيف قبض من مجلس ملكه . ونقل الى منزل ملكه ﴾



قال : لما اتسع ملكه . واتسق سلكه . ظن الامراء انه قد لاحف
 الفلاح . وصالح الصلاح . فلم يرضوا بالاحسان اليه لحسن ظنهم فيه ومازالوا
 في تقرير اسبابه وتسيب قرار مساعدته ومساعدته حتي بدا لهم ابداله فان
 الامير ايناج عاد الى ربه . والسلطان سليمان انهك في غيه . وأخل مظفر الدين
 صاحب قزوين بموضع الحجة . وثبت الباقون من الامراء على الفتك بالسلطان
 فانه اشتغل بلهوه ولها عن شغله . وجد حبل جده بخبله . وقالوا الصواب
 ضبطه وربطه . وقبضه لابططه . ومكتوامدة يتشاورون في خلمه . ويتواصرون
 في وضحه . ويكاتبون شمس الدين اليلدكز ليقيم باين زوجته الملك ارسلان بن
 طغرل وانهم لا يقطعون امر حتى يصل وأحكموا المهد وأبرموا المقد . واتفق
 انه حدث بالسلطان سليمان . مصرع لصبرة من فرسه . فقضت بضيق نفسه
 ونفسه . فمادوه لاله وعادوه في امله . واعتقلوه في قصر من الدار السلطانية
 ووكل كل امير به من ثقاته جماعة . واعتقدوا على اضاعته عهدا واعتقدوا للمهد
 اضاعة . وذلك في شوال سنة ٥٥٥ ثم انهم نقلوه الى قلعة همذان وجرعوه
 كلما مسومة . وازاروه ميتة مذومة . وكانت وفاته في ثالث عشر شهر ربيع
 الاول سنة ٥٥٦ بمد جلوس ابن اخيه في السلطنة



— ذكر جلوس السلطان ركن الدنيا والدين ابي المظفر ارسلان —

✽ ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان ✽



قال : وصل ارسلان الي مبدان بعد اعتقال عمه في ذى القعدة من السنة وجلس على سرير سروره . واجتاب خبر حבורه . ونعت شمس الدين ايلدكز آتابك الاعظم . فتقدم وأقدم . وأهان وأكرم . وكان السلطان تحت سلطانه . يرتوى من احساء احسانه . ويأكل من خوانه مع اخوانه . فان أولاد آتابك ايلدكز بنو أمه . وصار واسطة عقدهم ورابطة عقدهم بنظمه اليهم وضه . وسعى سمد آتابك ايلدكز بقدم التقدم . وجدته جدته في التوسع والتوسم . وتصاغر له الكبراء وأثمر له الامراء . وتقررت الوزارة على شهاب الدين محمود بن الثقة عبد المزبر . والحجبة على طغرلتكين اياز . وأقاموا بهذان شهرين ثم توجه السلطان الى اصفهان وجعل ساوه مسلكه . واستصحب معه ايلدكز آتابكه . ووصل اليه في ساوه الامير ايناج بك سنقر صاحب الرى فاتبه بليته واتى به بهجة . وأقام بايضا حجة خلوصه على حكم طاعته حجة . وصار بينه وبين آتابك ايلدكز مصاهرة وتمت بذلك للسلطان معها مظاهرة . وزوجت ابنة ايناج بابن ايلدكز الاكبر وهو نصره الدين بهلوان محمد وهو أخو السلطان لأمه . وأقروا أهل الدولة بهم . ثم اكرموا ايناج وردوه الى ولايته غير انه باق على عتوه . راق في غلوه . تشكره بتكره ايلدكز متكره . متأثر قلبه من تقدمه . وتأثر

لكنه أبدى الرضا بما بدي . وأظهر انه مع الاولياء . وأسر كونه مع العدى
ووصل السلطان والجماعة وأثين بالذكور . معتدين بعمله المشكور .
الى اصفهان ودخل السلطان الى دار السلطنة فاحتل سريرها . وقرَّبها ساعى
العين قريها . ومدوا باصفهان أيديهم . وأجندوا تعديهم . وأخذوا البريء
بالسقيم . والكريم بالثيم . والحيد بالذميم . وساقوا الناس بقلم التوزيع الى
لقم التوزيع . واستثمروا أصول المصادرات بالتفريع . وسدوا الانهار على
البساتين حتى أخذوا أثمان المياه . وشفهاوا الموارد وصدوا عن الصادى ورد
الشفاه . وأقام السلطان كذلك برهة ولما عزم على الرحيل تلوى عليه الامير
عز الدين ستماز وتخلي عنه وتخلف . وتوقى منه وتوقف . وكان قد كاتب
الامير ايناج لمناوة السلطان . وشق العصا بالمصيان . واستدعاء أخيه الملك
محمد بن طغرل من فارس وأحسن السلطان بالتدبير . فوقع في التشويش
والتشوير . فان آتابك ايلدكز وأولاده كانوا بهندان . وهم لا يظنون من
أولئك بالايذاء الايذان . فأغذ في السير . واستعار في القدوم عليهم قادمة
الطير . فلما اتصل بهم أفرخ روعه وأفرق . وأشرف ضوؤه وأشرق . وامتد
ايناج من الرى متوجها مسارعا الى لقاء السلطان ومناجزته . قبل التقاء
آتابك ايلدكز به ومحاجزته . فاتصل بايناج عز الدين ستماز وصاحب قزوین
الب ارغو في جموع حاشدة . وحشود جامعة . والملك محمد ابن طغرل
معهم وقتلهم معه . وقد ضاق القضاء بالسكر فما وسعه . والسلطان في
عرمرمه العرم وجحفه الحفل

فزحف الجيشان . ورجف الجاشان . وتحرك المجران . وتحرق الجران .
وكان اجتماعهما بنواحي الكرج . وكرب الحرب معوز القرج . وكان

السلطان قد اتهم الوزير بمداجاته . ومكاتبة ايناج ومناجاته . وكانوا حملوا السلطان على قتله . وحذروه من مكره وختله . فاسمع فيه مقالا ولا رأي له اعتقالا . بل وكل له في السر جماعة يظهرون أنهم في خدمته . ويظاهرون في حفظ حرمة . وكان في اهتمام نصرة الدين بهلوان فقرر أمره على هدايا يهديها . وأربعين ألف دينار يؤديها . فأخذوا منه في المآل المال . وتركه وافية الثيل والقال . فصرفوا المال في مصالح العسكر . وعاد الوزير الى سمده الازهر وجده الابهر . وقدم الحركة . يوم المعركة . ولما تواقف الجمعان . واجتمع الموقفان حملت ميمنة ايناج على ميسرة السلطان وكسرتها فوجد السلطان ووجم . وهجم عليه الهم بما هجم . لكنه ثبت في قلبه . وانتهى ايلدكز فحمل بأولاده وصحبه . وخفقوا على قلب ايناج فنجوا وقلبه خافق . وهمه لوهمه مصافح مصافق . والطرد من ورائه ورأيه في الطراد . وغاب في الغبار وأضرته دياجي الضمر الجياد . واصابت وجه الوزير في هذه الواقعة ضربة سيف أذهبت عينه اليمنى . ولم يدركه بمد ذهاب ذهبه وعين نضاره بذهاب ناظر عينه اليمنى . وحمل الى همدان في محفة ليتداوى . وشمت به عداته وعادت ضواربها عليه تتعاوى . فولى ايناج مدبرا وأدبر موليا . وخلي رحله ورحل متخليا . وعاد السلطان الى عادته في السلطنة واتسع ملكه . واتسق سلكه ودار فلكه . ودر فلكه . وتفرّد زوج أمه آتابك ايلد كز بالامر والنهي . والنشر والطي . والحسم والصكى . والاثبات والنفي . فأدني وأبعد . وأشقى وأسمد . وراقب الاضراب . وضرب الرقاب . وحاجبى الاعضاء وعادى الاحباب

ولما وضعت الحرب أوزارها وجه السلطان الى الرى برأياته . ووصل

سراياه الى ايناج لقطع سراياته . فقدموها وجبوا اعمالها . وجنوا أموالها .
وجموا ذخائرهما . وفرقوا اخايرها . وكان ايناج منهم نجوة . وقد قنع من
الميش بفقوة . وهو في حدود الدامغان وما زال بها يستعطف ويستسعف . ويتوصل
ويتوسل . الى ان صلحت أسبابه واستتب صلحه . ونجحت آرايه وأرقي نجهه .
وقصروا رأيهم على القناعة بالرى . وتموض برشده عن النى . وحلت عنه
جرباذقان وساره . وعادوت مبيشته وعيشته الطلاوة والحلاوة . ورحلوا
الى قزوين فتحصن صاحبها فى قلعة سرجهان . وعان وعانى الامتحان
والامتهان . قرقوا المال . وجموا الاموال . وأقاموا الى ان دم الشتاء
بشتات الدهماء . ورحل البلاء بنزول البلاء . فانهم لم يقيموا بالمكان ولم
يتمكنوا من المقام . وفكوا عن البلدة عروة الازدحام . وسار السلطان
نحو همذان . وآتابك ايلدكز الى آذربيجان . ثم استقرت سلطنة ارسلان
ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وعدم فى عزه ونفاذ أمره الاشياء . وحكم
عليه وعلى البلاد جميعا شمس الدين ايلدكز زوج أمه . وجرى فى اقامه ناهوس
سلطانه على رسمه

وكانت الوزارة مستورة بشهاب الدين الثقة . وله من الناس لكرمه
وعلوهمه المقة . الى ان توفى باصفهان واستوزر بعده الوزير نخر الدين ابن
الوزير المعين المختص ولما توفى بهمذان بعد سنين استوزر جلال الدين ابن
القوام الدرگزى وامتدت وزارته فى الايام الارسلانية . ووفى باحكام
الأحكام السلطانية



ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ هـ

وفاته آتاك ايلدكز قبله

قال رحمه الله: كان السلطان قد تزوج بأخت غر الدين رئيس همدان. فاتفق
وفاته شمس الدين ايلدكز بنجوان . وتمكن ابنه محمد المنعوت بهلوان .
وهو أخو ارسلان من أمه . فأراد الاستبداد دونه بحكمه . وكان ارسلان
مریضاً فنقل الى دار زوجته بهمدان وتوفي بها . وقيل ان أخاه بهلوان سقاه
والحزم في بقائه مأثماً . وأجلس ولده طغرل الصغير . وشغل به السرير .
ونفذ أوامره في الممالك . واضحة المسالك . واسعة الممالك . وما زال
أمره مستقيماً واستقامته مستمرة . وثنايا دولته عن مباسم السعود مفترية .
الى ان توفي بهلوان في أوائل سنة ٥٨٢ هـ وتولى أخوه مظفر الدين قزل
ارسلان بن ايلدكز الملك . ونهج المسلك ونسق السلك . وطغرل قد شب
وأرب فوجد أمره مهجوراً . وعزله محجوراً . فأحب الانفراد .
وأراد الاستبداد . فهرب ليلاً وانضم اليه جماعة من الامراء بهلوانية .
ويعثوه على التوحيد بالعرزة السلطانية . وكان سيئ التدبير . يعاقب على التهم
بالقتل والتدمير . وكانت بهلوانية قد انجدوه . وساعدوه وأسمدوه . وأقام
قزل ارسلان مراراً فأقعدوه . فاتهم يوماً على غيلة أضرمت نار اشتطاطه .
فقتلهم غيلة على بساطه . فنشرت منه القلوب . وتمكن قزل ارسلان .
وتضعضع السلطان . واتهم وزيره عزيز الدين بن رضى الدين يوماً فقتله
وأخاه صبراً . وزاد في فتكه بخواصه كلها انكسر ولم يلب خيراً . واغتال غر

الدين رئيس همدان وسه . وسلط على كل من قرب منه وهمه
 وهمه . وكلما تمكن أزججه عمه قزل ارسلان حتى وصل في سنة ٥٨٥ الى
 الامير حسن بن قفجاق وتزوج بأخته . وجرى معه على حكم وقته . فنهض
 معه لينصره . ويمضده ويوزره . ووصل الى مدينة أرمية فأغلقوا بابها دونه .
 والقفجاقية معه يسعدونه . فدخلوا المدينة واستباحوها ونهبوها . واجتاحوها
 وخربوها . وسير السلطان صلاح الدين من الشام رسلا في الاصلاح بينه
 وبين قزل ارسلان . فدان له ولان . وكاد الصلح يتم . والخبر يميم . فأبى سوء
 الاراء استواء الآراب . وتستر الصواب بالحجاب . فمن للسلطان ان يقصد
 قزل ارسلان بهمدان . اخماداً ليران الاقثنان . فقبضه يوم قدومه واعتقله
 في بعض المعامل . فتفتت آثار تلك الطوائف . وسكن الدهر . وقضى
 الامر . وضرب قزل ارسلان النوب الخمس . ووطن على الاستبداد بالسلطنة
 النفس . ولهى بالصفاء عن الكدر . وغفل عن القضاء والقدر . فوجد ليلة من
 الليالي بهمدان مذبوحاً على فراشه . وقد ينس عائر الملك به من انتاشه .
 وكان بين حفاظه وحراسه . ولم يعلم من الذى أقدم على قطع رأسه . وذلك
 في شعبان سنة ٥٨٧

وسار ابن أخيه نصرة الدين أبو بكر بن بهلوان الى آذربيجان فملكها . وسار
 أخوه قتلغ ايتانج بن بهلوان الى طريق الري فملكها وأدركها . وسعى بعض
 الامراء في اخراج طغرل من محبسه . واعاده من السلطنة الى مجلسه ومضى
 الى دار الملك همدان . وأستأنف الامكان . واستجد المدل والاحسان . فجاء
 السلطان خوارزمشاه في سنة ٥٨٩ لانتخب على المملكة . فلقبه السلطان طغرل
 في المعركة . وخرق بفتة قليلة الصف الخوارزمي . واظهر البأس الرستمي .

فأحرقوا به ورموه . واخذوا رأسه وما ذب عنه أصحابه ولا حموه . وسير رأسه الى بغداد . واستولى السلطان خوارزم شاه على البلاد . وختمت الدولة السلجوقية بطغرل . وكان افتتاحها بطغرل . وكانت مدة ملكهما منذ وصل طغرل بك الى بغداد الى هذه الناية ١٤٠ سنة . وكانها اشبهت سنة . فسيحان الذي ملكه لا يزول . وحكمه لا يحول .

ذكر الوزراء المتولين

قال رحمه الله : كانت الوزارة لجلال الدين بن التوام فلما توفى وزر اخوه قوام الدين . ثم عزل واستوزر كمال الدين الزنجاني . المعروف بالتمجيلي . وبقي سنين وعزل . ثم استوزر صدر الدين قاضي مراغة ثم استقرت الوزارة بعد عزله على عزيز الدين ابن الرضى . ذى الخلق والكرم المرضى . ثم جرى ما جرى من قتله . وأذن الملك بشتات شمله

قال : وفي شهر سنة ٥٦٥ . وجد ايناج صاحب الرى مقتولا على سريره . ولم يعلم كيف كان سبب تدميره . وأضيف القنك به الى مماليكه . بتدبير الوزير وتشريكه . وكان وزير ايناج سعد الدين أسعد الاشلى . فاستوزره شمس الدين ايلدكز واستقل . وكان وزير ايلدكز من قبله غنثار الدين

قال : وتولى السلطان طغرل فى الدولة الامامية المستنصرية . وكانت ولاية المستنصر . بأمر الله فى ربيع الآخر سنة ٥٦٦ . وانتقل الى رحمة الله تعالى فى آخر شوال سنة ٥٧٥ . وتولى الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن

المستفىء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بن المظفر رضى الله عنهم
أجمعين

قلت وامتدت ولايته الى آخر شهر رمضان سنة ٦٧٢ وتوفى في هذا
التاريخ وتولى ولده الامام الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد وتوفى رضى الله عنه
في رجب سنة ٦٧٣ وتولى ولده الامام المستنصر بالله أبو جعفر منصور اعز
الله انصاره . وضاعف اقتداره

قال الامام عماد الدين رحمه الله: وقد كنت اوثر ان انهى هذا الكتاب
الى آخره بشرح حادثة كل عام . والانهاء فيه الى كل صرام . لكنه بغيري
الى الشلم . وتباعدي عن معرفة صروف تلك الايام . اقتضت على
ما عرفته من المجمل . واستغنيت بها عن ذكر المفصل . ولان
السلطنة في تلك الايام وهنت وهانت . وبانت اسباب
اختلالها وظهرت اسرار وهائثا وهانت . وما
تمكن وزير من سيرة سارة . ومبرة
بارة . حتى اتوه بذكوه وأنبه . وفيما
انشأته من محاسن الايام
الناصرية كفاية . ولكل
موفق الى هداة
هداية

فهرست

كتاب تاريخ دولة آل سلجوق

صحيفة

٣	مقدمة المؤلف
٥	نبذة من بداية حال السلجقية
٩	ذكر دخول السلطان طغرل بك الى بغداد في سنة ٤٤٧
١١	ذكر الحال في ذلك
١٢	ذكر عوارض عرضت وحوادث حدثت
١٣	ذكر عود السلطان الى بغداد وحضوره بين يدي الخليفة
٢١	ذكر سبب تولي ابن دارست وزارة الخليفة الى حين انصرافه
٢٢	ذكر حوادث في هذه السنين
٢٤	ذكر وصول السلطان طغرل بك الى بغداد
٢٥	ذكر وفاة السلطان طغرل بك بالرى
٢٦	ذكر سيرة طغرل بك
٢٧	ذكر جلوس السلطان ألب ارسلان
٢٩	ذكر نظام الملك
٣٠	ذكر ما جرى لآلب ارسلان بعد ملكه
٣١	ذكر وصول أبي سعد محمد مستوفى المملكة الى بغداد
٣٢	ذكر حوادث طواريء وطوارق واتفاقات وموافقات

صحيفة

- ٣٦ ذكر أحوال الب ارسلان بديار بكر والشام
- ٣٧ ذكر خروج ملك الروم وكسره وقسره وأسره
- ٤٢ ذكر احداث حدثت في هذه السنين
- ٤٤ ذكر وفاة الب ارسلان سنة ٤٦٥
- ٤٦ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن الب ارسلان
- ٤٨ ذكر وفاة القائم بأمر الله وتولي المقتدى بأمر الله
- ٥٢ أيام السلطان ملكشاه بن الب ارسلان
- ٥٦ ذكر الاكابر والكتاب في زمانه
- ٦٢ ذكر ظهور الاسماعيلية
- ٦٤ ذكر نبذ من حوادث وأخبار في أيام ملكشاه الخ
- ٦٨ ذكر أبي منصور بن نظام الملك
- ٧٣ ذكر دخول السلطان ملكشاه الى بغداد
- ٧٥ ذكر حوادث
- ٧٦ ذكر حال ولاية بركيارق بن ملكشاه
- ٧٧ وزارة أبي عبد الله الحسين بن نظام الملك
- ٨١ ذكر خروج السلطان محمد بن ملكشاه من جزيرة أروان الى الري واصفهان
- ٨٨ وزارة أبي نصر أحمد بن نظام الملك
- ٩٤ وزارة أبي منصور محمد بن الحسين البيهقي
- ٩٩ ذكر جلوس أنو شروان بن خالد في نيابة الوزارة
- ١٠١ تولي كمال الملك على السمرقاني أشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه

صحيفة

- ١٠٦ ذكر وزارة أبي منصور ابن الوزير أبي شجاع
 ١٠٩ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
 ١١٥ ذكر وصول السلطان الاعظم سنجر بن ملكشاه من خراسان الى
 حدود العراق
 ١٢٤ ذكر وزارة شمس الملك بن نظام الملك
 ١٣١ ذكر وزارة الدرگزيني في سنة ٥١٨
 ١٣٦ ذكر وزارة أبي نصر أبو شروان بن خالد
 ١٤٢ ذكر ما حدث بعد وفاة السلطان محمود الى أن استقر الملك لطنغرل
 ١٤٥ ذكر جلوس السلطان طنغرل بن محمد بن ملكشاه
 ١٤٦ ذكر ماجري للملك داود بن محمود بعد وفاة أبيه
 ١٤٩ ذكر حوادث جرت من السلطان مسعود وآبالك آق سنقر الاحمديلى
 ١٥٢ ذكر ما كان من حديث عمى العزيز وحادثته بعد عوده الى القلعة
 ١٥٤ ذكر قتل الوزير الدرگزيني وما آل اليه أمر طنغرل
 ١٥٦ وزارة شرف الدين على بن رجاء
 ١٥٨ ذكر جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
 ١٦٣ ولاية أبي جعفر منصور الراشد بالله
 ١٨٦ ذكر زنكي بن آق سنقر في آخر عهده
 ١٨٧ ذكر مقتل جعفر نائب زنكي بالموصل
 ١٩٢ ذكر حال أبي جعفر محمد بن على بن أبي المنصور
 ١٩٤ عود الحديث الى ذكر ماجري للسلطان مسعود بعد موت جاولى

صحفية

- ١٩٥ ذكر وزارة ابن دارست الفارسي
- ١٩٧ ذكر الحوادث التي انحلت بها تلك العقود الخ
- ١٩٨ ذكر وزارة شمس الدين ابن النجيب الاصم الدرگزني
- ١٠٢ ذكر ماجرى باصفهان من الفتنة بمد مصرع بوازيه
- ٢٠٢ ذكر بعض الحوادث
- ٢٠٤ ذكر وصول السلطان سنجر الى الري
- ٢٠٥ ذكر حوادث في تلك السنين
- ٢٠٦ ذكر ما عجد من الملك ملكشاه و وفاة السلطان مسعود
- ٢٠٨ ذكر جلوس السلطان ملكشاه بن محمود
- ٢١٠ ذكر جلوس السلطان أبي شجاع محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه
- ٢١٢ ذكر ماجرى للسلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجلوسه على
- سرير السلطنة
- ٢١٣ ذكر رجوع السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه الى مقرر
- ملكهمهمذان
- ٢١٤ ذكر ما اعتمده الامام المقتني لامر الله بعد موت السلطان مسعود
- ٢٢٠ ذكر وصول السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه الى بغداد الخ
- ٢٢٢ ذكر اتصال الملك جغري شاه بأخيه السلطان محمد
- ٢٢٣ ذكر حوادث جرت في تلك السنين
- ٢٢٥ ذكر وزارة شمس الدين أبي النجيب الدرگزني
- ٢٢٦ ذكر وصول السلطان محمد الى محاصرة بغداد وما اعتمده المقتني من

صحفية

حسن الصبر

- ٢٣٤ ذكر وفاة الملك سنجر بن ملكشاه وشرح نبذ من أحواله
- ٢٣٤ ذكر السبب في تولية بركيارق بلاد خراسان
- ٢٤٠ عود الى حديث سنجر
- ٢٤٣ ذكر وزراء السلطان سنجر بخراسان
- ٢٤٣ ذكر السبب في قتل وزراء السلطان سنجر
- ٢٤٨ ذكر جماعة من خواص سنجر ومماليكه أحبهم ثم سلام
- ٢٥١ ذكر علو همة السلطان سنجر وكرمه الخ
- ٢٥٢ ذكر سبب اختلال ملكه والمحال سلكه
- ٢٥٣ ذكر السبب في ذلك وانكسار سنجر في حربه مع الخطايشة
- ٢٥٦ ذكر انتعاش سنجر بعد أن عثر
- ٢٥٧ ذكر نوبة النزع سنة ٥٤٨ هـ
- ٢٦١ ذكر الحوادث بالعراق بعد انفصال السلطان محمد بن محمود عن بغداد
- ٢٦٥ ذكر وفاة الامام المقتني لامر الله وجلوس ولده
- ٢٦٨ ذكر رسالة الخليفة للسلطان
- ٢٧١ ذكر ما آل اليه امر السلطان وكيف جفاه زمانه وخان
- ٢٧٢ ذكر جلوس السلطان أبي المظفر ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه
- ٢٧٦ ذكر وفاة السلطان ارسلان في سنة ٥٧١ هـ ووفاته آتاك بك المذكور قبله
- ٢٧٧ ذكر الوزراء المتولين

